ديوان المعاني

للإمام اللغوي الأديب أبي هلال العسكري

الجزء الثاني

عن نسخة الامامين العظيمين: الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود الشنقيطي
مع مقابلة المشكل بنسخة المتحف البريطاني

عنيت بنشره

مكتبة القدسي

لصاحبها حسام الدين القدسي

القاهرة ـ باب الخلق ـ حارة الجداوي ١

سنة ١٣٥٢ وحقوق الطبع محفوظة

تنسيق وفهرسة
د/ الشويحي

www.dorat-ghawas.com

الحمد لله على نعمه التامة وأياديه الخاصة والعامة فى إنشاء السحاب الثقال وإجراء العذب الزلال وتفجير البارد السلسال ليغذو به النجم والشجر ويرب الحب والثمر رحمة للأنام ونظراً للانعام فله الحمد أولاً وآخراً . والصلاة على نبيه محمد الذى أرسله بالحق شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً وعلى آله المختارين وعترته المنتجبين .

وقد رأينا الحكماء في كل زمان يجتهدون في تقريب الحكمة وتسهيل سبلها وشرح مشكلها وإيضاح أبوابها وإدناء أسبابها ليخف محملها ويقرب متناولها ويرغب فيها كل أحد ويأخذ منها بنصيب ويغترف منها بذنوب .

وكنت جعلت كتابى الموسوم بديوان المعانى مشتملاً على اثنى عشر باباً يتضمنها خمسمائة ورقة فرأيت بعض الناس يستكبر حجمه ويستثقل نسخه فجعلت كل باب منها كتاباً ينفرد بنفسه ويتميز من جنسه ليقرب أمره ويسهل نسخه ولتسرع الرغبة اليه فيكثر الانتفاع به إن شاء الله تعالى وبه التوفيق .

www.dorat-ghawas.com

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد وذكر المياه والرياض والنبات والأشجار والرياحين والثمار والنسيم وما يجرى مع ذلك وهو :

﴿ الباب السابع من كتاب ديوان المعانى وفيه ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد والثلج والضريب

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال قال أبو عمرو لذى الرمة أى قول الشعراء في المطر أشعر ؟ قال قول امرىء القيس :

ديمةٌ هطلاءُ فيها وطفٌ طَبق الأرض تحرّى وتَدُرّ

قوله طبق الأرض غاية في صفة عموم السحاب أراد أنها على الأرض بمنزلة الطبق على الاناء . ولا أعرف أحداً أخذه فأجاده كأجادة ابن الرومي حيث يقول :

سحائبُ قيستْ بالبلادِ فألقيتْ غِطاءً على أغوارها ونجودِها
هدتها النُّعامَى مُثقلاتٍ فأقبلتْ تهادَى رُويداً سيرُها كركودِها

قوله سيرها كركودها غاية في وصف ثقلها وثقلها من كثرة مائها .

والبيت البليغ المشار اليه من أبيات امرىء القيس قوله :

وترى الشجراءَ في رَيّقه كرؤوس قُطِّعت فيها الخُمُر

الشجراء الأرض ذات الشجر وإذا غرقت الشجر من ريقه حتى لا يبين منها إلا فروعها فكيف يكون في شدته ، وريق المطر أوله وأخفه ، وشبه رؤوس الشجر خارجة من الماء برؤوس قطعت عليها عمائم ، والخمار ههنا العمامة .

وقالوا أجود ما قيل في المطر قوله :

www.dorat-ghawas.com

كأنّ أبانا في أفانين وبله كبيرُ رجالٍ في بجاد مُزمّل [١]

يقول كأن أبانا - وهو جبل - من التفاف قطره وتكاثفه في الهواء شيخ في كساء، وخفض مزمل على الجواب وهو نعت كبير كما تقول جحر ضبٍ خربٍ .

وقالوا أجود ماقيل فيه قول أبي ذؤيب :

لكل مسيل من تهامة بعد ما تقطع أقران السحاب عجيج

وهذا مع جودة معناه فصيح جداً . أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان قال قال الأصمعي قلت لأبي عمرو ما أحسن ماقيل في المطر فقال قول القائل [٢] :

دانٍ مسفٍ فُوَيقَ الأرضِ هيدَبُهُ يكادُ يدفعُهُ من قامَ بالراحِ

فَنٍ بنجوته كمن بفُقوته والمستكن كمن يمشي بقَرواحِ [٣]

يقول قد عم هذا السحاب فاستوى في شيم برقه وأصاب مطره المنجد والغائر والمستكن والمصحر ، قرب من الأرض لثقله بالماء حتى يكاد يدفعه القائم براحته وهذا غاية الوصف .

ومن أبلغ ماجاء في ذلك من نثر الأعراب ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم وعبد الرحمن عن الأصمعي قال سألت أعرابيا من عامر بن صعصعة عن مطرٍ أصاب بلادهم فقال نشأ عارضاً فطلع ناهضاً ثم ابتسم وامضاً فاعترض الأمطار فأعشاها وامتد في الآفاق فغطاها ثم ارتجز فهمهم ثم دوى فأظلم فأرك [٤] ودث وبغش ثم قطقط فأفرط ثم ديم فأغمط ثم ركد فأجثم ثم

---

(١) في ديوان امرىء القيس « ودقه » مكان « وبله » و « أناس » مكان (رجال) .

(٢) قيل هو أوس بن حجر وقيل عبيد بن الأبرص ، وقبل البيت :

يامَن لبرق أبيت الليل أرقبه في عارض كمضيء الصبح لماح

(٣) القرواح الأرض الواسعة التي لانبات فيها ، ومطلع القصيدة :

ودع لميس وداع الصارم اللاحي إذ فنكت في فساد بعد اصلاح

(٤) أرك أتى بمطهر ركيك أي قليل .

www.dorat-ghawas.com

وبل فسح وجاد فأنعم فقمس الربى وأفرط الزبى سبعاً تباعا لايريد انقشاعا حتى ارتوت الحزون وتضحضحت المتون ساقه ربك الى حيث شاء كما جلبه من حيث شاء . الدث والبغش المطر الخفيف، والقطقط المطر الصغار ، وقوله أنعم أى بالغ من قولهم دقه دقاً ناعماً ، وقمس أى غوص ، وأفرط ملأ . والزبى جمع زبية وهى حفرة تحفر للأسد ويجعل فيها طعم فيجىء حتى يقع فيها ولا تحفر إلا فى مكان عال فاذا بلغها السيل فهو الغاية ؛ وفى المثل « بلغ السيل الزبى » والمتن صلابة من الأرض فيها ارتفاع ؛ وتضحضح أى صار عليه ضحضاح وهو الماء يجرى على وجه الأرض رقيقاً .

وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن ابن أبي طاهر عن ابن الاعرابى لأعرابية :

فبينا نرمّقُ أحشاءَنا ... أضاءَ لنا عارضٌ فاستنارا
فأقبل يزحف زَحفَ الكسير ... سياقَ الرعاءِ البطاءِ العشارا
تغنى وتضحك حافاتُه ... امامَ الجنوبِ وتبكى مرارا
كأنا تضيء لنا حُرة ... تشدُّ إزاراً وتلقى إزارا
فلما حسبنا بأن لا نجاءَ ... وأن لا يكون فرار فرارا
أشارَ له آمرٌ فوّقَهُ ... هَلُمَّ فأمَّ إلى ما أشارا

وأنشدنا لغيرها :

تبسمتِ الريحُ ريحُ الجنوبِ ... فهاجتْ هوًى غالياً وادّكارا
وساقَتْ سحاباً كمثلِ الجبالِ ... إذا البرقُ أومضَ فيه أنارا
اذا الرعد جلجلَ في جانبيهِ ... فروّى النباتَ وأروى الصحارى
تطالعنا الشمسُ من دُونهِ ... طلاعَ فتاةٍ تخافُ اشتهارا
تخاف الرقيبَ على سِرّها ... وتحذرُ من زوجها أن يغارا
فتسترُ غُرتها بالخمار ... طوراً وطوراً تزيلُ الخمارا

وقد مرت هذه الأبيات الثلاثة قبل :

www.dorat-ghawas.com

فلما مراها هبوبُ الجنوبِ وانهمرَ الماءُ منهُ انهمارا
تبسمتِ الأرضُ لما بكت عليها السماءُ دُموعاً غزارا
فكان نواجذها الافحوان وكان الضواحك منها البهارا

وقال ابن مطير وهو أجود ما قيل فى سحاب :

مستضحكٌ بلوامعٍ مستعبرٌ بدوامعٍ لم تمرها الاقذاء
فله بلا حزنٍ ولا بمسرةٍ ضحكٌ يؤلفُ بينهُ وبكاء
ثقلت كلاهُ وأنهرت(١) أصلابهُ وتبعجت(٢) من مائه الاحشاء
غدقٌ يُنتج بالاباطح فرقا تلدُ السيولَ وما لها اسلاء(٣)
وكأنَّ ربقَهُ ولما يحتفل وَدْقُ السحابِ عجاجة كدراء
غرٌّ محجلةٌ روائحُ ضمنت حَفْلَ اللقاءِ وكلها عذراء
سحمٌ فهنَّ إذا كظمنَ فواحمٌ وإذا ضحكنَ فانهنَّ وضاء(٤)
لو كانَ من لجج السواحلِ ماؤهُ لم يبقَ من لجج السواحلِ ماء

ومن هذا البيت أخذ المتكلمون الحجة على الفلاسفة فى قول الفلاسفة المطر انما هو البخارات ترتفع من البحر ، قالوا لهم لو كان الأمر كذلك لكان ماء البحر ينقص عند كثرة الأمطار فقالت لا يلزم ذلك لأن البحر مفيض لماء الأرض فصير ما يتحلب من الثلوج اليه ومنه مواد هذه الأشياء فمثله مثل المنجنون يغرف من بحر ثم يصب فيه فليس له نقصان والذى ينقض هذا ان ماء البحر يزيد عند كثرة الأمطار وينقص عند قلتها والعادة فى ذلك معروفة ولو كان الأمر على مايقولون لكان ماء البحر ينقص على مرور الأوقات لامحالة لأن الشمس

---

(١) من أنهر العرق لم يرقأ دمه. (٢) تبعج السحاب تبعجاً وهو إنفراجه فى الودق . (٣) ينتج أى يولد ، وفرقت الناقة أخذها المخاض فندت فى الارض فهى فارق ج فوارق وتشبه بها السحابة المنفردة عن السحاب . والاسلاء جمع سلى وهى الجلدة فيها الولد من الناس والمواشي (٤) وضاء جمع وضيئة .

www.dorat-ghawas.com

والهواء لا شك تأخذ مما يتفرق عنه فى الأرض بزعمهم ؛ والكلام فيه يتسع وإنما أشرت الى موضع الدلالة على فساد قولهم .

وقال النظار الفقعسى :

يا صاحبيَّ أعينانى بطرفكما ... أنى تشيان[1] بَرْقَ العارضِ الساري
أبصرتهُ حينَ غاب النجمُ وانسفرت ... عنا غفائر[2] من دجن وأمطار
فباتَ ينهضُ بالوادى وجَلهتهِ[3] ... نهضَ الكسيرِ بذِى أَوْنَيْن جرَّار[4]
حيرانَ سكرانَ يغشى كلَّ رابيةٍ ... من الروابى بأرجافٍ وأضرار
مفرَّقٌ لِدِماتِ الأرضِ منهمرٌ ... رعابُ أفئدةٍ شعالُ أبصار
كأنَّ بُلْقاً عِراباً تحت رَبِّقه ... عوداً تَذُبُّ برمح عندَ امهار

وشبه البرق برمح الابلق ؛ وهو من قول أوس بن حجر :

كأنَّ ربقهُ لما عَلا شَطِبا[5] ... أقراب أبلق ينفى الخيلَ رماح

ومن أبلغ ماقيل فى ذلك قول الاعرابية التى سألها ذو الرمة عن الغيث فقالت : غثنا[6] ماشئنا . فكان ذو الرمة يقول قاتلها الله ماأفصحها . وترك ذو الرمة هذا المذهب على إعجابه به واختياره له وقال :

ألا ياسلمى يادارَ مَيٍّ على البلى ... ولازالَ مُنهلاً بجرعائك القطرُ

فقيل له هذا بالدعاء عليها أشبه منه بالدعاء لها لأن القطر إذا دامت فيها فسدت . والجيد قول طَرَفَة :

فسقى بلادَك غيرَ مُفسِدِها ... صوبُ الربيعِ وديمةٌ تهمى

وقال اعرابى : أصابتنا سحابة وانا لبنوطة بعيدة الارجاء فاهرع مطرها حتى رأيتنا ومارأينا غير السماء والماء وصهوات الطلح فضرب السيل النجاف وملأ

---

(١) شام البرق : نظر اليه أين يقصد وأين يمطر .

(٢) الغفائر جمع غفارة مايوضع على الرأس تحت العمامة . (٣) الجلهة : الجانب .

(٤) الاونان : جانبا الخرج . (٥) اسم جبل . (٦) أى أصابنا الغيث .

www.dorat-ghawas.com

الأودية فرعبها فما لبثنا إلا عشراً حتى رأيتها روضة تندى . قوله ما رأيت غيث السماء والماء وصيوبات الطلح غاية في صفة كثرة المطر . وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال خرج النعمان بن المنذر في بعض أيامه في عقب مطر فلقي أعرابياً فأمر باحضاره فأتي به فقال كيف تركت الأرض وراءك ؟ قال فيح رحاب منها السهولة ومنها الصعاب منوطة بجبانيا حاملة ثقالها. قال انما عن السماء سألتك قال مطلة مستقلة على غير سقاب[1] ولا أطناب يختلف عصراها ويتعاقب سراجاها ؛ قال ليس عن هذا أسألك قال فسل عما بدالك قال هل أصاب الأرض غيث يوصف قال نعم أغمطت[2] السماء في أرضنا ثلاثاً رهواً فثرت وأرزغت[3] ورسغت ثم خرجت من أرض قومي أقروها[4] متوا صية[5] لاخطيطة[6] منها حتى هبطت تعشار فتداعى السحاب من الأقطار فجاء السيل الجرار فعفا الآثار وملأ الجفار وقوب الاشجار وأجحر الحضار ومنع السفار ثم أقلع عن نفع واضرار فلما اتلأبت في الغيطان ووضحت السبل في القيعان نطامت رقاب العنان من أقطار الاعنان فلم أجد وزراً إلا النيران فقات وجار الضب فعادت السهول كالبحار تتلاطم بالتيار والحزون متلفعة بالغثاء والوحوش مقذوفة على الارجاء فمازلت أطأ السماء وأخوض الماء حتى أطلعت أرضكم اه . أغمطت السماء دام مطرها ؛ رهواً ساكناً ؛ ثرت تركته ثرية[7] ؛ أرزغت تركت الأرض في رزغة والرزغة والردغة الطين اذا غطى القدم ؛ رسغت بلغت الرسغ ؛ متواصية متصلة ؛ الخطيطة والخطيطة أرض لم يصبها مطر بين أرضين ممطورتين ؛ وتعشار موضع ، والعنان السحاب والاعنان نواحي الشخب فقأت من القى وجار الضب وهو عندهم غاية

---

(١) أي أعمدة . (٢) أي دامت . (٣) أرزع المطر الأرض : بلها ولم تسل . (٤) أي أتتبعها قرية قرية . (٥) أي متصلة .

(٦) الخطيطة الأرض غير الممطورة بين أرضين ممطورتين ، أو التي مطر بعضها .

(٧) أي ترابا مبلولا .

www.dorat-ghawas.com

مايوصف به المطر وهو عندهم الذى يجر الصب من وجارها فيخرجوا من كثرة سيله . وقوله والخزون متلفعة بالغثاء يقول بلغ الماء رؤوس الخزون ثم نضب عنها فبقى الغثاء فى موضعه .

ومن الوصف الجيد التام فى تكاثف المطر قول بعضهم : وقع مطر صغار وقطر كبار وكأن الصغار لحمة للكبار ، جعل الهواء كالثوب المنسوج من كثرة المطر وتكاثفه . ومن أجود ماقاله محدث في وصف السحاب والقطر والرعد والبرق ما أنشدناه أبو أحمد عن ثعلب لابن أبي :

أرقتُ للبرقِ يخفو ثُمَّ يأتلقُ ... يخفيهِ طوراً ويُبديهِ لنا الأُفُقُ
كأنه غُرَّةٌ شهباء لائحةٌ ... فى وجهِ دَهماءَ مافى جلدِها بلقُ
أو نفرُ زنجية تفترُّ ضاحكةً ... تبدو مشافرُها طوراً وتنطبقُ
أو سلةُ البيضِ[1] في جأواءَ مظلمة ... وقد تلقت ظباها البيضُ والدرق
والغيمُ كالثوبِ فى الآفاقِ منتشر ... من فوقهِ طبق من تحتهِ طبق
تظنه مصمتاً لافتقَ فيه فان ... سالت عواليهِ قلتَ الثوب منفتق
ان مَعمعَ الرعدُ فيهِ قلتَ ينخرق ... أولاً لاحَ البرق فيهِ قلتَ يحترق
تسمعُ من رعدهِ أذنُ السميع كما ... تعشَى إذانظرتْ من برقهِ الحدق
فالرعدصيصاقٌ[2] والريح منخرق ... والبرق مؤتلقٌ والماء منبعقُ
قد حالَ فوقَ الرُّبى نَورٌ له أرجٌ ... كانهُ الوشيُ والديباجُ والسَّرَق
من صفرةٍ بينها حمراء قانية ... وأصفرٌ فاقعٌ أو أبيضٌ يَقق

فاستحسنت هذه الطريقة فقلت :

برقٌ يطرز ثوبَ الليل مؤتلق ... والماء من ناره يهمى فينبعق
توقدت فى أديم الارضِ حمرَتهُ ... كأنها غرةٌ فى الطرفِ أو بلق
مالمتدَّ منها على أرجائه ذهبٌ ... إلا تحدر من حافاته ورق

---

(١) السيوف . (٢) الصَّيْصَلِيقُ من الأصوات : الشديد .

www.dorat-ghawas.com

كأنها فى جبين المزن إذ لمعت ... سلاسل التبر لايبدو لها حلق
فالرعد مرتجس والبرق مختلس ... والغيث منبجس والسيل مندفق
والضال فيما طما من مائه غرق ... والجزع فيما جرى من سيله شرق
والغيم خز وأنهاء [1] اللوى زرد ... والروض وشى وأنوار الربى سرق
والروض يزهوه عشب أخضر نضر ... والعشب يجلوه نور أبيض يقق

ومما ورد فى المياه [2] :

من سيول يمجها الواديان ... وثلوج يذيبها العصران
ذو استواء إذا جرى والتواء ... هل تأملت مزحف الأفعوان
فهو حيث استدار وقف لجين ... وهو حيث استطار سيف يمان

وقال ابن المعتز :

لا مثل منزلة الدويرة منزل ... يادار جادك وابل وسقاك
بؤساً لدهر غيرتك صروفه ... لم يمح من قلبى الهوى ومحاك
لم يحل بالعينين بعدك منظر ... ذم المنازل كاهن سواك
أى المعاهد منك أندب طيبة ... مساك ذا الآصال أو مغداك
أم برد ظلك ذى الغصون وذى الحيا ... أم أرضك الميثاء [3] أم رياك
وكأنما سطعت مجامر عنبر ... أو فتّ فأر المسك فوق ثراك
وكأنما حصباء أرضك جوهر ... وكأن ماء الورد دمع ندى
وكأن درعاً مفرغاً من فضة ... ماء الغدير جرت عليه صباك

وهذه الأبيات أحسن أبيات قيلت في صفة دار . وقلت :

شققن بنا تيار بحر كأنه ... إذا ماجرت فيه السفين يعربد
ترى مستقر الماء منه كأنه ... مبيب على الأرض الفضاء ممدد

(١) جمع نهى وهو منتهى الرمل الذى يسكن إليه الماء .
(٢) هنا بياض فى النسخ . (٣) الأرض الميثاء : السهلة .

www.dorat-ghawas.com

ويجرى إذا الأرواحُ فيه تقابلت كما مالَ من كفِّ النهامىِّ (١) مبرَدُ
فان تسكن الأرواح خلت متونهُ متونَ الصفاح البيضِ حينَ تجرد
فطوراً تراهُ وهو سيفٌ مهنـدٌ وطوراً تراهُ وهو درعٌ مسرَّد
نصعـدُ فيه وهو زُرق جِمـامه فنحسبُ أنا في السماء نصعَّد

وقال ابن طباطبا العلوى فى مَدِّ الوادى :

ياحسن وادينا ومـدِّ المـاءِ قد جاءَ بينَ الصيفِ والشتاء
يختالُ فى حُلتـهِ الـكدراءِ أكدرُ يمتـدُّ على غـبراء
في صَحَـبٍ عالٍ وفى ضوضاءِ يصافحُ الرياحَ فى الهواء
ترى به تنـاطُحَ الظبـاء جاءَ قد شُدت إلى جَماء
فانظر الى أعجبِ مرأى الرائى من كدرٍ ينجابُ عن صفاء

تقشع الغيم عن السماء

وقال السرى في المد وانقطاع الجسر ببغداد :

أحذركم أمواجَ دجلةَ إذ غدت مصندلة بالمدِّ أمواجُ مائها
فظلت صفا والسفنِ يرقصنَ وسطها كرقص بنات الزنج عند انتشائها
تفرقها هوجُ الرياحِ وتعتلى ربى الموج من قدامها ووراثها
فهنَّ كدهم الخيلِ جالت صفوفها وقد بَدَرتها روعةٌ من ورائها
كأن صفوفَ الطيرِ عاذت بأرضها وقد سامها ضَيْماً أسودُ سمائها
أوالشبَحُ المسودُ حلَّت عُقودُهُ على تربةٍ محمرةٍ من فضائها

وقلت : مَرَرْتُ بنهرِ المسرُقان عشيةً فأبصرتُ أقماراً تروحُ وتغرب
كأنهمُ دُرٌّ تقطعَ سلكهُ وغودرَ فوقَ الماءِ يطفو ويرسب
فكم ثم من خشفٍ (٢) على الماء لاعبٍ فيا مَنْ رأى خشفاً على الماء يلعب
كأن السميريات فيه عقاربٌ تجيء على زُرقِ الزجاجِ وتذهب

(١) النهامىّ بالنون : الحداد . (٢) الخشف مثلثة الخاء : ولد الظبى.

وقال أبو بكر الصنوبرى :

إذا السماء أعنقت منها الى شطّ وشطّ
حسبت أن بطها الا مواج والامواج بطّ

وقال : وروضةٌ أريضة الأرجاء من ذهب الزهر لجين الماء
يجرى على زمرد الحصباء بين استواء منه والتواء
كما نفضت جونة الحوّاء

وقال أبو فراس بن حمدان :

أنظر الى الزهر البديع والماء فى برك الربيع
وإذا الرياحُ جرت عليه فى الذهاب وفي الرجوع
نثرت على بيض الصفا نمحبينها حَلَقَ الدُّروع

ومن أوائل ماجاء فى ذكر الماء المظلل بالأشجار قول لبيد :

فتوسطا عرضَ السماء فصدعا مسجورة متجاورٌ قُلاَّمها
محفوفةٌ وسَطَ البراع يظلها منه مُصرَّعٌ غابية وقيامها

وقال بشر بن أبى خازم في البحر :

ونحن على جوانبها قعود نغضُّ الطرفَ كالابل القماح
إذا قطعت براكبها خليجاً تذكر مالديه من الجناح

﴿ الفصل الثانى من الباب السابع ﴾

فى ذكر الرياض والانوار والبساتين والثمار وما يجرى مع ذلك

أخبرنا أبو أحمد عن رجاله عن أبى عمرو وغيره قالوا أجود ماقيل فى وصف روضة قول الأعشى :

ماروضة من رياضِ الحزنِ مُعشبةٌ خضراءُ جادَ عليها مسبلٌ هَطِل
يضاحك الشمسَ منها كوكبٌ شرقٌ مؤزرٌ بعميم النبتِ مكتهل

يوماً بأطيبَ منها نشرَ رائحةً ولا بأحسن منها إذ دنا الأصلُ

قال المصنف خص العشى لأن كون الانسان بالعشى أحسن منه بالغداة لرقة تعلوه بالعشى وتهيج [١] يعتاده بالغداة وتعترى الألوان بالعشيات صفرة قليلة تستحسن ولذلك شبهها بالروض لما في الروض من الزهر وهو أصفر ؛ ومن هذا قوله أيضاً وصفراء العشية كالعرارة وقال بعضهم بل خص العشى لنقصان الحسن فيه قال فشبهها فى نقصان الحسن بالروضة فى حال تمام حسنها ؛ وليس كذلك لأن الروض بالغداة أحسن منه بالعشى .

والتشبيه المصيب من الشعر القديم قول بشر بن أبى خازم :

وروضٍ أحجمَ الروادُ عنهُ له نَفَلٌ وحوْزان [٢] توام
تعالى نبتهُ واعتمَّ حتى كأنَّ منابتَ العلجان [٣] شام

الشام جمع شامة أى ظاهر كظهور الشامة فى الوجه ويقال ما أنت إلا شامة أى أمرك ظاهر . وأنشد الجاحظ قول النمر بن تولب العكلى :

ميثاءُ جادَ عليها مسبلٌ هطلٌ فأمرعت لاحتيال فرطَ أهوام
إذا يجفُّ ثراها بلها ديمٌ من كوكبٍ نازلٍ بالماء سجام
لم يرعها أحدٌ وارتبها زمنا فأومن الأرض محفوفٌ بأعلام
تسمعُ للطيرِ فى حافاتها زَجَلاً كأنَّ أصواتها أصواتُ خُدام
كأنَّ ريحَ خُزاماها وحَنوتها [٤] بالليلِ ريحُ بلنجوجٍ وأهضام

ولم يدع شيئاً يكون فى الخصب إلا ذكره . ومن أبلغ ما وصف به كثرة الكلأ ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبى بكر بن دريد عن عمه عن ابن الكلبي عن أبيه قال خطب ابنة الخس ثلاثة نفر من قومها فارتضت أنسابهم وجمالهم وأرادت أن تسبر

---

(١) التهيج بالباء قبل الجيم : شىء من التورم فى الوجه يظهر عند القيام من النوم.
(٢) النفل والحوزان نبتان ، وتوام أى توأمان (٣) العلجان : نبت .
(٤) الخزامى والحنوة : نبتان طيبا الرائحة .

عقولهم فقالت لهم انى أريد أن ترتادوا إلى مرعى فلما أتوها قالت لأحدهم ما رأيت. قال رأيت بقلاً وبقيلاً وماءً غدقاً سيلا يحسبه الجاهل ليلاً قالت أمرعت . وقال الآخر رأيت ديمة فوق ديمة على عهاد غير قديمة فالناب تشبع قبل الفطيمة . وقال الثالث : رأيت نبتاً معداً معداً متراكباً جعداً كأفخاذ نساء بنى سعد تشبع منه الناب وهي تعدو اه . بقلاً وبقيلاً : يقول بقل قد طال وتحته عير قدنشأ ، والغدق: الكثير يحسبه الجاهل ليلاً من كثافته وشدة خضرته ، والديمة المطر يدوم أياماً فى سكون ولين ، والعهاد أول مايصيب الأرض من المطر الواحد عهد ، تشبع منه الناب قبل الفطيمة : يريد أن العشب قد اكتهل وتم فالناب وهى المسنة من الابل تشبع قبل الصغيرة منها لأنها تنال الكلأ وهى قائمة لاتطلبه ولا تبرح موضعها والفطيمة تتبع ما صغر والصغير فيه قليل . وهذه صفة بليغة . وأبلغ منها قول الآخر تشبع منه الناب وهى تعدو اى من طول النبات وكثرته وعمومه تعدو وتأكل لاتحتاج إلى تتبعه وطأطأة رأسها له . ولاأعرف في جميع ماوصف به كثرة الكلأ أبلغ من هذا . والمعد : الرطب اللين والمعد اتباع . والثرى الجعد الذى قد كثر نداه فاذا ضممته بيدك اجتمع ودخل بعضه في بعض كالشعر الجعد ، وخص نساء بنى سعد لأن الأدمة فيهم فاشية .

ومن أبلغ ماقيل فى طول الكلأ قول الآخر أنشده ابن السكيت وثعلب :

أرعيتُها أطيبَ أرضٍ عودا الصِّلَّ والصَّفْصلَّ واليعْضيدا
والخازباز السَّنمَ المجُودَا بحيثُ يدعو عامرٌ مسعودا

يقول قد سد النبات من طوله وسبوغه مسعوداً فليس يراه عامر فهو يصيح به ، الصل والصفصل وخازباز ضرب من النبات . وليس ألفاظ الأبيات بالمختارة انما اخترتها لجودة معناها .

ونظر أعرابى الى يوم دجن والى نبات غض فاستحسن فقال ارتجالا :

أنتَ والله من الأيـــام لَدْنُ الطَّرَفَيْنِ

كلما قلبتُ عيني ففي قرةٍ عين

وقلت: أتاهُ يُريدُ المزنَ ينشدهُ الصبا فدَوَّمَ من أعلى رُباه وديَّما

ولاحَ اليه بالبروقِ مُطرزاً فأصبحَ منها بالزواهرِ معلما

ومن بديع ماقاله محدث في صفة الرياض والبساتين قول عبدالصمد بن المعدل أنشدناه أبو أحمد وغيره :

معان من العيش الغرير ومَعْمَر ومبدى أنيقٌ بالمُذيب ومَحْضر

تما الروضُ منهُ في غداةٍ مَريعة لها كوكبٌ يستأنقُ العينَ أزهر

ترى لامعَ الانوارِ فيها كأنه اذا اعترضتهُ العينُ وشيٌ مُدثَّر

تَسابقَ فيهِ الاقحوانُ وحَنْوةٌ وساماهما رَندٌ نضير وعبهر

يمجُّ ثراها فيهِ عفراء جعدة كأن نداها ماءُ وردٍ وعنبرُ

أعاد نسيم الريح أنفاس نشرهِ وخابل فيه أحمر اللون أصفرُ (١)

بدا الشيحُ والقيصومُ عند فروعه وشتٌ وطُباقٌ وبان وعَرْعر

وناضرُ رمانٍ يرفُّ شكيرُه يكادُ اذا ماذرت الشمسُ يقطر

ويانعُ تفاحٍ كأنَّ جنيَّهُ نجومٌ على أغصانه الخضرِ تزهر

اذا زرتهُ يوماً تغرد طائرٌ وراناك ظبيٌ بينَ غصنين أحورُ

فاذهاجَ نوحُ الأيكِ في رونق الضحى تذكر محزونٌ أوارناحَ مقصر

تجاوبنَ بالترجيعِ حتى كأنما ترنمَ في الاغصانِ صنج ومزهر

مراناةَ موموقٍ وترجيعَ شائقٍ فللقلبِ ملهاةٌ وللعينِ منظر

وانى إلى صحنِ العذيبِ لشائقٌ وانى اليه بالمودَّةِ أصورَ

مرعت ولازالت تصوبك ديمةٌ يجودُ بها جونُ الغواربِ أقمر

أحم الكلى واهى العرى مسبل الجدى اذا طعنت فيه الصبا يتفجر

كأنَّ ابتسامَ البرقِ في حجرانه مهندةٌ بيضٌ تشامُ وتشهر

---

(١) أى فاخر الأصفر الأحمر .

وقول ابن المعتز يتضمن صفة الأنوار على التمام ولا يكاد يشذ منه شيء البتة وهو

والروضُ مغسولٌ بليلٍ ممطر ... جَلا لناوجهه الثرى عن منظر
كالعضب أوكالوشي أو كالجوهر ... من أبيضٍ وأحمر وأصفر
وطارقٍ أجفانه لم تنتظر ... تخالهُ العين فماً لم يُفغر
وفاتق كادَ ولم يتفوّر ... كأنه مبتسمٌ لم يَكشّر
وأدمع الغُدْران لم تكدَّرِ ... كأنه دراهمٌ في مَنْثر
أو كمشور المصحف المنشر ... والشمس في أصحاء جو أخضر
كدمعة حائرة في محجَر ... تسفي عُقاراً كالسراج الأزهر
مُدامةٌ تَعْقِر إن لم تعقر ... يديرها كفُّ غزالٍ أحور
ذي طرةٍ قاطرةٍ بالعنبر ... ومَلثم يكشفهُ عن جوهر
وكفلٍ يَشْغلُ فضل المئزر ... تخبرُ عيناهُ بفسقٍ مضمر
يعلمُ الفجور إن لم يَفجر

وقلت : جواهرُ عشبٍ ونَوْرٍ نظيم ... وأفرادِ ظلٍّ وقطرٍ نثير
فمن بين صُفرٍ وحُمرٍ وخُضر ... على القضبِ غيدٍ وزورٍ وصور
ولعسٍ تناسبُ لعسَ الشفاه ... وبيضٍ تعارضُ بيض الثغور
نواظرَ من بين يقظى وسنى ... ونجل وخُزْرٍ وحُولٍ وحُور

وقد استوفى في هذه الأبيات جميع أوصاف الأنوار على اختلاف حالاتها وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا التنوخي لنفسه :

أما ترى الروضَ قد وافاك مبتسماً ... ومدَّ نحوَ النَّدامى للسلام يدا
فأخضرٌ ناضرٌ في أبيض يَقق ... وأصفر فاقع في أحمرٍ نضدا
مثل الرقيبِ بدا للعاشقينَ ضحى ... فاحمرَّ ذا خجلا واصفرَّ ذا كمدا

ومن المشهور قول الجماني :

ديمٌ كأنَّ رياضها ... يُكسين أعلامَ المطارف

وكأنما غُدرانها فيها عُشورٌ فى مصاحف
وكأنما أنوارُها تهتزُّ[1] بالريح القواصف
طرر الوصائف يلتفتـ ـن بها إلى طرر الوصايف

وقلت : وروضةٍ حاليةِ الصدور كاسيةِ البطونِ والظهور
محمودةِ المخبورِ والمنظور مونقةِ المطوىِّ والمنشور
معجبةِ الظاهرِ والمستور ضاحكةٍ كالوافدِ المحبور
باكيةٍ كالعاشقِ المهجورِ شذَّرها الغيثُ بلا شذور
شقائق كناظرِ المخمورِ واقحوان كثغورِ الحور
ونرجس كأنجم الديجور والطلُّ منثور على منثور
يرصعُ الياقوتَ بالبلور

وقال السرى وأحسن ، ولبس فيمن تأخر من الشاميين أصفى ألفاظاً مع الجزالة والسهولة وألزم لعمود الشعر منه :

وجنات يُحيى الشربَ وهنا جَنَى وهدايها حتى رباها
إذا ركد الهواءُ جرت نسيماً وان طاحَ الغمامُ طغت مياها
يُفرِّجُ رشيها عن ماءِ وردٍ يفيضُ على اللآلى من حصاها[2]
تعانقُ ريحها نمَّ الخزامى وأعناق القرنفُل فى سُراها
ويأبى زهرُها إلا هجوعاً ويأبى عرفها إلا انتباها

وقال البحترى :

قطرات من السحاب وروض نثرت وردها عليهِ الخدود
فالرياحُ التى تهبُّ نسيمٌ والنجومُ التى تطلُّ سعود

وقال ابن الرومى :

أصبحت الدنيا تروقُ من نظر بمنظرٍ فيهِ جِلاءٌ للبصر

---

(١) فى نسخة « تفترُّ » . (٢) فى نسخة « صفاها » .

واهاً لها مصطنعاً لقد شكر أثنت على الله بآلاء المطر
والارض في روض كأفواه الحبر تبرجت بعد حياء وخفر
تبرج الانثى تصدى للذكر

وقال وأحسن :

وجلس من الكثبان أخضر ناضر يباكره دان الرباب مطير
إذا درجت فيه الرياح تتابعت ذوائبه حتى يقال غدير

وقلت: أنظر إلى الصحراء كيف تزخرفت وإلى دموع المزن كيف تذرف
وعلى الربى حلل وشاهن الحيا قسم ومقصب ومفوف
وملابس الأنواء فيها سندس ومضاجع الانداء فيها زخرف
نم الرياح على الرياض نماءً ذكر تك الكافور حين يدوف (١)
وعلى التلاع من الاقاحي حلة وعلى اليفاع من الشقائق مطرف
والغيم تنقشه الرياح عشية كالقطن في زرق الثياب يندف
والقطر يهمي وهو أبيض ناصع ويصير سيلاً وهو أغبر أكلف
والبرق يلمع مثل سيف ينتضى والسيل يجرى مثل أفعى ترجف

وقال أعرابي : يا كرنا وسمى (٢) ثم خلفه ولى فالارض كأنها وشي منشور عليه لؤلؤ منثور ثم أتتنا غيوم جرار بمناجل حصاد فاخترت البلاد وأهلكت العباد فسبحان من يهلك القوى الأكول بالضعيف المأكول. وقال أبو تمام :

الروض ما بين مغبوق ومصطبح من ريق محتفلات بالحيا دُلح
جون إذا هطلت في روضة طفقت عيون نوارها تبكي من الفرح

وقال أبو الغضبان اليمامي :

غدونا على الروض الذى طله الندى سحيراً وأوداج الابارق تسفك
فلم أر شيئاً كان أحسن منظراً من الروض يجرى دمعه وهو يضحك

(١) أى يذاب . (٢) الوسمى: أول المطر ، والولى الذى يليه .

وقال غيره : وإذا الزمردُ مثمر ذهباً ... ومن اللجين لسعجد ورق

لازال يُمْتِعُنا بجِدته ... وجديده بجديدنا خَلَق

وقال غيره في تلون الأرض :

فترى الرياضَ كأنهنّ عرائسٌ ... يُنقلنَ فى صفراءَ من حمراء

وقال أبو تمام :

رقت حواشي الدهرِ وهى تَمَرْمَرُ ... وغدا الندَى فى حليهِ يتكسرُ

مطرٌ يروقُ الصحوُ منهُ وبعدهُ ... صحوٌ يكادُ من النضارةِ يمطر

وندًى إذا ادَّهنت به لممُ الثرَى ... خلتَ السحابَ أتاهُ وهو معذِّر

ما كانتِ الأيامُ تسلبُ بهجةً ... لو أنّ حُسنَ الروضِ كان يُعمَّر

أوَلا ترى الأشياءَ إذ هي غيرت ... تَمْجَجْت وحسنُ الروضِ حينَ يغير

ياصاحبيَّ تقصيا نظريكما ... تريا وجوهَ الأرضِ كيفَ تصوّر

تريا نهاراً مشمساً قد شابهُ ... زهرُ الرُّبى فكأنما هو مقمر

دنيا معاشٍ للورى حتى إذا ... جلّى الربيعُ فانما هى منظر

أضحت تصوغُ ظهورها لبطونها ... نوراً تكادُ له القلوبُ تنور

من كلّ زاهرةٍ تَرَقْرَقُ بالندى ... فكأنما عينٌ عليه تحدرُ

تبدو ويحجبها الجميمُ كأنها ... عذراءُ تبدو تارة وتخفر

الجميم متكاثف النبت، يقول يظهر بتحريك الرياح إياه ويستتر عند سكونها فيغطيه الجميم :

صنعُ الذى لولا بدائعُ لطفهِ ... ماعاد أصفرَ بعدَ إذ هو أخضر

وقلت فى مديح :

إنى أرى لك فى السماحة والندَى ... طلقاً ذَرَيْتَ به على الأطلاق

طَلَق الغمامِ سرَى بوجهٍ باسرٍ ... يُروى الوجوهَ ومبسم براق

ثقلت على عنق الصبا أعباؤهُ ... مثل الضعيف ينوء بالأوساق

فترى النباتَ يروقُ وسط رياضه ... مثل الحلىّ تروقُ وسطَ حقاق

وقال البحترى :

إذا أردتَ ملأتَ العين من بلدٍ ... مستحسن وزمان يشبهُ البلدا
يمسى السحابُ على أجبالها فرقا ... ويصبح الروضُ فى صحرائها بددا
فلستَ تبصرُ إلا واكفاً خضلا ... أو يانعاً خضراً أو طائراً غردا

وقال أيضاً :ولازال مخضرٌ من الأرض يانع ... عليه بمحمرٍّ من النور حاسد
يذكرنا رياً الأحبة كلما ... تنفس في جنح من الليل بارد
شقائقُ يحمانَ الندى فكأنهُ ... دموعُ التصابى فى خدودِ الخرائد
ومن لؤلؤ فى الأرجوانِ منضد ... على نكت مصفرة كالفرائد
كأنَّ جنى الخوذان فى رونق الضحى ... دنانيرُ تبر من تؤام وفارد
رباع تروت بالرياض مجودة ... بكلِّ جديد الماءِ عذبِ الموارد
إذا راوحتها مزنةٌ بكرت لها ... شآبيب محتاز عليها وقاصد
كأنَّ يدَ الفتح بن خاقانَ أقبلت ... تليها بتلك البارقاتِ الرواعد

وقلت : أماترى عودَ الزمانِ نضرا ... ترى لهُ طلاقة وبشرا
أنشأهُ ألطافُ السحاب تترى ... وساقت الجنوبُ غباً بكرا
تبسط فى الصحراءِ بُسطاً خضرا ... وتمنحُ الروضةَ زهراً صفرا
ونرجساً مثلَ العيونِ زهرا ... وأقحوان كالثغور غرّا
كأنما يصوغ فيها تبرا ... كأنما يَدُوفُ[1] فيها عطرا
كأنما ينثرُ فيها درّا ... فأعمل الكاسات شمطاً شقرا
كالماء لوناً والعبير نشرا ... ثم مُرِ الزِّيرَ يناغى الزمرا
والعيشُ أن تُسَرَّ أو تَسُرَّا ... لاتفسدنَّ بالغرامِ العمرا

أحسن ماقيل فى النرجس قول أبى نواس :

---

(١) أى يذيب .

لدى نرجسٍ غضّ القطافِ كأنهُ اذا ماتمنحناهُ العيونَ عيون
مخالفة فى شكلهنّ فصفرةٌ مكانَ سوادٍ والبياضُ جفون

والناس يشبهونه بالعيون ولا يفضلون هذا التفضيل . ومما لم يقل مثله قول ابن الرومي:

خجلت خُدودُ الوردِ من تفضيلهِ خجلاً تورّدُها عليهِ شاهدُ
لم يخجل الورد المورد لونهُ إلا وناهله الفضيلة عائد
للنرجسِ الفضل المبينُ وان أبى آبٍ وحاد عنِ الطريقة حائدِ
فصل القضية أن هذا قائدٌ زهرَ الربيع وان هذا طارد
شتانَ بين اثنين هذا مُوعدٌ بتسلُّبِ الدنيا وهذا واعد
واذا احتفظتَ به فأمتعُ صاحب بحياتهِ لو أنَّ حيّاً خالد
يحكى مصابيحَ السماءِ وتارةً يحكي مصابيحَ الوجوهِ تُراصد
ينهى النديمَ عن القبيح بلحظهِ وعلى المدامةِ والسماع يُساعد
ان كنتَ تطلبُ فى الملاح سميهُ يوماً فانك لامحالةَ واجد
هذى النجوم هى التى ربتهما بحيا السحابِ كما يربى الوالد
فانظر الى الأخوينِ مَن أدناهما شبهاً بوالدهِ فذاك الماجد
أين العيونُ من الخدود نفاسةً ورياسةً لولا القياسُ الفاسد

وقلت : ونرجس مثل أكفّ خُرَّدٍ درن علينا بكؤوسِ الذهبِ
ناولنيه مثلهُ فى حسنه فحلَّ من قلبيَ عقدَ الكُرَبِ
مبتسمٌ عنهُ وناظرٌ به هذا لعمرى عجبٌ في عجب

وقلت فى معناه :

ألم ترنا نعطى الغوايةَ حقها ونجرى مع اللذات جرىَ السوابق
بمحمرةِ الاجسادِ مبيضة الذُّرى كمثلِ سقيطِ الطلِّ فوقَ الشقائق
لدى الصفر فى أوساطِ بيضٍ كأنها كؤوسُ عُقارٍ فى أكفّ عواتق

وقال ابن الرومى :

للنرجسِ الفضلُ برغم من رغم على صُنوفِ الوردِ والفضلُ قسم
العينُ قبل السنّ وهي المبتسم فما لها والخدّ وهو المتقدّم
ماأطيبَ الريح وما أزكى النسم ماهو إلا نعمةٌ من النعم

ومن التشبيه المصيب قول الآخر :

ونرجسٌ لاحظني طرفها يشبهُ ديناراً على درهم

وقال ابن الرومي في الخمر والنرجس :

ريحانهم ذهبٌ على دُرَرٍ وشرابهم دُرَرٌ على ذهب

وقلت : يركبُ الاقحوانُ فيها نهاراً فترى درهماً على دينار
فرشت فوقها فرائدُ طلٍّ علقت بالنبات والأشجار
وتدات على الغصونِ فجاءت كشنوفِ الكواعبِ الابكار

وقال الآخر :

ونرجس قامَ فوقَ منبره مثلَ عروس تُجلى وتشتهرُ
بامَ الندى في عيونه سحراً فاعتاده من منامه سهر
لم يغتمض والظلامُ حلَّ به كأنما في جفونه قصر
تحيرَ الطلُّ في مدامعه فليسَ يرقا وليس ينحدر
كدمعةِ الصبِّ كادَ يسكبها فردَّها في جفونه الحذر

وقلت : وغنت الطيرُ بألحانها فانتبهَ النرجسُ من رقدته

وأحسن ما قيل في الورد قبل أن يتفتح قول بعض المحدثين :

قد ضمهُ في الغصنِ قرصُ بَرَدٍ ضمّ فمٍ لقبلة من بُعد

وقلت فيه إذا تفتح :

مرَّ بنا يهتزُّ في خطره ما بينَ أغصان وأقمار
يديرُ في أنمله وردةً جاءت من المسك باخبار
يلوحُ في حمرتها صفرةٌ كالخدِّ منقوطاً بدينار

وقال ابن المعدل :

عشيةَ حيانى بوردٍ كأنه خُدودٌ أضيفت بعضهن إلى بعض

وقلت: قُومى انظرى نوراً كخدك أحمراً تَرَكَ الربيعَ وراءهُ وتقدما

قد ضمهُ بردٌ فعنقهُ ندى كالصبِّ قبل فاك ثم تبسما

ولم أجد فى تشبيه الورد أبدع مما ذكرته ، وتشبيهه بالخد تشبيه مصيب ولكنى تركت الاكثار منه لشهرته وكثرته ويقال للوردة الحمراء الحوجة والبيضاء الوتيرة ويشبه بها قرحة الفرس[1] قال عمرو بن معدى كرب :

بهارى قُرْحَةٌ مثل الـــوتيرة لم تكن مَعْدى

وقد أحسن على بن الجهم فى قوله يصف الورد :

كأنهن يواقيتٌ يطيفُ بها زمردٌ وسطها شَذْرٌ من الذهب

وهو من قول أزد شير : الورد ياقوت أحمر وأصفر ودر أبيض على كراسى زبرجد بتوسطه شذور ذهب . وقال البحترى :

وقد نبهَ النيروزُ فى غلسِ الدجى أوائلَ وردٍ كُنَّ بالأمس نُوَّما

يفتحهُ بردُ الندى فكأنه يبثُّ حديثاً كان قبلُ مكتما

وقلت فى تفضيل الورد على النرجس :

أفضلُ الوردَ على النرجسِ لا أجعلُ الأنجمَ كالأشمس

ليس الذى يقعدُ فى مجلس مثلَ الذى يَمْثُلُ فى المجلس

وقال ابن بسام :

مداهنٌ من يواقيت مُنضدة على الزمردِ فى أوساطها الذهبُ

كأنه حينَ يبدو من مطالعهِ صَبٌّ يُقَبِّلُ صباً وهو مرتقب

ومن الياقوت الأزرق والأصفر والأحمر وليس فى البيت دليل على أنه أراد الاحمر دون الأزرق فهو معيب من هذه الجهة . وقلت فى الورد على الشجر :

---

(١) القرحة فى وجه الفرس دون الغرة .

أصبحَ الورد في الغصون يحاكي ... أوجهَ الحورِ في مقامع خضر
مثل فرسانِ غارةٍ يَستليهم ... لمعٌ من دماء سَخْنٍ ونحر
ويلوحُ النهارُ أسفلَ منهُ ... فهو كالرَّجلِ (١) في عمائم صفر
بين نَبْذٍ من الشقائق يحكي ... غلَّمةَ الدرِّ في مطارف حمر

وقال ابن المعتز :

ولازوردية أوفت بزرقتها ... بينَ الرياضِ على زرقِ اليواقيت
كأنها فوقَ طاقات ضمنَ بها ... أوائلَ النارِ في أطراف كبريت

والصحيح أنه في الخُرَّم والشاهد قوله :

بنفسج جمعت أطرافهُ فحكت ... دمعاً بنشفهُ كحلا يوم تشتيت

قوله « كأنها فوق طاقات ضمن بها » يدل على أنه أراد الخرم لأن ساق البنفسجة لا يضعف عن حمل وردتها وهذا الوصف بالخرَّم أشبه منه لكبر نوره ودقة ساقه فاعرف ذلك . وقلت في البنفسج :

وروضةٌ كأنها من حسنها ... تبرزُ في أثوابِ سعد ومُنى .
قد نثرَ الليلُ على أنوارها ... لآلىءَ الطلِّ وأفراد الندى
بكت عليها مزنةٌ فابتسمت ... عن لؤلؤٍ بينَ فرادى وثنى
وحولها بنفسجٌ كأنه ... أواخر النيرانِ في جزلِ الغضا (٢)

وقال آخر :

وكأنَّ البنفسجَ الغضَّ فيه ... أثرُ اللاطمِ في خدودِ الغيد

وقلت : وبحافاتها البنفسج يحكي ... أثرَ القرصِ في خدودِ العذارى

وقلت في الهنة النادرة تحت ورقة البنفسج ولم أسمع فيها من الشعر العربي شيئاً :

ومغنَّج قالَ الكمالُ لخلقهِ ... كن مجمعاً للطيبات فكانهُ
زعمَ البنفسجُ أنهُ كعذارهِ ... حُسناً فسلُّوا من قفاهُ لسانه

---

(١) أي الرجال . (٢) الغضا : شجر يبقى جمره كثيراً .

وقال ابن الرومى :

أشرب على وردِ البنفسجِ قبل تأنيبِ الخدود
فكأنما أوراقها آثارُ قَرص فى الخدود

أغرب معنى جاء فى الشقائق قول الأخيطل :

هذى الشقائقُ قد أبصرت حمرتها مستشرفات على قضبانها الذللِ
كأنها دمعةٌ قد مَسَّحت كُحُلاً جالت به وقفةٌ فى وجنتى خجلِ

وأظن الاخيطل ابتكره إلا أنه أورده فى أهجن معرض وفي أشد مايكون من التكلف وأتى بالمحال لان الوقفة لاتجول فنظمته وقلت :

وشقائقٌ نقشَ الربيعُ ثيابها فبرزنَ بينَ مكحل ومُجَسَّد
كالخدِّ يصبغهُ الحياءُ بحمرة وجرى عليهِ الدمعُ خلطَ الاثمد

ومن غريب ماقيل فيها قول بعض المتأخرين :

طربَ الشقائقُ للحيا وقد شجا شجوَ القيانِ فشقَّ فضلَ ردائه
وتحيرت مابين إثمد ماقه فى الخدِّ دمعتهُ وبينَ حيائه
فكأنه الحبَشىُّ بُضِّمَ جسمهُ فثيابهُ مُخضلةٌ بدمائه

وجعل الشقائق واحداً وهى جماعة مؤنثة والواحد شقيقة فاذا ذكر فعلى معنى النور وتسميه العرب الشقر . وقلت :

وللشقائق خالٌ فوقَ وجنتها ووجنة الوردِ بالدينارِ منقوطه

وقال التنوخى :

شقائقٌ مثلُ خدودٍ نقشت شوارباً بالمسك فيها ولحى

وهو بعيد لأن السواد الذى فيها لايشبه الشوارب .

ومن أحسن ماقيل في الآذريون قول ابن المعتز :

يا ربما نازعنى روحُ دِنانٍ صافيه
في روضةٍ كأنها جلد سماءٍ عاريه

كأنما أنهارها بماء ورد جاريه
كأن آذريونها غب سماء هامية
مداهن من ذهب فيها بقايا غالية

وقال أيضاً :

وصير آذريونه فوق أذنه كمكأس عتيق فى قراراتها مسك

وقلت : ولاح آذريونها مثل الغوالى فى السرر

وقال الشمشاطى[1] :

تراه عيوناً بالنهار نواظراً وبعد غروب الشمس أزرار ديباج

وقال ابن المعتز :

كأنها مداهن من ذهب مشرفات وسطهن غالية

أتم التشبيه ههنا بقوله « مشرفات » . ومن جيد ماقيل فى البهار قول ابن الرومى :

وروضة عذراء غير عانسه خضراء مافيها خلاة يابسه
فيها شموس للبهار دارسه كأنها جماجم الشمامسه
ترقك النورة منها الناكسه بعين يقظى وبجيد ناعسه
وخرم فى صبغه الطيالسه مثل الطواويس غدت مطاوسه

وقال ابن المعتز :

فى روضة كحلل العروس وخرم كهامة الطاووس

وقلت فى المذهب الذى سلكه ابن الرومى :

خرمة كهامة الطاووسه دارى من بهجتها مأنوسه
والعين فى فنائها محبوسه محفوظة تحسبها محروسه
تعجبنى منظورة ملموسه مرفوعة الهامة أو منكوسه

---

(١) هو على بن محمد الشمشاطى اتصل بآل حمدان ، له تصانيف فى الأدب .

باقوتة لكنها مغروسة في زهر [1] كالشمل المتبوسه
كخال ألوانها ملبوسه

وقال التنوخي :

ومن خُرَّم غض خلالَ شقائقٍ يلوحُ كخيلانٍ على وردتي خدّ

وإذا كان في الخد خيلان لم يستحسن الخال الواحد . وقلت :

على رياضٍ خُرَّم كأنها رؤوسُ هدابِ حريرٍ الكل

وقال ابن طباطبا :

وطَوْس فيها خُرَّمٌ فكأنها حمامات وشيٍ هيئت لخازن

وقلت في البهار والورد :

وردٌ إلى جنبه بهار كالخدّ أصغى اليه قرط

وقد جمعت أصناف المنثور في أبيات وما جمعها أحد إلا بعض الكتاب في أبيات غير مختارة الوصف فقلت :

ألوانُ منثورٍ يريك حسنها ألوانَ ياقوتٍ زها في عقد
ياحسنها في كفّ من بشبهها فانظر إلى الندّ بكفّ ندّه
من أشهل كعينه وأبيضٍ كثغره وأحمر كخده
وأصفرٍ مثل صريع حُبه إذا تغشاه غواشي صدّه

وقال السري في الورد :

أما ترى الوردَ قد باحَ الربيعُ به من بعد ما مرّ حولٌ وهو اضمار
وكان في حللٍ خضرٍ وقد خلعت إلا عرى أغفلت منها وأزرار

وقلت : ليس ينفكُّ للغمام أيادٍ تتكافا وأنعم تتجدد
فترى رعده يشقُّ حريراً وسنى برقه بطرز يسطّرد
وترى للزمانِ غُصناً وريقاً يملكُ الطرفَ إذ يقومُ ويأود

---

(١) في نسخة « زهرة » .

أنبتَ الأرضَ عسجداً ولجيناً فالروابي مكللٌ ومقلد
وجرى الريحُ سجسجاً[1] ورخاءً فالمناهي[2] مسلسلٌ ومُسرَّد
وسبى العينَ لؤلؤ وعقيقٌ نظما في زمرد وزبرجد
فترى ثَمَّ مضحكاً يتجلى وترى ثَمَّ وجنةً تتورد
قطرات الندى أحادٌ ومثنى مثل دُر منظم ومبدد
وكأنَّ الشقيقَ كأسُ عقيقٍ طرحَ المسكَ في قرارتها ند
فترى النجدَ في رداء موشى وترى الوهدَ في قميص مُعمد
وعليه من البهار عطاف ومن الورد والشقائق مُجسد
وترى النورَ مثلَ مضحك خَوّد وترى الغصنَ مثلَ شارب أمرد

ومن بديع ما قيل في كمون النيلوفر وظهوره قول ابن الرومي :

فكأنه في الماء صاحبُ مذهبٍ أغراهُ وسواسٌ بأن لا يظهر

وقال السري[3] :

ونيلوفرٍ أوراقهُ الخضرُ تحتهُ بساطٌ اليه الأعينُ النجلُ شُخَّص

هذا البيت غير مختار الرصف ظاهر التكلف :

إذا غاصَ في الماء النمير حسبتهُ رؤوسَ إوَزٍّ في الحياض تغوص

وقوله « النمير » لا يحتاج اليه . وقال آخر من أبيات :

كأنما كلُّ قضيبٍ بها يحملُ في أعلاهُ ياقوته

وقلت : فشربتها عذراءَ من يدِ مثلها تحكي الصباحَ مع الصباح المشرق
في روضةٍ تلقاك حينَ لقيتها بمنمنم من نبتها ومنمق
فانظر إلى عشبٍ هناك مجمع وانظر إلى زهر هناك مفرق

---

(١) في نسخة « سجسداً » . (٢) المنهي : المحل الذي ينتهي اليه الماء .
(٣) هو السري الرفاء الموصلي ، مدح سيف الدولة والوزير المهلبي والكبار ، وكان بينه وبين الخالديين معاداة .

تجبى بورد كالاجين مكفر منها وورد كالعقيق مخلق
وكذاك تتحف من مناقع مائها بمخلق يعلو ذؤابة أخلق
يبدو ويكمن في الغدير كأنه جانٍ يحاول أن يبين ويتقى
فالى السرور لنا عنانٌ مطلقٌ إن الفوائدَ فى العنانِ المطلق

وقد أحسن القائل فى صفة الرياض :

بكينَ فأضحكنَ الثرى عن زخارف من الروض عنهن الثرى متهامل
ترى قضبَ الياقوت تحتَ زبرجد تنوء به أعناقهنَّ الموائل
تلقحها الأنداء ليلاً بربقها فيصبحنَ أبكاراً وهنَّ حوامل

وقلت فى الآس ولا أعرف لأحد فيه شيئاً بديعاً :

ومهرجانٌ معجبٌ مونقٌ كالنَّورِ غبَّ السَّبَل الساجم
طالعتُ فيه غرراً وضَّحا كمثل أيام أبى القاسم
والآس فى كفى أحبيهمُ مثلَ شوابير بنى هاشم

وقلت فى الريحان :

وخضرٌ يجمع الأعجاز منها مناطق مثل أطواقِ الحمام
لها حسنُ العوارضِ حينَ تبدو وفيها لين أعطافِ الغلام

وقال كشاجم وأحسن :

أرتك يدُ الغيثِ آثارها وأعلنت الأرض أسرارَها
وكانت أكنَّتْ لكانونها خبيئاً فأعطته آذارها

والنصف الأول من هذا البيت متكلف :

فما تقعُ العينُ إلا على رياضٍ تصنَّف أنوارَها
يفتح فيها نسيم الصبا جناها فيهتك أستارها
ويسفح فيها دماءَ الشقيقِ ندى ظلَّ يقتض أبكارها
وتدنى الى بعضها بعضَها كضمِّ الاحبةِ زوَّارها

كأنّ تفتحها بالضحى عذارى تحالُ ازرارها
تفضُّ لنرجسها أعيناً وطوراً تحدّقُ أبصارها
اذا مزنةٌ سكبت ماءها على بقعة أشعلت نارها

وقال فيها : وأقبلَ ينظمُ أنجادَها بفيضِ المياهِ وأغوارَها
وأرضع جنانها دَرّهُ فعمّم بالنورِ أشجارَها
ودارَ بأكنافها دَوْرَةً تنسى الاوائل بِرْجارها

وقال أيضاً في الباقلى :

جنىً يومٍ لم يؤخر امسِ ولم ينقل من يدٍ الى يد
كالعقدِ إلا أنه لم يُعقدِ أو كالفصوص في أكفّ الخرّد
أو ككبار اللؤلؤ المنضد في طيّ أصدافٍ من الزبرجد
مفروشة بالكرسفِ المُلبّد

وقلت فيه أيضاً :

أبدى الربيعُ لنا من حُسنِ صنعته شبائه اتفقت في الشكلِ والعمور
خضرٌ ظواهرُها بيضٌ بطائنها تحكي القباطيَ تحت السندس النضر
بيضٌ شبائهُ في خضرٍ ململمةٍ مثل الزبرجدِ مثنياً على درر
ينشقُّ أخضرُها عن أبيضٍ يققٍ كالثغرِ يشرقُ تحت الشارب الخضر

ومن المشهور في ورد الباقلى قول الصنوبرى :

وبنات باقلى يُشبه نَوْرُها باقَ الحمامِ مُشبلةً أذنابها

وقلت فيه : ونُزْهى وَرْدُ باقلى كأطواقِ الشعانين

وقال السرى في غير ذلك :

في زاهر عبقٍ تضوعهُ فكأنّ عطاراً يعطره
ضاهى ممسكهُ معنبرهُ وحكى مُدَرْهَمَهُ مدرّه

ومن أجود ماقيل في البساتين ومواضع الاشجار قول الخليل بن أحمد أخبرنا

أبو أحمد عن رجل عن الرياشي قال كان في يد الخليل بن أحمد أرض من أراضي البصرة ليتيم فلما بلغ اليتيم مضى به الخليل الى الأرض ومعه قارورة من ماء زمزم فلما جاء المدّ صب مافيها في فوهة نهرها ليخلص إلى جميعها ثم قال يابني هذه أرضك فقم فصل فيها ركعتين واشكر الله على ماأعطاك منها وادع بالبركة لك ولمن بعدك ، ثم أنشأ يقول في وصفها :

ترفعت عن يدِ الاعماقِ وانخفضت ... عن المعاطش واستغنت بسقياها
فالتفّ بالزهرِ والريحانِ أسفلها ... ومالَ بالنخلِ والرمانِ أعلاها
وصارَ يحسده فيها أصادقهُ ... ولامٌ لامَ فيها من تمناها
أبا معاويةَ اشكر فضلَ واهبها ... وكلما جئتها فاعمر مصلاها

وقال ابن المعتز في السرو والنرجس :

لدى نرجسٍ غضٍ وسروٍ كأنهُ ... قدودُ جوارٍ رنّحنَ في أُزُرٍ خضر

وقلت : لبسَ الماءُ والهواءُ صفاءً ... واكتسى الروضُ بهجةً وبهاءً
فكأنّ النهارَ سرنَ رياضاً ... وكأنّ الرياض عدن نهاءً
وكأنّ الهواءَ صارَ رحيقاً ... وكأنّ الرحيقَ صارَ هواءً
وتخالُ السماء بالبلِ أرضاً ... وترى الأرض بالنهارِ سماءً
جللتها الانواءُ زهراً وصفراً ... يومَ ظلت تنادمُ الأنواء
فتراها ما بينَ نَوْءٍ ونَوْرٍ ... تتكافا تبسماً وبكاءً
وتظلُّ الأشجارُ تتخذُ الحسنَ قميصاً أو الجمالَ رداءً
لبست حينَ أثمرت خُلدات[1] ... واكتست حينَ أورقت سيراء[2]
وترى السرو كالمنابرِ تزهى ... وترى الطير فوقها خطباء

وقال أبو عيينة :

تذكرني الفردوسُ طوراً فأرعوى ... وطوراً نواتيني على القصف والفتك

---

(١) أى أقراط. (٢) نوع من الثياب .

بغرس كأبكار الجوارى بوتربة كأن ثراها ماء ورد على مسك

وقال السرى في تفاح ودستنبورى ورمان :

إنّ شيطانك فى الظرّ فى لشيطان مريدُ
فلهذا أنتَ فيه مُبدئ ثم مُعيدُ
قد أتتنا طُرَفٌ منـ ـك على الظرف تزيدُ
طبقٌ فيه خدودٌ وقدودٌ ونهودُ

وقد أحسن التنوخى فى وصف النارنج حيث يقول :

لم لا يَجنّ بها القلوب وقد غدت مثلَ القلوب
وقلت: تطالعنا بين الغصون كأنها خدودُ عذارى في ملاحفها الخضر
أنت كلّ مشتاق بريا حبيبه فهاجت له الأحزان من حيث لا يدرى

وقال : إذا لاحَ فى أغصانه فكأنه شموسٌ عقيق فى قباب زبرجد

وقلت فى المركب :

مركب تعجبُ من حُسنه قد كنز الفضة فى نبره
يشا كلُ العاشقَ فى لونه ويُشبهُ المعشوقَ فى نشره

وقال الصنوبرى فى التفاح وقد ظرف :

أعطت يداهُ محبهُ تفاحةً تعطى المحبّ أمانهُ من صدّه

وهذا البيت متكلف جداً :

فعلمتُ حينَ لثمتها من كفه انى سألثمُ أختها من خدّه

وقال أيضاً فى أُتْرُجّة وأحسن :

جاءَ فحيانى بأترجة من ذهب قد حُشيتْ فضه
أتى بها ناعمةً غضةً من كفه الناعمة الفضه
تُبذَلُ للقبلة حُسناً ولا تصلحُ أن تُبذلَ للعضه
أحبب بها من مسكة محضة ناولنيها مسكة محضه

وقلت فى الأترج والنارنج :

ترى النارنجَ فى ورقٍ نضيرٍ فتحسبهُ عقيقاً فى زبرجد
وأترجٌ على الأغصان يزهى كما رفعَ الفتى قنديلَ عسجد

وقال بعضهم فى دستنبوية :

ياحبذا تحيةٌ رحت بها مسرورا
مخزنة من ذهبٍ قد مُلئت كافورا

وقال غيره في الليمون :

وقهوة تزهرُ فى السراج نشربها على كراةٍ عاج
ملبسات أصفر الديباج

وقلت فيه : أحدقَ ليمونٌ بأترجة كأنجم تحدقُ بالبدر
مخروطة الأجسادِ من فضةٍ ملبسات قُمصَ التبر
قد شدَّ من هامتها زِرُّها ياعجباً من ذلك الزِّرّ
اشرب عليها وتمتع بها فانها من تُحفِ الدهر

ولبعض الكتاب رسالة في التفاح ليس لها نظير فى معناها وهى التى أخبرنا بها أبو أحمد قال أخبرنا الجلودى قال حدثنا أحمد بن أبى طاهر قال أهدى ظريف من الكتاب تفاحة وكتب : لما رأيت تنافس أحبابك وثقات أصدقائك على الهدايا وتواتر ألطافهم عليك تفكرت في هدية تخف مؤنتها وبعظم خطرها ويجل موقعها تجمع الخصال المحمودة وتنظم الخلال المرموقة فلم أجد شيئاً يجتمع فيه ما أحببنا ويكمل له ماوصفنا غير التفاح فأهديت إليك منه واحدة وأحببت أن أنبهك على فضلها وأقفك على نبلها وأكشف لك عن سرائرها وأعرفك لطائف معانيها وأنعت لك مقالة الأطباء فيها وما نظمت الشعراء في مدحها حتى تراها بعين الجلالة وتنظر إليها نظر الصيانة فانه يحكى عن أمير المؤمنين المأمون أنه قال : اجتمع فى التفاح الصفرة الدرية والحمرة الخمرية الذهبية و بياض الفضة ونور القمر يلتذ بها من الحواس ثلاث العين لحسن لونها

والأنف لطيب عرفها والفم للذة طعمها ، وقال حكيم من الحكماء : الخمر صديقة الجسم والتفاح صديق الروح ، وقال آخر منهم وقد حضرت وفاته واجتمع إليه تلامذته وأراد مناظرتهم فضعف عنها فقال : إئتونى بتفاحة أعتصم برائحتها ريثما أقضى وطرى من المناظرة. فلم يستخفها إلا لفضلها على غيرها ، وقال آخر : جسم التفاح صديق الجسم وريحه صديق الروح ، وقال حكيم من الأطباء : إن أجود الأشياء لعلاج المزاج الحاد الكائن فى المعدة مع المزاج البارد الكائن فى الرأس وغثيان النفس وقلة الاستمراء للطعام التفاح ، وقال إبراهيم بن هانىء : ماعلل المريض المبتلى وسكنت حرارة الثكلى وردعت شهوة الحبلى ولا كسرت فورة السكران ولا أرضى الغضبان ولا ردت عرامة الصبيان بشىء مثل التفاح . والتفاحة إن حملتها لم تثقلك وإن رميت بها لم تؤلمك وقد اجتمع فيها لون قوس قزح من الحمرة والخضرة ولو حل التفاح لكان قوساً ولو عقدت القوس لكانت تفاحاً ، وقال بعض الشعراء :

حُمرةُ التفاح فى خُضرته أقربُ الأشياء من قوسِ قزح

والحمرة بتفاحة ذائبة والتفاحة حمرة جامدة . وقال الشاعر : الخمر والتفاح شكلان ، وقال آخر: تفاحةٌ حمراءُ منقوشةٌ ركبتُها فى غُصنِ الآس

ألبستُها وِرداً وكللتها إكليلَ نسرين على الراس

وقال آخر فى التفاحه :

كأنما حُمرتُها حمرةُ خدٍّ خَجِل

وقال ابن أبى أمية :

مازلتُ أرجوكَ وأخشى الردى معتصماً بالله والصبر

حتى أتتنى منك تفاحةٌ زحزحتِ الأحزانَ عن صدرى

حشوتُها مسكاً ونقشتها ونقشُ كفيك من السحر

واهاً لها تفاحة أُهديتْ لو لم تكن من خُدَعِ الدهر

فاذا وصلت اليك ـ أوصلك الله إلى رحمته وعطفه ـ فتأمل وصفها بعينك وتناولها

بيمينك وأحضرها ذهنك وفرغ لها شغلك واجمع لها عقلك وغازلها ساعة وهازلها أخرى ولا تكن متهاوناً بقدرها غير عالم بفضلها فتتناولها بحركة باردة وطبيعة جامدة وقلب ساهٍ وعقل لاهٍ وذهن غبي وشراهية نهم عساه أن يكلمها بأسنانه ولا يدري مقدرها عند إخوانه ويقصر بمن حياه وينتقص من أهداه ولا تخدشها بيدك ولا تثلمها بظفرك ولا تبتذلها للغبار ولا تعرضها للدخان فإذا طال لبثها لديك وخفت أن يرميها الزمان بسهمه ويقصدها بريبه ويذهب بهجتها ويحول نضرتها فهنيئاً لك أكلها والسلام.

وشبه بعضهم ورق الريحان بقافات وفاآت في شعر غير جيد فتركته ولم أذكره.

وقلت في الريحان:

ثم انثنينا الى خُضيرٍ مُنعمةٍ ... كأنَّ أوراقها آذانُ جُرذانِ
وقهوةٍ كجنيِّ الوردِ وشَّحهُ ... من لؤلؤِ القطرِ والأنداءِ همطانِ

وقال السري في دستنبوية:

وأغنَّ كالرشأ الغريـ ... ـر نشا خلالَ الربربِ
في خدِّه وردٌ حما ... هُ من القطافِ بعقربِ
حيا بدستنبويةٍ ... مثل السنانِ المذهبِ

وقال أيضاً فيها:

صفراء ما عَنَّت لعينٍ ناظرٍ ... إلا توهمها سناناً مُذهبا

وقلت: وأترجٍ يَحفُّ بها أقاحٍ ... كبدرِ الليلِ تكنفهُ النجومُ

وقال السري في نارنجة:

أهدت على نأيِ المحلِّ وقد ... أنأى التصبرَ طولُ هجرتها
نارنجةً منها استعيرَ لها ... ما ألبستْ من حُسنِ بهجتها
وشعاعها من نورِ وجنتها ... ونسيمها من عِطرِ نكهتها
وكأنَّ ما يخفيهِ باطنها ... ما أضمرتْ من سوءِ غدرتها

وحكى اخضرارٌ شابَ وجنتها قُرْصَ الأكفِّ أديمَ وجنتها
فأتتك مُكمَلةً محاسنها تختالُ في أثوابِ زينتها
فشمارُها صفوُ اللجين ومن ذهبٍ مصوغٌ ثوبُ بذلتها
تُهدى إلى الأرواح من بُعدٍ تُحَفَ السرورِ لطيبِ نشوتها
ويصونها مسرَى رواضُها من أن تباشرها بشمتها
فاشربْ عليها من شقيقتها في نعتِ رِيّاها وصبغتها
واعطفْ عِنانَ النفسِ عن فكرٍ راحت معذّبةً بفكرتها (١)

وقال ابن طباطبا العلوى في الاترج :

ريحانةٌ في اصفرارِ مهديها شبهتها بعدَ فكرةٍ فيها
أحببتُ لم أُصبِحْ لعاذلها تَسْدُدُ آذانها بأيديها

فأورد المعنى فى بيتين فقصر من غرابة معناه . وجعلت دستنبوية مقفعة فى غصن آس فسقطت فناولنيها بعض الأحبة فقلت :

وأصفرُ يهوى من ذؤابةِ أخضر كما انقضَّ نجمٌ في الدجنةِ ثاقب
له شعبٌ تهوى (٢) على سَرَوانهِ كمثل بنان الكفِّ يلويه حاسب
فناولنيهِ ذو دلالٍ كأنما لهُ الشمسُ أمٌّ والبدورُ أقارب
فأصبح مشهورَ الجمالِ مُشهراً له الحسنُ خِدنٌ والملاحةُ صاحب

وقال بعضهم فى الأترج :

لها وَرَقٌ ريحها ريحهُ وما ذاك فى غيرهِ لو طلب
كأنَّ تعطف أوراقها أكفٌّ تشيرُ إلى من تحب

وقال ابن خلاد في شجر الزيتون :

اذا ذلت الأشجارُ يوماً لجفوةٍ فانَّ لها عِزَّ القناعة والصبر
تصرَّفُ في اللذاتِ من كلِّ مطعم تصرفَ زيدٍ آخذاً بقفا عمرو

---

(١) في نسخة (بصحبتها) . (٢) فى نسخة (تلوى) .

وقلت فى التفاح :

ليسَ ريحُ التفاحِ عندى بريحٍ ... لاولكنهُ صديقٌ لروحى
حُمرَةُ الخدِّ واخضرارُ عِذارٍ ... فمليحٌ يطوفُ حولَ مليح

وقال نصر بن أحمد :

أكلتُ تفاحـة فعاتبنى ... فتىً رآها كخدِّ معشوقه
فقال خدُّ الحبيب تأكلهُ ... فقلتُ لابل أمصُّ من ريقه

وقال السرى :

لو جُمِّدتْ راحنا اغتدت ذهباً ... أوذابَ تفاحُنا غدا راحا

وقلت فى الرمان ولا أعرف فيه شيئاً مرضيا :

حكى الرمانُ أوّلَ مانبدّى ... حقاقَ زبرجد يحشينَ دُرّا
فجاءَ الصيفُ يحشوهُ عتيقاً ... ويكسوهُ مرورُ القيظِ تبرا
ويحكى فى الغصونِ ندىً حُور ... شقَقْنَ غلائلاً عنهن خضرا

وقلت فى خوخة :

وخوخة ملء يَدِ الجانيهْ ... تملكُ لحظَ الأعينِ الرانيهْ
مصفرة الوجنةِ محمرة ... كأنها عاشقةٌ ساليه

وأجود ماقيل فى العنب قول ابن الرومي :

ورازقيّ مخطف الخصورِ ... كأنه مخازنُ البلّور
قد ملئتْ مسكاً إلى الشطورِ ... وفى الاعالى ماءُ وردٍ جُورى
لم يُبقِ منها وَهجُ الحَرورِ ... إلا ضياءً فى ظروف نور
له مذاقُ العسل المشورِ ... وبردُ مسِّ الخصر المقرور
ونفحةُ المسك مع الكافورِ ... لو أنهُ يبقى مع الدهور
قرّظ آذانَ الحسانِ الحور

وقال في معناه :

ورازقيّ يخطف خصوره قد أينعت أغصانه الأسافل
كأنها مخازنٌ مملوءةٌ من ماء ورد فيه مسكٌ ثافل

لايزيد على هذا الوصف أحد . ودخل اعرابى على هشام بن عبد الملك فقال له هشام ماأطيب العنب عندكم ؟ قال ماالخضر عوده وغاظ عموده وسبط عنقوده ورق لحاؤه وكثر ماؤه . فقال له كم عطاءك ؟ فقال ألفين فسكت ساعة ثم قال له كم عطاؤك ؟ قال ألفان . قال فلم لحنت أولاً ؟ قال لم أشته أن أكون فارساً وأمير المؤمنين راجلا لحنتَ فلحنتُ ونحوتَ فنحوتُ . فاستحسن أدبه وأجازه . وقلت :

باكرنا الدهرُ بسرّائه وكفّ عنا بأسَ بأسائه
وجاءنا أيلولُ مستبشراً يثنى على الدهر بآلائه
أما نرى الرقةَ فى جسّوه تناسبُ الرقةَ في مائه
أنظر الى أنواع أثماره قد ضمها في بُرْدِ أحشائه
راحت عليها نسماتُ الصبا تقرصها فى برد أفنائه
أما نرى حسنَ ملاحيه يُهدَى الى بهجةِ شعرائه
أنظر الى رُمّانه ضاحكاً حمراؤه في وجهِ بيضائه

وقال ابن المعتز في العنب :

ظلت عناقيدُها يخرجنَ من ورق كالختبى الزنجُ فى خضرٍ من الأُزر

ويروى لابن المعتز فى التفاح :

وتفاحة صفراءَ حمراءَ غضة كخدّ مُحبٍ فوقَ خدّ حبيب
أحبابها طوراً وأشربُ مثلها من الراح فى كفى أغن ربيب

وقلت فى النارنج :

روضٌ زهادُ المزنُ فى كرّانه بِعَكَرٍ[1] ومُزعفرٍ ومُضرّج
فتبسم النارنجُ في شجرانه مثلَ العقيقِ يلوحُ فى الفيروزج

(١) أى ممزوج بالكافور .

والكأس يحملها أغنُّ يزينهُ وجناتُ وردٍ فى عِذارٍ بنفسج

ومن أجود ماقيل فى النخل من قديم الشعر ما أنشدناه أبو أحمد عن الجلودى عن محمد بن العباس عن أبيه عن الأصمعى للنمر بن تولب :

ضربنَ العرقَ فى يَنبوعِ عينٍ طلبنَ معينه حتى ارتوينا [1]

بنات الدهرِ لايخشينَ محلاً إذا لم تَبْقَ سائمةٌ بقينا

كأنَّ فروعهنَّ بكل ريح عذارَى بالذوائبِ ينتصينا [2]

وقد ملح النابغة فى قوله :

صغارُ النوى مكنوزةٌ ليس قشرها إذا طارَ قشرُ التمرِ عنها بطائر

من الواردات الماءَ بالقاع تستقى بأعجازها قبلَ استقاءِ الحناجر

وهذا أجود من الأول لأنه ذكر أنهن وردن الماءَ يعنى الماء الذى فى بطن الأرض معينا . وقال النمرُ «طلبن معينه» فجعل الماء الذى فى بطن الأرض معيناً ، والمعين إنما هو الماء الجارى على وجه الارض ظاهراً .

ومن أجود ما قيل فى الطلع من الشعر القديم قول كعب بن الاشرف [3] :

ونخيل فى تلاعٍ جمةٍ تخرجُ الطلعَ كأمثالِ الكفف

وقال الربيع بن أبى الحقيق :

أذلك أم غرسٌ من النخلِ مترع بوادى القرى فيه العيونُ الرواجعُ

لها سعفٌ جعدٌ وليفٌ كأنه حواشى بُرودٍ حاكهن الصوانع

وهذا فى وصف الليف حسن . وأخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن الحرث بن اسمعيل عن سهل بن محمد عن على بن محمد عن أسلم الأزدى عن يونس عن الشعبى قال كتب قيصر إلى عمر : إن رسلى أخبرونى أن بأرضك شجرة كالرجل القائم تغلق

---

(١) فى نسخة « حتى روينا » . (٢) أى يأخذ بعضها بنواصى بعض .

(٣) هو كعب الطائى الشاعر الشجاع الجاهلى كان ينال من المسلمين فقتله الأنصار .

عن مثل آذان الحمر ثم يصير مثل اللؤلؤ ثم يعود كالزمرد الأخضر ثم يصير كالياقوت الأحمر والاصفر ثم يرطب فيكون كأطيب فالوذ اتخذ ثم يجف فيكون عصمة للمقيم وزاداً للمسافر فان كان رسلي صدقوني فهي الشجرة التي نبتت على مريم بنت عمران . فكتب عمر اليه : إن رسلك صدقوك وهي شجرة مريم فاتق الله لاتتخذ عيسى إلهاً من دون الله .

وهذه تشبيهات مصيبة أخذها عبد الصمد بن المعذل فقال يصف النخل :

حدائقٌ ملتفة الجنانِ رَسَت بشاطي نَرعٍ رَيان
تمتارُ بالاعجازِ للاذقانِ لاترهبُ المحلَ من الازمان
ولاتوقّ خَتلَ الذؤبان ولاترَى ناشدة الرعيان
ولاتخافُ غِرّةَ الاوطانِ سُحم الرؤوسِ كمتُ الابدان
لها بيوم البارح الجنانِ مثلُ تناصي الخرّد الحسان
إذ هي أبدت زينةَ الرُّهبانِ لاحت بكافورٍ على إهان
يطلعُ منها كيد الانسان إذا بدت ملومة البنان
عُلت بورسٍ أو بزعفران حتى إذا شبه بالآذان
من حمرِ الوحشِ لذى عِيانِ وهذا لفظ زائد على معناه :
شققهُ علجانِ ماهرانِ من لؤلؤٍ صيغَ على قُضبان
مصوغةٍ من ذهب خلصان ثم ترى السبع والثمان
قد حالَ مثلَ الشذرِ في الجمان يضحكُ عن مشتبهِ الأقران
كأنهُ في باطنِ الأفنان زمردٌ لاحَ على التيجان
حتى إذا تمّ لهُ شهران وانسدلت عثاكلُ القنوان
كأنها قضبٌ من العقيان فصلْنَ بالياقوتِ والمرجان
من قانٍ أحمرَ أرجوان وفاقع أصفرَ كالنيران

مثل الأكاليل على الغوانى

ولا أعرف في النخل من شعر المحدثين أجود من هذه الارجوزة . وقلت :

ونخيل وقفنَ فى معطف الرمـــــلِ وقُوفَ الحبشانِ فى التيجان
شربتْ بالأنجازِ حتى تَروَّت وتراءت بزينـة الرحمان
طلعَ الطلعُ في الجماجم منها كأكفّ خرجنَ من أردان
فتراها كأنها كُمُتُ الخيـــــلِ توافت مُصرةَ الآذان
أهو الطلعُ أم سـلاسلُ عاجٍ حُملت فى سفائن العقيان
ثم عادت شـبائهاً تتباهى بأعالى شـبائه أقران
خرزاتٌ من الزبرجد خضرٌ وهبتها الـلوكُ للقضبان
ثم حال النجارُ واختلفَ الشكـــلُ فلاحت بجوهرٍ ألوان
بينَ صُفرٍ فواقع تتباهي فى شماريخها وحُمرٍ قوانى

وقال بعض العرب * طلعاً كآذان الكلاب البيض *

وقال ابن المعتز في الرُّطب :

كقطع العقيقِ يانعات بخالصِ التبرِ مُنوَّعاتِ

وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا السكنُ بن السعيد قال أخبرنا محمد بن عباد قال تكلم صعصعة عند معاوية بكلام أحسن فيه فحسده عمرو بن العاص فقال : هذا بالتمر أبصر منه بالكلام ؛ قال صعصعة : أجل أجوده مادق نواه ورق سحاؤه وعظم لحاؤه والريح تنفجه والشمس تنضجه والبرد يدجه ولكنك يابن العاص لاتمراً تصف ولا الخير تعرف بل تحسد فتقرف[1] فقال معاوية رغماً فقال عمرو أضعاف الرغم لك ومابى إلا بعض ما بك .

ومن الغلو فى صفة التمر ماأخبرنا به أبو أحمد عن ابن الأنبارى عن اسماعيل ابن أسحق القاضى عن أبى نصر قال قال الأصمعى قيل للفاضرى أى التمر أجود ؟ قال : الجرد الفطس الذى كأن نواه أنسن الطير تضع الواحدة فى فمك فتجد

(١) أى تقذف .

حلاوتها فى كعبك يعنى الصيحانى .

وقال الخباز البلدى :

ذرى شجر للطير فيه تشاجر ... كأن بنات الورد فيه جواهر
كأن القمارى والبلابل بينها ... قيان ولورقن الغصون ستائر
شربنا على ذاك الترنم قهوة ... كأن على أحداقها الدر دائر

وقال غيره :

أى يوم لنا على التل بالما ... ه[1] وعيش تضيق عنه النعوت
ورد الدر فيه فى شجر اللو ... ز وفى الخوخ ورد الياقوت

وقلت : ظل يسقى حدائقاً وجناناً ... يالها من حدائق وجنان
خطرت بينها الرياح سحيراً ... فتناصت[2] تناصى الأقران
وتناجى الغصون فيها سراراً ... وتنادى الطيور بالاعلان
فتناجى الغصون شبه عتاب ... وتنادى الطيور مثل أغانى
من كروم تمايلت بمناقيـ ... ـد كجعد الزنوج والحبشان
وملاحية تميل أعرى ... كوجوه الحسان الغرّان
كلما لى تشبثت بلآل ... وبنان تشبكت ببنان
فهى كالنجم فى فروع كروم ... وهى كالشمس فى بطون الدنان

وقلت فى البطيخ :

وجامعة لأصناف المعانى ... صلحن لوقت إكثار وقله
وإحداهن تبرز فى عباء ... وأخراهن فى حبر وحله
ومنها ماتشبهه بدوراً ... فان قطعتها رجعت أهله

وقلت : ولون واحد يلقى فيأتينا بألوان
بسمر ان وسودان وحمران وصفران
كوشى فى يدى واش وشهد فى يدى جانى

---

(١) الماه : اسم لناحية. (٢) أى أخذت كل واحدة بناصية الأخرى

فمن أُدم ومن نُقل وريحان وأشنان

وأنشدنا أبو أحمد في الكرم :

لهنّ ظلٌّ باردُ الودائق يحملنَ لذّاً طعمهُ للذائق
كأنها غدائرُ العواتق تُناطُ في حُجرٍ من المعالق
كأنها أناملُ الفَرانق

وهو من قول الآخر : * يحملنها بأناملٍ كالفرزان * وقلت في التُّفّاح :

انظر الى التُّفّاح تنظرُ معجباً يجلو عليك مُفَضَّضاً في مُذْهب
يعلو مفارقَهُ قلانسُ أخفيت من تحتهنّ دراهمٌ لم تضرب

وقلت في قصب السكر ولا أعرف فيه شيئاً لأحد :

ومشوقةِ القاماتِ بيضِ نحورُها وخُضرِ نواصيها وصفرِ جُسومها
لها حقبٌ لا تستطيعُ اطراحها وليس يطيقُ سلبَها من برومها
وهنّ رماحٌ لا تريقُ دَمَ العدى ولكن يُراقُ في القدودِ صميمُها
يميلُ على أعرافها عذباتُها كصور تناسى عندها ورسيمُها[1]
تناهى بها الأدراكُ حتى كأنها يُملُّ بماءِ الزعفرانِ أديمُها
ترى الريح يُغريها بنجوى خفيّةٍ إذا ماجرى قَصرَ الهشيّ نسيمها

ومن جيد ماقيل في السُّدر والطلح قول بعضهم :

لم ترَ عينا ناظرٍ منظراً أحسن من أفنانِ طلحٍ مَروحِ[2]
كأنها والريحُ تسمو بها ألويةٌ منشورةٌ للفُتوح
وسِدرة مدت بأفنانها على سَوافٍ كمتونِ الصفيح

إلا أن قوله « للفُتوح » فضلٌ لا يحتاج اليه لأن الألوية إذا نشرت للفتوح مثلها إذا نُشرت لغير الفتوح فذكر الفُتوح لغو .

وإنما أوردتُ في هذا الكتاب مثل هذا الشعر لأن غيري اختارها فأردتُ أن

(١) رميم : اسم امرأة كهند . (٢) مروح : أي أصابته الريح .

أدلّ على موضع العيب فيه ليوقف عليه . ومن جيد ماقيل فى النبق قول بعضهم :

أتانى فخيّانى بنبقٍ كأنهُ حُسلىٌّ عَروسٍ زان ليتاً وأخدعا
بأحمرَ كالياقوتِ يقطُر ماؤهُ وأصفرَ كالعقيان ضمّهما معا

وقال آخر :

أقبلَ تحتَ الليل كالظبيِ الغَرِق بالراح والرّيحانِ والمسكِ عَبِق
فجادَ بالوصلِ وحيّا بالنبق وقلتُ نبقى هكذا ونتفق
ماالخضرُ عودٌ أبداً لانفترق

وقلت فى النبق :

جلى الربيعُ علينا كواعباً أبكارا
مُتوّجات عقيقاً مسورات نضارا
ترى لهنّ من الور دِ شوذراً وخمارا
أهدى لنا جوهرات تحيرُ الابصارا
ياحسنَ حُمرٍ وصُفرٍ تريك جمراً ونارا
قد راقَ ذاك احمراراً وراع ذاك اصفرارا
وخلتُ هذا عقيقاً وخلتُ ذاك نُضارا
وذاك شهداً مشاراً وذاك راحاً عُقارا
لو كان يبقى سليماً نظمتُه تقصارا [1]

وقلت فى المشمش ولا أعرفُ فيه لأحد شيئاً مرضياً :

جنيتها والصبحُ وَردىُّ العَذَب بنادقاً مخروطةً من الذهب
قد ضُمّنتْ أمثالها من الخشب والتفّ منها خشبٌ على غرب
وصار منهُ السمُّ حشواً للضرب فهى لعمرى عجبٌ من العجب

الغرب الفضة ، والضربُ العسل . ولاأعرف فى التين أجود من قول القائل :

---

(١) التقصار : القلادة تحيط بالعنق .

أهلاً بتين جاءنا مُبتسماً على طبق
يحكى الصباحَ بعضُه وبعضُه يحكى الغسق
كسُفرٍ مضمومةٍ قد جُمِعت بلا حلق

وقال الحلبي فى الفُستق :

من الفُستقِ الشامىّ كلٌّ مصونة تصانُ من الاحداث فى بطنِ تابوت
زبرجدة ملفوفة فى حريرة مضمّنة دُرّاً مُشى ياقوت

وقلت فى خيارة :

زبرجدةٌ فيها قراضةُ فِضّة فان رجعتْ تِبراً فقد خسّ أمرُها
تلم بناطورين فى كلّ حجّة فيكثر فينا خيرُها ثم شرُّها
فعند المصيفِ ليسَ يفقدُ نفعها وعندَ الخريفِ ليسَ يُؤمَنُ ضرُّها

وأما ذمُّ البساتين فمن أجود ماقيل فيه قول ابن الرومى :

لله ماضيّعتُه من الشجر أطفال غرسٍ تُرتجى وتُنتظر
ومُعجبات من بقولٍ وزهر مصفرة قد هرمت لامن كبر
فى بقعةٍ لاسُقيت صوبَ المطر حالقة لنبتها حلقَ الشعر
ضميرها النارُ وان لم تستعر كلُّ امرىء غيرى من هذا البشر

بستانُه أنثى وبُستانى ذكر

ومما يجرى مع هذا قول الاعرابى :

مُطِرنا فلما أن روينا تهادرت شقاشق فيها رائبٌ وحليب
ورامت رجالٌ من رجالٍ ظُلامةً وعدّت ذُحُولٌ بيننا وذُنوبُ
ونصّت ركابٌ للصبا فتروّحتْ ألا ربما هاجَ الحبيبَ حبيبُ
بنى عمنا لاتعجلوا نضبَ[1] الثرى قليلاً ويشفى المترفينَ طبيبُ
ولوقد تولى الضبُّ وامترت القرى وحنّت ركابُ الحىّ حين تؤوب

(١) أى جفافه .

وصارَ غبوقَ الخمرِ وهي كريهةٌ على أهلها نورٌ بخدّين مشوب
وصار الذي في أنفهِ خُنزُوانةٌ ينادي إلى هادي الرحا فيجيب
أولئك أيامٌ تُبيّنُ للفتى أكاب سليب أوأشمُ نجيب

الفصل الثالث من الباب السابع

في ذكر النسيم

من غريب ماقيل فيه قول ابن المعتز :

ونسيمٌ يُبشّرُ الأرضَ بالقطـ ـر كذيلِ الفلالة المبلول
ووُجوهُ البلادِ تنتظرُ الغيـ ـثَ انتظارَ الحبيبِ وَدَّ الزسول

وقال ابن الرومي :

حيّتك عنا شمالٌ طافَ طائفها بجنّةٍ فجرت رَوْحاً وريحانا
هبّت سحيراً فناجى الغصنُ صاحبَهُ سِرّاً بها وتنادى الطيرُ إعلانا
ورُقْ تُغنّي على خُضرٍ مُهدّلةٍ تسمو بها وتشمّ الأرضُ أحيانا
تخالُ طائرها نشوانَ من طربٍ والغصن من هزهِ عطفيه نشوانا

وقال ابن المعتز :

يَشُقُّ رياضاً قد تيقّظ نَورُها وبلّلها دمعٌ من المُزنِ ذارفُ
كأنّ عبابَ المسكِ بين بقاعها يفتحها أيدي الرياح الضعائف

وقلت : والصبا يجلبُ الغمامَ الينا فترى القطرَ للرياضِ نديما
وترى للغصونِ فيها نجيّاً وعلى زَهْرةِ الرياضِ نميما

وقال ابن الرومي :

كأنّ نسيمَها أرجُ الخُزامى ولاها بعد وسميٌّ ولِيُّ (١)

(١) الولي المطر يأتي بعد الأول وهو الوسمي .

هدّيةُ شمألٍ هبّت بليلٍ لأفنانِ الغصونِ بها نحيُّ
إذا أنفاسُها نسمت سُحيراً تنفسَ كالشجيِّ لها الخليُّ

وقال ابن المعتز:

ومارِيحُ قاعٍ عازبٍ طلّه الندى وروضٌ من الريحانِ درّتْ سحائبُه
فجاءت سُحَيراً بينَ يومٍ وليلةٍ كما جرَّ في ذيلِ الغلالة ساحبُه

وقد أحسن التشبيه أيضاً في قوله:

ومهمهٍ كرداءِ الوشي مُشتبهٍ نَفذْتُه والدجى والصبح خيطان
والريحُ تجذبُ أطرافَ الرداءِ كما أفضى الشفيقُ إلى تنبيه وسنان

وقلت:

وأقبلَ نشرُ الروضِ في نفسِ الصبا فباتَ به ثوبُ الهواءِ مُكفرا (١)

ومما لم يجيء في معناه مثل قول بشار: أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي قال حدثنا المكتفي بالله يوماً أنه كان نائماً فسمع دق باب فانتبه لمرتاعاً ثم سكن قليلاً ثم عاد فنظر فاذا الريحُ تحركُ الباب حركةً كأنها دق بيد، قال فقلتُ له قد ذكر الشاعر ذلك وما هو فأنشدته لبشار:

طرقتني صباً فحركتِ البا بَ هُدُوّاً فارتعتُ منهُ ارتيابا
فكأني سمعتُ حسَّ حبيبٍ نقرَ البابَ نقرةً ثم هابا

قال ما كنت أظنُّ أنه قيل في هذا شيء وما أقل ما يجري مما لم يذكرهُ الناس.

وقال ابن الرومي وأحسن:

لولا فواكهُ أيلولٍ إذا اجتمعت من كلِّ نوعٍ ورقَّ الجوُّ والماءُ
إذاً لما حمّلت نفسي متى اشتملت عليهِ هائلةَ الحالين غبراء
ياحبذا ليلُ أيلولٍ إذا بردت فيهِ مضاجعُنا والريح سجواءُ
وجشَ القرُّ فيه الجلدَ وائتلفت من الضجيعين أحشاءٌ وأحشاءُ

(١) أي فيه كافور.

وأسفر القمر الساري فصفحته ... ريّانها من صفاء الجو لألاء
ياحبذا نفحة من ريحه سحراً ... يأتيك فيها من الريحان أنباء
قل فيه ماشئت من شوق تعهده ... في كل يوم يد الله بيضاء

وقلت : وله مجنح الأصيل نسيم ... ابن العطف هين الخطران
أرج يقتدي به نفس المسك وتحكيه نكهة الزعفران
كم غدا مدنفاً وراح حسيراً ... يتهادى في دجلة المسرقان
فرأينا له لبوس شجاع ... ووجدنا بها ارتعاش جبان

وإلى هذا انتهى بنا القول في هذا الباب ولو أردنا استقصاءه أضجرنا وأملنا ولم نأت على ما في نفوسنا منه ، والاقتصار على المشاهير[1] والأعيان منه أولى وبالله التوفيق.

انقضى الباب السابع من كتاب ديوان المعاني والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قمع الضلالة ودمغ الجهالة وقذف بالحق على الباطل فأزهقه وأزاله منه حتى أوبقه بما أقام من الدلائل الواضحة وبين من الشواهد اللائحة وجعل لخلقه حدوداً حذرهم تعديها وخوفهم تخطيها بالقول الصادق والبيان الصادع إعذاراً وتحذيراً وحجة وتنبيها فمن لم يثنه عما سبق من صدق قوله وحتم أمره ونهيه حكم فيه السيف وسلط عليه السوط ليرده إلى سبيل الحق بعد أن يجعلاه نكالاً للخلق والله عليم حكيم . وصلى الله على نبيه محمد وآله أجمعين. وهو حسبنا ونعم الوكيل .

---

(١) يرى بعضهم عدم جواز جمع (مشهور) على (مشاهير) بل مشهورين .

﴿هذا كتاب المبالغة﴾

فى صفات الحرب والسلاح والطعن والضرب وما يجرى مع ذلك ، وهو :

الباب الثامن من كتاب ديوان المعانى

قالوا أبلغُ ماقيل في صفة الحرب قول الأوّل :

كأنّ الأفقَ محفوفٌ بنارٍ ... وتحتَ النارِ آسادٌ تزيرُ

وقريب منه قول مُحدث [1] :

ويوم كأن المصطلينَ بحرّهِ ... وان لم يكن جمرٌ وقوفٌ على جمرِ

صبرنا له حتى تجلى وإنما ... تُفَرَّجُ أيامُ الكريهةِ بالصبرِ

ومن بليغ ما قيل فى شدة الروع قول زيد الخيل :

والخيلُ تعلمُ أنى كنتُ فارسَها ... يوم الأكس به من تحتهِ روق

وقول المفضل الكندى :

فداهُ خالتى ابنى حيٍّ ... خصوصاً يومَ كسُّ القومِ روقُ

معناه ان الأكس وهو القصيرُ الأسنان قد كلح من كراهة الحال وشدة الروع حتى تراه كأنه أروق وهو الطويل الأسنان ، أخذَهُ أبو تمام فأجاده في قوله * فخيل من شدة التعبيس مبتسماً * على أنه ليس فيه مَدح لأن الكلوح في الحرب لايدل على الشجاعة . ومما يدخل فى هذا الباب وليس منه قول أبى فراس بن حمدان فى خيل طاردت يوم ثلج :

ويوم كأن الأرضَ شابت لهولهِ ... قطعتُ بخيلٍ حشو فرسانها الصبرُ

---

(١) هذا البيت لنهشل بن حرى التميمى فهو ليس لمحدث وقد حضر حرب صفين ، ولعله أراد بمحدث أنه ليس بجاهلى ـ كما في هامش الأصل .

تسيرُ على مثلِ الملاءِ منشراً وآثارها طُرزٌ وأطرافها حُمرُ

أجود ماقيل في اصطفاف الخيل قول الأسعر :

وكتيبة لبّستها بكتيبة حتى تقولَ نساؤهم هذا الفتى
يخرجنَ من خلل الغبار عوابساً كأنامل المقرور اقسى فاصطلى
يتخالسونَ نفوسَهم برماحهم فبمثلهم باهى المباهى وانتمى

ومن أجود ماقيل في انصباب الخيل في الغارة قول ضمرة بن ضمرة :

والخيلُ من خلل الغبارِ خوارجٌ كالتمر ينثر من جراب الجرمِ[1]

وقال آخر :

وربَّتَ غارةٍ أوضعتُ فيها كسحِّ الخزرجيِّ جريمَ تمرِ

وقد أحسن الاعرابي في قوله :

تُقاذفُ بالغاراتِ عباً وطيئاً وقد هربت منا تميمٌ ومذحجُ
بغزوٍ كولغ الذئبِ غادٍ ورائح وكسرٍ كصدعِ السيفِ لا يتعرجُ

وقال أبو فراس :

وسمرٍ أعادٍ يلمعُ البيضُ بينهم وبيضٍ أعادٍ في أكفهم السمرُ
وخيلٍ يلوحُ الخيرُ بينَ عُيونها ونصلٍ إذا ماشيمتهُ نزلَ النصرُ
وقومٍ متى ما ألقهم رَوِيَ القنا وأرضٍ متى ماأغزها سُبعَ النسرُ

ومن أبلغ ماقيل في اعمال السيف قول عمرو بن كلثوم :

كأن سيوفنا فينا وفيهم مخاريق[2] بأيدي لاعبينا

وقول قيس بن الخطيم : كأن بدي بالسيف مخراق لاعب

ومن أحسن ماقيل في الضرب قول الحماني :

وإنا لنصبحُ أسيافنا إذا ما انتضين ليوم سُفوكْ
منابرُهنَّ بُطونُ الاكفِّ وأغمادُهنَّ رؤوسُ الملوكْ

---

(١) جمع جارم الذي يجني التمر. (٢) المخراق خرقة يلوبها الصبيان ويديرونها بسرعة.

أخذه من قول سعيد بن ناشب :

فانَّ أسيافنا بيضٌ مُهندةٌ عتقٌ وآثارها فى هامكم جُددُ
وإن هويتم سِلناها فما غمدت إلاوهامُ بنى بكرٍ لها غمدُ

وقال مسلم * ونغمد السيف بين النحر والجيد * وقال أيضاً :

لو انَّ قوماً يخلقونَ منيةً من بأسهم كانوا بنى جبريلا
قومٌ إذا احمرَّ الهجيرُ من الوغى جعلوا الجماجمَ للسيوف مقيلا

وقال حسان : وبِيَرْبُ تملأُ أنابها أسود تنفضُ ألبادَها
إذا ما غضبنا بأسيافنا جعلنا الجماجمَ أغمادها

وأحسن ماقيل في الضربة الدامية قول ابن المعتز :

شَقَّ الصفوفَ بسيفهِ وشفى حزازاتِ الأحَنّ
دامي الجراح كأنه وردٌ تفتح في قَنَنْ

ومن عجيب ماقيل فى كثرة الطعن يقع فى الجسد قول بعضهم :

فلولاَ اللهُ والمهرُ المفدَّى لرحتَ وأنت غِربالُ الاهاب

وقال قيس بن الخطيم فى سعة الطعنة :

طعنتُ ابنَ عبدِ القيسِ طعنةَ ثائرٍ لها نَفَذٌ لولا الشُّعاعُ أضاءها
ملكتُ بها كفى فأنهرتُ فتقها يَرَى قائمٌ من دونها ماورا ءها

ومن أبلغ ماقيل فى مضاء السيف قول النمر بن تولب :

أبقى الحوادثُ والأيامُ من نمرٍ أسبَادَ سَيفٍ قديم اثرهُ بادى
تظلُّ تحفِرُ عنهُ ان ضربت به بُعد الذراعينِ والساقينِ والهادى

وهذا من الافراط والغلوّ وهو عند بعضهم مذمومٌ إذا كان فى هذا الحدّ وعند آخرين ممدوحٌ ، بقول إذا ضربت به قطع المضروبَ وتجاوزه حتى غاص فى الأرض فاحتجتَ أن تحفرَ عنه فتستخرجه . ودون ذلك فى الغلو قول النابغة :

يطيرُ قُضاضاً بينهم كلُّ قونسٍ (١) ويتبعها منهم فراشُ الحواجب
تَقُدُّ السَّلوقيَّ المضاعفَ نسجُهُ وتوقد بالصُّفَّاحِ نارَ الجباجب (٢)

يقول انها تقدّ الدرعَ التي ضُوعف نسجها والفارس حتى تبلغ الأرض فتقدح النار بالصُّفَّاح : وهي حجارة . ومن بليغ ماقيلَ في صفة السيف قول ابن يامين قال محمد بن داود بن الجراح عن أبي هفان عن الايامي القاضي عن الهيثم بن عدي قال لما صار سيف عمرو بن معدي كرب الذي يُسمى الصمصامة إلى الهادي وكان عمرو وهبه لسعيد بن العاص فتوارثه ولده الى أن مات المهدي فاشتراه موسى الهادي منهم بمال جليل وكان موسى من أوسع بني العباس خُلقاً وأكثرهم عطاء للمال قال فجرّده ووضعه بين يديه وأذن للشعراء فدخلوا ودعا بمكتل فيه دنانير فقال قولوا في هذا السيف فبدرهم ابن يامين فقال :

حازَ صمصامةَ الزُّبيديِّ من بيـ ـنِ جميعِ الأنامِ موسى الأمينُ
سيفُ عمرٍو وكانَ فيما سمعنا خيرَ ماأُغمدت عليه الجفون
أورقدت فوقَهُ الصواعقُ ناراً ثم شابت به الزُّعاف القُيون
فاذا ماهززته (٣) بهرَ الشمـ ـسَ ضياءً فلم تكن تستبين
يستطيرُ الأبصار كالقبسِ المشـ ـعلِ ماتستقرُّ فيه العيون
وكأن الفرندَ والجوهرَ الجا رِيَ في صفحتيه ماءٌ معينُ
نِعمَ مِخراقُ ذي الحفيظة في الهيـ ـجا بمضَّانها ونعمَ القرينُ
مايبالي إذا انتضاهُ لضربٍ أشمالٌ سطت به أم يمين
وكأن المنونَ نِيطت اليه فهو من كلِّ جانبيه مَنون

أُخِذَ عليه من هذه الأبيات تشبيهه السيف بالشمس ثم بالقبس لأنه قد حطه درجات ، فقال موسى أصبتَ مافي نفسي واستخفه الفرحُ فأمر له بالمكتل والسيف

(١) قُضاضاً متفرقا : والقونس أعلى الرأس . (٢) السلوق : درع منسوب لبلدة سلوق ، والجباجب ماقتدح من شرر النار . (٣) في نسخة « سللته » .

فلما خرج قال الشعراء : إنما حرمتم لأجلى فدونكم المكتل ولى فى هذا السيف غنى ، قال فقام موسى فاشترى السيف منه بمال جزيل ه .

وذكر الهيثم بن عدى هبة عمر بن معدى كرب[1] الصمصامة لسعيد بن العاص فقال قال سعيد بن العاص وهو بالكوفة لعمر بن معدى كرب هب لى الصمصامة فانك قد ضعفت عن حمله وكان وزنه ستة أرطال فقال عمرو ما ضعفت قناتى ولا جنانى ولا لسانى وان اختل جثمانى وهو لك على انه اوحش من لا يؤنسه وأظلم من لا يقبسه[2] ثم قال :

خليلٌ لم أهبهُ من قِلاهُ ... ولكنَّ المواهبَ فى الكرام
خليلٌ لم أُخنهُ ولم يخُنّى ... على الصمصامِ أضعافُ السلام

قوله « أوحش من لا يؤنسه وأظلم من لا يُقبسه » يقول اذا كنتُ أستوحش من جانب العدو آنسنى واذا أظلم لىَ الليل اضاء لى . وقال البحترى :

مُصْغٍ الى حُكم الردَى فاذا مضى ... لم يلتفت واذا قضى لم يعدل
متوقّد يَسبرى بأوّل ضربة ... ما أدركتْ ولو أنها فى يذبل
فاذا أصابَ فكلُّ شىء مَقتلٌ ... واذا أصيبَ فماله من مقتل
يغشى الوغى فالترسُ ليس بجنة ... من حدّهِ والدرعُ ليس بمَعقِل

وذكر عمرو بن معدى كرب أنواع السلاح فأجاد: أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو عبد الله بن عرفة قال أخبرنا أحمد بن يحيى عن ابن الاعرابى قال حدثنى رجلٌ من ولد أبى سرحة الغفارى قال قدم عمرو بن معدى كرب على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فسأله عن سعد بن أبى وقاص فقال عمرو اعرابىٌّ فى نمرته عاتقٌ فى حجلته أسدٌ فى تامورته نبطىٌّ فى جبايته . فقال كيف علمك بالسلاح ؟ فقال بَصيرٌ قال فأخبرنى عن النبل قال منايا تخطئ وتصيب قال فأخبرنى عن الرمح

---

(١) كذا ولعل صواب رسمها « معديكرب » . (٢) لعل المعنى أن من لم يؤنسه هذا السيف أصابته الوحشة ومن لم يقبسه عمته الظلمة . كما فى هامش الأصل .

قال أخوك وربما خانك قال فأخبرني عن الترس قال هو المجنّ وعليه تدور الدوائر قال فأخبرني عن السيف قال عنده قارعت أمّك الثكلى قال بل أمك والحمى أضرعتني لك . المِغفر كساءٌ أسودُ تلبسه الاعراب ، والعاتق الجارية الكعاب وصفه بالحياء والتامورةُ ههنا الاجمة ، فقال نبطيٌّ في جبايته وصفه بالاستقصاء في جباية الخراج ، وقوله الحمى أضرعتني لك أي الاسلام قيّدني لك وأذلني ولو كنتُ في الجاهلية ما كلمني بهذا الكلام ، وهو مثلٌ العرب تضربُه عند الشيء يضطرها الى الخضوع .

ومثل ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن دُريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال قال الاغرّ النهشلي ووقع بينه وبين قومه شرٌّ فأرسل ابنه وقال يا بُنَيَّ كن بدءاً لأصحابك على قتالهم وإياك والسيف فانه خِلُّ الموت واتّق الرمح فانه رشأ المنية ولا تقرب السهام فانها رُسُلٌ تعصي وتُطيع قال فبم أقاتل ؟ قال بما قال الشاعر :

جلاميدُ املاء الاكُفّ كأنها رؤوسُ رجالٍ حلّقت في المواسم

فعليك بها فألصقها بالاعقاب والسوق .

وقد أحسن التنوخي في صفة الحرب حيث يقول :

في موقف وقفَ الحمامُ ولم يَزِغ عن ساحتيه وزاغت الابصارُ
فَقَناً يسيلُ من الدماء على قنا بطوالهنّ تُقَصَّرُ الاعمارُ
ورؤوسُ أبطالٍ تطايرُ بالظبى فكأنها تحتَ الغبار غبارُ

وقد أجاد ابن المعتز في هذا المعنى حيث يقول :

قومٌ اذا غضبوا على أعدائهم جَرّوا الحديدَ أزجّةً ودُروعا
وكأنّ أيديهم تُغَيِّرُ عنهمُ طيراً على الأبدانِ كُنّ وُقوعا

وقال أيضاً :

بطعنٍ تضيعُ الكفُّ في لَمَوانهِ وضربٍ كشقّ الرداءُ المرَعبَل

وقال أيضاً :

قَرَينا بعضَهم طعناً وجيعاً وضرباً مثلَ أفواهِ اللقاح

وقال البحترى وأحسن فى ذلك :

ألوى اذا طعنَ المدجج صكهُ ... ليديهِ أونـثرَ القناة كُعوبا
فأنا النذيرُ لمن تغطرسَ أوطغى ... من مارنٍ يدعُ النُحورَ جُيوبا

وقد ظرّف فى قوله أيضاً :

ولولم يحاجز لؤلؤٌ بفراره ... لكانَ لصدرِ الرُمح فى لؤلؤ ثقب

ومن المختار قول مالك بن نُويرة :

بسُمرٍ كأشطانِ[1] الجزُورِ نواهلٍ ... يجور بها ذو المنايا ويهتـدى
يقمنَ معاً فيهم بأيدى كأننا ... كأنَّ المنايا للرماح بموعـد

ومن أبلغ ماقيل فى صفة الضرب والطعن من قديم الشعر قول عبدمناف بن ربعى :

فالطعنُ شعشعةٌ والضربُ هيقعة ... ضربَ المُعَوِّلِ تحتَ الديمة العضدا
وللقسىّ أزاميـلٌ وغمغمةٌ ... حِسُّ الجنوب تسوّى الماءَ والبردا

الهيقعة : وقع الشىء الصُلب على مثله سمعت هيقعة الحجر والحـديد ، وشبّه أصوات القسى بصوت السحاب الذى فيه برد ، والمعول الذى يتخذ العالة وهو أن يعمد الراعى اذا خاف المطر إلى الشجر يتعضده ويجعل عضده على شجرتين متقاربتين ويستكن تحته ، والعضُد مايعضد من الشجر أى يُقطَع والعضُد المصدر.

ومن أجود ماقيل فى نفوذ التدبير فى الحرب مع الغيبة عنها قول ابن الرومى فى صاعد :

يَظلُّ من الحرب العوان بمعزل ... وآثارهُ فيها وان غابَ شُـهَّدُ
كما احتجبَ المقدارُ والحـكمُ حُكمهُ ... على الناسِ طراً ليس عنه مُعَرَّدُ[2]

أخذه من قول بشار بن برد :

الدهـرُ طلاعٌ بأحـداثهِ ... ورُسـلهُ فيها المقادير
محجوبة تُنفذ أحكامَها ... ليسَ لنا عن ذاكَ تأخـيرُ

وقال: حصرتَ عبدَ العزيز حتى تخاذلت ... قواهُ وأودى زاده المُتزودُ

---

(١) جمع شطن وهو الحبل . (٢) أى مهرب .

وكانت نواحيه كثافاً فلم تزل ... تحيفها حتى كأنك مبردُ
تُفرقُ عنهُ بالمكايد جُندَهُ ... وتزدارهم جنداً وجيشك محصد(١)
سكنت سكوناً كان رهناً بوثبة ... عماس كذاك الليثُ للوثبِ يلبدُ
فما رمتهُ حتى استقلَّ برأسه ... مكان قناة الظهر أسمرُ أجرد
منالك له مقدارهُ فكأنما ... تقوّضَ نهلانٌ عليه وصندَد

فقال صندد بفتح حرف الزدف وهو خطأ وليس في العربية فعلل إلا درهم وهجرع وهو الطويل الأحمق ، وهبلع وهو الكثير البلع ، وقلعم وهو الكثير القلع للأشياء ، وكان بنى قصيدته على فتح الزدف ولم يلزمه ذلك وكابر على فتح صندد ورمدد وهما مكسوران فزعم محمد بن حبيب أنه رواهما بالفتح ، وكابر أيضاً على فتح الراء من « درم » فى قصيدته التى أولها :

* أفيضا دماً ان الرزايا لها قِيم * وانما هو « دَرِم » .

وأحسن ما قيل فى الكيد والحرب قول أبى تمام :

هززتَ له سيفاً من الكيد انما ... تجذ به الاعناق بالمِ مجرّد
يسرُّ الذى يسطو به وهو مغمدٌ ... ويفضحُ من يسطو به غيرَ مغمد

يقول ان أخفيت الكيد ظفرت وسررت وان أظهرته افتضحت وخبت .

وقد أحسن فى وصف الرماح حيث يقول :

أنهبتَ أرواحهُ الأرماح إذ شرعت ... فما تُردُّ لريبِ الموتِ عنهُ يدُ
كأنها وهى فى الأرواحِ والغةٌ ... وفي الكلى تجدُ الغيظَ الذى يجدُ
من كلِّ أزرقَ نظارٍ بلا نظرٍ ... الى المقاتلِ مافى متنهِ أوَدُ
كأنه كان خِدنَ الحبِّ مُذ زمنٍ ... فليس يُعجزهُ قلبٌ ولا كبد

ويُشبّه بياض السيف بالملح ثم أجود ماقيل فيه قول النمرى :

ذكرٌ يرونقه الدماءُ كأنما ... يسلو الرجالَ بأُرجوان فاقع

---

(١) أى قوى مجتمع متضافر .

وترى مضارب شفرتيه كأنها ملحٌ تناثرَ من وراءِ الدارع

ويُشَبَّه الفرند بمدبِّ الذّر فمن قديم ما قيل فيه قول امرىء القيس :

مُتوَسِّداً عَضْباً مضاربُه في مَتنهِ كمدبةِ النمل

وقول أوس بن حجر :

وذو شطبات قدَّهُ ابن مُجَدَّع له رَونقٌ ذرِّيه بيضٌ كلُّ

وأشبرنيه الهالكيُّ كأنه غديرٌ جرى في متنه الريحُ سلسل

وأخرج منه القينُ أثراً كأنه مَدَبُّ دبًا سودٍ سرى وهو مسهل

وقال ابن المعتز وأبدع :

وجرَّدَ من اغمادِهِ كلَّ مُرهَفٍ إذا ماانتضته الكفُّ كاد يسيلُ

ترى فوقَ متنيهِ الفِرندَ كأنما تنفسَ فيهِ القينُ وهو صقيلُ

وقال اسحق بن خلف :

ألقى بجانبِ خصرهِ أمضى من الأجلِ المُتاح

وكأنما فرَّ الهبا ءَ عليه أنفاسُ الرِّياح

وقال قيسُ بنُ الخطيم :

أجالدُهم يومَ الحديقةِ حاسراً كأن يدي بالسيفِ مخراقُ لاعب

بسيفٍ كأنَّ الماءَ في صفحاتهِ طحاريرُ غيمٍ أو قُرونُ جنادبِ

أخذه ابنُ المعتز فقال :

ولي صارمٌ فيهِ المنايا كوامنٌ فما ينتضى إلا لسفكِ دماءِ

ترى فوقَ متنيهِ الفِرندَ كأنه بقيَّةُ غيمٍ رقَّ دون سماءِ

وقد أجاد ابن الرومي في قوله :

خيرُ ماستعصمت به الكفُّ عضب ذكرٌ متنهُ أنيثُ الهزِّ

ماتأمَّلتَه بعينك إلا أبرقت صفحتاهُ من غيرِ هزِّ

مثله أفزعَ الشجاعَ الى الدّر ع ففالى به على كلِّ برِّ

ما أبالى أصمّت شفرتاهُ في محزٍّ أو جازتا عن محزّ

وقال آخر : جرّدوها فألبسوها المنايا عِوضاً عوضت من الاغمادِ

وكأنّ الآجالَ ممن أرادوا وُظباها كانت على ميعادِ

وقلت : تميلُ كفى من سيفٍ الى قلمٍ والعزُّ نصفانِ بين السيفِ والقلمِ

وقال ابن المعتزّ :

وسيوفٍ كأنها حين سُلت ورق هزّهُ سُقوطُ قطارِ

ودروعٍ كأنّها شَمَطٌ جعْـــدٌ دهينٌ يضلُّ فيها المدارى

وقال ابنُ الأعرابى أحسن ماقيلَ فى صفة الرماح :

وبكلّ عرّاصِ المهزّةِ مارنٍ فيه سنانٌ مثلُ ضوءِ الفرقد

أحسن ماقيل في صفة الرماح قول المزرد :

أصم إذا ما هُزّ مالت سراته كما مال ثعبانُ الرمالِ المواثل

له رائدٌ ماضى الغرار كأنه هلالٌ بدا في ظلمةِ الليلِ ناحل

وقال الأصمعى أحسن ماقيل فى صفة الرمح قول أبى زبيد :

وأسمر مربوعٌ يرى ماأرينه بصيرٌ إذا صوّبته للمقاتل

وقال ابن الأعرابى أحسن ماقيل في ذلك قول مسكين :

بكلّ رُدَيْنىٍّ كأنّ كعوبَه قطا نسق يستورد الماءَ صائف

كأن هلالاً لاح فوق سراته جلا الغيمَ عنهُ والقتامَ الحراجف[1]

وأحسن ما قيل فى سرعة وقع الرماح وتداركه قول دريد بن الصمة :

نظرتُ اليهِ والرماحُ تنوشهُ كوقع الصياصى فى النسيج الممددِ

الصيصية الشوك الذى يسوى به الحائك الثوبَ ، والصيصية أيضاً الحصن

ويقال للناشز من ساق الديك الصيصية أيضاً . وقد أحسن البحترى في قوله :

في معرك ضنك تخالُ به القنا بين الضلوع إذا انحنينَ ضلوعا

---

(١) الحراجف : فاعل جلا وهي الرياح الشديدة :

وأجود ماقيل في إدمان حمل الرمح قول الآخر :

وقد طالَ حملي الرُّمحَ حتى كأنهُ ... على فرسي غُصنٌ من البانِ نابتُ

يطولُ لساني في العشيرةِ مُصلحاً ... على أنه يومَ الكريهةِ ساكتُ

والسكوت في الحرب دليل على سكون الجأش ، وكثرة الصوت فيها أمارة الفزع ، وقد قيل * وكثرة الصوت والايعاد من فشل * وقلتُ في الرمح :

يغدو بصدقِ الكعوبِ آدَنَ ... يهتزُّ ما بينَ كوكبينِ

أعني الزج والسنان . وقال البحتري :

كأنما الحربة في كفهِ ... نجمٌ دُجى شيمهُ البدرُ

وقد شبهت العرب الرماح بالأشطان والاسنة بالشهبان فتركنا ذكر ذلك لشهرته واستفاضته . أجود ماقيل في القوس من قديم الشعر قول أوس بن حجر[1] وهو أوصف العرب للسلاح :

فجرَّدها صفراء لا الطولُ عابها ... ولا قِصرٌ أزرَى بها فتعطلا

كتوم ملاءِ الكفِّ لا دونَ مثلها ... ولا عجسٌ عن موضعِ الكفِّ أفضلا

وحشو جفيرٍ[2] من فروعِ غرائبٍ ... تنطعَ فيها صانعٌ وتأمَّلا

تُخيرنَ أنضاءً وركبنَ أنصلاً ... كجمرِ الغضا في يومِ ريحٍ تزيَّلا

وقال الشماخ في صوت القوس :

إذا أنبضَ الرامونَ عنها ترنَّمت ... ترنُّمَ ثكلى أوجعتها الجنائزُ

وقال آخر: وهي اذا أنبضت عنها نسجمُ ... ترنم الثكلى أبتْ لا تهجعُ

وقال آخر: تسمعُ عندَ النزعِ والتوتيرِ ... في سيتيها رنّة الطنبورِ

وقال الاصمعي : أحسن كلام في الايجاز قول عكلي في صفة قوس :

* في كفه معطيةٌ منوع * ومن أحسن ماقاله محدث في القوس قول ابن المعتز بالله :

---

(١) هو الشاعر التميمي المشهور ، عمر طويلاً ولم يدرك الاسلام .

(٢) أي ورب حشو الخ ، وحشو الجفير هو السهام ، والجفير الكنانة .

أتيح لها هنانٌ يخطم قوسه (١) بأصفر حنان القرى (٢) غير أعزلا
فأودعهُ سهماً كفرى مواشط بعثن به فى مفرق فتفاغلا
بطيئاً اذا أسرعتَ إطلاقَ فوقه ولكن اذا أبطأتَ فى النزع عجلا

وأجود ماشُبِّه به أفواقُ السِّهام قول الآخر :

أفواقها حشوُ الجفير كأنها أفواهُ أفرخة من النِّغران

والنغران جمع نغرة وهى عصفورة . وقال الفنَدُ الزمانى (٣) :

* ونبلى وقفاها كمراقيب قطاً طحل * أخذه عتّابُ بن ورقاء فقال (٤) :

وحطّ عن منكبهِ شريانة مما اصطفى مارى القسىّ وانتقى
أمّ بنات عَدَّها صانعُها ستّين فى كنانة مما يرى
ذات رؤوس كالصابيح لها أسافلٌ مثل عراقيب القطا
ان حُرِّكت حنت الى أولادها كحنة الواله من فقد الطلا (٥)
حتى اذا ماقُرنت بعضها لانت ومال طرفاها وانثنى

وقال ابن الرومي فى قوس بندق (٦) :

كأنّ قَراها والغرور (٧) التى بها وان لم تجدها العينُ الا تتبُّعا
مذَرٌّ سحيقِ المسك فوقَ صلابة أدبَّ عليها دارجُ الذَّر أكرُعا
لها أولٌ طوع اليدين وآخرٌ اذا سُمتَهُ الاغراقَ فيه تمنعا
تطوعُ لراميها الرمايا كأنما دعاها لهُ داعى المنايا فأسمعا
يُقلبُ نحو الجوّ عيناً بصيرةً كعينك بل أذكى ذكاءً وأسرعا

---

(١) جعل الاثر بمنزلة الخطام . (٢) القرى: الظهر . (٣) الفند الزمانى اسمه شهل بن شيبان ، وهو الشاعر الجاهلى ، كان سيد بكر وقائدها فى زمانه .
(٤) من أمراء العرب الأبطال . (٥) هو الصغير من أولاد الحيوان .
(٦) كرة صغيرة يقذفون بها . (٧) الغرور : الغضون

لها عولةٌ أولى بها من نصيبهُ وأجدرُ بالأعوالِ من كان موجعا

وهذا مثل قوله فى امرأة :

تشكى المحبَّ وتلفى الدهرَ شاكيةً كالقوسِ تصمى الرمايا وهى رنان

وقال المتنبى فى سداد الرمى :

يُصيبُ ببعضها أفواقَ بعض فلولا الكسرُ لا نصلت قضيبا

وقال الراجز فى ضد ذلك :

مستهترٌ بالرمى واهٍ عضده يطيعهُ القلبُ وتعصيه يدُهْ
أحصن شىء يومَ يرمي طَرَدَه كأنَّهُ فؤاده أو كبدُه

وقال ابن الرومى فى سهام :

وكل ابن ريح يسبقُ الطرفَ معجه مَروقٌ ومنزوعٌ لدى حومةِ الجذب
صنيعُ مريشٌ قوَّمَ القينُ متنهُ فجاءَ كما سُلَّ النخاعُ من الصلب
يغاغلهُ فى الدرع نصلٌ كأنهُ لسانُ شجاعٍ محرج همَّ بالسلبِ

وقال ابن المعتز فى قوس البندق :

وماءٍ به الطيرُ مربوطةٌ تحاكي الحلىَّ بأطواقها
غدونا عليهِ وشمسُ النهار لم تكسهُ ثوبَ إشراقها
فظلنا وظلت عُيونُ القسىِّ ترمى الطيورَ بأحداقها

وقد أحسن القائل فى صفة الرماح على العواتق :

ترى غابةَ الخطىِّ فوقَ رؤوسهم كما أشرفت فوقَ الصوار [1] قرونها

ومما يجرى مع ذلك قول أبى فراس بن حمدان :

وما الذنبُ إلا العريركبهُ الفتى وما ذنبهُ ان جاوزتهُ المطالبُ
ومن كان غير السيفِ كافل رزقهِ فللذلِّ منهُ لا محالةَ جانب

وما جاء عن أهل الجاهلية فى النشاب شىءٌ إلا قول سيف بن

(١) الصوار : جماعة بقر الوحش .

ذى يزن يذكر القوس :

هَزُّوا بنات الرياح نحوهمُ أعوجُها طامحٌ وزمزمها
كأنها بالفضاء أرشيةٌ يخفُّ منقوضها ومُبرَمُها

فأما النبلُ فقد جاء فيها عنهم شيءٌ كثيرٌ .

أجود ما قيل في الدروع : قال أبو عبيدة أحسن ماقيل فيها قول كعب بن زهير :

وبيض من النسج القديم كأنها نهاء (١) بقاع ماؤها متراي (٢)
تصفقها هوجُ الرياح إذا صفت وتعقبها الأمطارُ فالماءُ راجع

وهو مأخوذٌ من قول امرىء القيس :

تَفيضُ على المرءِ أردانها كفيض الأتى (٣) على الجلمدِ

وقال البحترى :

يمشون فى زرد كأنَّ متونها فى كل معركةٍ متونَ نهاءِ
بيضٌ تسيل على الكماة فضولها سيلَ السرابِ بقفرة بيداء
وإذا الأسنةُ خالطتها خلتها فيها خيال كواكبٍ في ماءِ

ومعنى البيت الأخير دقيقٌ غريبٌ حسنٌ مصيبٌ ما أظنه سبق اليه .

ومن مليح ماجاء فى صفة الدرع قول بعض بنى هاشم :

وعلىَّ سابغةُ الذُّبولِ كأنها سلخٌ كسانيهِ الشجاعُ الأرقم

ومن مليح ماجاء فى صفة الحرب ما أخبرنا به أبو القاسم عن العقدي عن أبى جعفر عن المدائنى قال قال رجل من بنى تميم لعبادى: لم يكن لآل نصر بن ربيعة صولة فى الحرب قال لقد قلت بُطلاً ونطقت خطلاً كانوا والله إذا أطلقوا عُقل الحرب رأيت فرساناً تمور كرجل الجراد وتدافع كتدافع الامداد فى فيلق حافاته الاسل يضطرب عليها الاجل إذا هاجت لم تتناه دون بلوغ ارادتها ومنتهى غايات طلباتها لا يدفعها دافع ولا يقوم لها جمعٌ جامع وقد وثقت بالظفر لعزِّ أنفسها

(١) جمع نهى وهو الغدير (٢) أى متردد. (٣) أى الجدول .

وأيقنت بالغلبة لضراوة عادتها فلها العلوُّ والتمكينُ ولمن ناوأها الذلُّ والتوهينُ خصَّت بذلك على العرب أجمعين . وممـا يجرى مع ذلك ما أخبرنا به أبو القسم عن العقدى عن أبي جعفر قال أنشد جريرٌ هشام بن عبد الملك :

لقومىَ أحمى الحقيقةِ منكمُ وأضربُ للجبّار والنقعُ ساطع
وأوثقُ عندَ المُرْدَفاتِ عشيةً لحاقاً إذا ماجرَّدَ السيف لامعُ

فقال هشام لم تركتَ نساءك حتى أُردفن ألا جعلتهن كنسوة الخَبّل فما سمعنا بعربيات قط أمنع منهن حيثُ يقول :

وساقطة كُور الخمار حييّة على ظهر عُرْى زالَ عنها جلالهُا
تَشُدُّ يديها بالسنامِ وقد رأت مُسوَّمةً يأوى اليها رِعالها
نزلنا فساقينا الكُماةَ دماءَها سجال المنايا حيث تُسقى سجالها

وأجود ماقيل فى ثبات الرجال في الحرب قول الحرث بن عبّاد :

قَرِّبا مربطَ النعامةِ منى لقَحَتْ حربٌ وائل عن حِيال
قَرِّباها فانَّ كفىَ رهنٌ ان تزولَ الجبالُ قبل الرجال

وقد وصف اللهُ ذلك فى كتابه فقال (ان اللهَ يُحبُّ الذينَ يُقاتِلونَ فى سَبيلِهِ صَفّاً كأنَّهم بُنيانٌ مَرْصُوصٌ)ولم يصف أحدٌ من المتقدّمين والمتأخرين القتال في المراكب إلا البحترى: أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا الصولى قال سمعتُ عبد الله بن المعتز يقولُ لم يكن للبُحترى إلا قصيدته السينية فى وصف ايوان كسرى فليس للعرب سينية مثلها ، وقصيدته فى البركة « ميلوا الى الدار من ليلى نحييها » واعتذاراته فى قصائده الى الفتح التى ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة الى النعمان مثلها ، وقصيدته فى دينار بن عبد الله التى وصف فيها مالم يصفه أحدٌ قبله أولها « ألم تر تغليس الربيع المبكر » ووصف حرب المراكب فى البحر لكان أشعر الناس في زمانه فكيف إذا أضيف الى هذا صفاء مدحه ورقة تشبيهه . وكان كثيراً مَا ينشد له ويعجبُ من جودته :

غدوتُ على المأمونِ صُبحاً وإنما غدا المركبُ الميمونُ تحتَ المظفَّرِ
إذا زجرَ النوقَ فوقَ علاتهِ رأيتَ خطيباً فى ذُؤابةِ منبرِ
يَغضُّونَ دُونَ الاستلامِ عيونهم وقوفَ السماطِ للعظيمِ المؤمَّرِ
إذا ما علت فيه الجنوبُ اعتلى له جناحا عُقابٍ فى السماءِ مُهجِّرِ
إذا ما انكفا فى هَبوةِ الماءِ خلتَهُ تلفعَ فى اثناءِ بُردٍ محبَّرِ
وحولك ركّابونَ للهولِ عاقروا كؤوسَ الردى من دارعينَ وحُسَّرِ
تميلُ المنايا حيثُ مالت أكفُّهم إذا أصلتوا حدَّ الحديدِ المذكَّرِ
إذا رشقوا بالنارِ لم يكُ رشقهم ليُقلعَ إلا عن شواءٍ مُقتَّرِ
صدمتَ بهم صُهبَ العثانين دونهم ضِرابٌ كايقادِ اللظى المتسعرِ
كأنّ ضجيجَ البحرِ بينَ رماحهم إذا اختلفت ترجيعُ عودٍ مُجرجرِ
تقارب من زحفيهم فكأنما تؤلفُ من أعناقِ وحشٍ منفرِ
فما رحتَ حتى أجلتِ الحربَ عن طُلى مقطعةٍ فيهم وهامٍ مُطيرِ
على حين لا نقمٌ بطوّحه الصبا على الارضِ باقٍ للصريعِ المقطرِ
وكنتَ ابنَ كسرى قبلَ ذاكَ وبعدهُ مليّاً بأن توهى صَفاةَ ابنِ قيصرِ
جدحتَ له الموتَ الزعافَ فمافهُ وطار على ألواحِ شطبٍ مسمَّرِ
مضى وهو مولى الربحِ يشكرُ فضلها عليه ومن يولى الصنيعةَ يَشكُرِ

ومن أجود ماقيل فى السهم من قديم الشعر قول عنترة :

أبينا فما نُعطي السَّوامَ عدونا قياماً باعضادِ السراءِ [1] المعطَّفِ
بكلِّ هتوفٍ عجسها رَضويّةٍ [2] وسهمٍ كسيرِ الحيريِّ الموقفِ

وقال راشد بن سهاب [3] اليشكرى :

ونبلٍ قران كالنسورِ سلاجِمٍ وفلقٍ هتوفٍ لاسقيٍّ ولا نَشَمِ

(١) السراء : شجر تصنع منه السهام . (٢) نسبة إلى رضوى .
(٣) سهاب ككتاب بالسين المهملة ـ على مافى القاموس .

ومُطَّرِدِ الكعبين أحمر عاقد وذات قتير فى مواصلها دَرَم

صف النبل والقوس والرمح والدرع في بيتين فأحسن ، والادرم الاملس الذى لحمه ، والسلاجم الطوال ، والسقى الذى يشرب الماء ، والنشم شجر .

ومن أجود ماقيل في البيض من قديم الشعر قول سلامة بن جندل[1] :

اذا ماعلونا ظهرَ نشز كأنما على الهام منا قَيْضُ بيض مفلَّق

وقول الآخر * كأنّ نعام الدَّوّ باض عليهم * ورواه بعضهم : كأن نعاج الجو باض عليهم * فقيل له أخطأت من وجهين أحدهما أن النعاج لاتكون فى الجو والآخر انها لاتبيض . ومن أحسن ماقيل فيه قول ابن المعتز :

وبيضٍ كأنصاف البدور أبية اذا امتحنتهنّ السيوفُ خِيارُ

فتشبيهها بأنصاف البدور تشبيه غريب مصيب .

أجود ماقيل في اتباع الرجال الرئيس فى الحرب قول البحترى :

حمرُ السيوفِ كأنما ضربت لهم أيدى القيونِ صفائحاً من عسجد

في فتية طلبوا غُبارك انّهُ رَهجٌ ترفّع عن طريقِ الفرقد

كالرمح فيه بضعُ عشرة فقرة مُنقادة خلفَ السنانِ الاصيدِ

وقد أحسن ابن هرمة فى قوله وهو فى غير هذا المعنى :

اذا شَدُّوا عمائمهم ثنوها على كرمٍ وان سفروا أثاروا

يبيعُ ويشترى لهمُ سواهم ولكن في الطعانِ هُمُ التجار

ومن أجود ماقيل فى صفة الشجاع الجواد قول الآخر :

خُلِقت أنامله لقائم مُرهَفٍ ولبثّ عارفة وذروة منبرِ

يلقى الرماحَ بوجهه وبصدره ويُقيمُ هامتَهُ مقامَ المِغفَرِ

ويقولُ للطَّرفِ اصطبرلشبا القنا فهدمتُ ركنَ المجدِ إن لم تعقَرِ

واذا تأملَ شخصَ ضيفٍ مقبلٍ مُتسربلٍ سربالَ ليلٍ أغبر

---

(١) هو الشاعر الجاهلى التميمى الحجازى ، يُعَدُّ فى طبقة امرئ القيس .

أوما الى الكَوْماء هذا طارقٌ تحَرَّتنيَ الاعداءُ إن لم تحَرِ[1]

ومن أبلغ ما حُذِّرَ به الحرب قول بعض العجم : دافع بالحرب ما أمكن فان النفقة فى كل شىء من الأموال إلا الحرب فان النفقة فيها من الأرواح .

وقال النابغة الجعدى :

وتسلبُ المالَ الذى كانَ رَبَّها ضنيناً به[2] والحربُ فيها الخرائبُ

فتبعه أبو تمام فقال . والحربُ مشتقة من الحرب . وقول جدل الطعان :

دعانى أشبُّ الحرب بينى وبينهُ فقلتُ له لا بل هَلُمَّ الى السِّلم

وإياك والحرب التى لاأديمها صحيحٌ وما تنفكُّ تأتى على الرغم

فان يظفر الحزبُ الذى أنتَ منهمُ وينقلبوا ملءَ الأكفِّ من الغُنم

فلا بُدَّ من قتلى لعلك فيهمُ وإلا فجرحٌ لايكون على العظم

فلما أبى خلّيتُ فضلَ ردائهِ عليهِ فلم يرجع بحزم ولاعزم

وكان صريع الخيل أوَّلَ وهلةٍ فبعداً له مختارَ جهلٍ على علم

ومن أجود ماقيل فى تهوين الحرب والقتل ماأنشدناه أبو أحمد فى خبر أخبرناه عن الصولى عن عبيد الله السكونى قال دخل محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علىّ على بعض أمراء الكوفة وقد جرى عليه ظلمٌ فلم ينصفه فخرج من عنده وقال :

ياأيها الرجلُ الذى بيمينه غيثُ الزمان وصولةُ الحدثان

أنعم صباحاً بالسيوف وبالقنا انّ السيوفَ تحيةُ الفتيان

قد أبطرتكَ سلامةٌ فنسيتَ ما أسلفتَ من بر ومن إحسان

والدهرُ خدنُ مسرّةٍ ومضرّةٍ مُتقلّبٌ بالناسِ ذو ألوان

يخاطب نفسهُ ويأمرها بمجاهرة السلطان بالعصيان إذ ليس عندَه للظلم نكير فيكون ذلك سبباً للحرب فيحيى بالسيوف فلا يفزع فانها تحيةُ الفتيان .

وقال علىُّ بن جبلة :

---

(١) تقدم بعض هذه الأبيات فى الجزء الاول . (٢) فى الاصل « بها » .

كأنَّ ارماحهُ تعطى إذا عملت تحتَ العجاجةِ أسماعاً وأبصارا

ومن أحسن ماقيل في تقسيم الخيل في الحرب قول النابغة : أخبرنا أبو أحمد قال أنشدنا محمد بن يحيى قال أنشدنا المبرِّدُ قول النابغة وذكر أنه أحسن ماقيل فى تقسيم الخيل فى الحرب :

خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غيرُ صائمةٍ تحت العجاج وخيلٌ تعلكُ اللُّجُما

قال ثعلبُ قلتُ لابن الأعرابى الصائمة التى لا تصهل وغير الصائمة التى تصهل فما هذه الأخرى ؟ قال التى تعلك اللجم في الكمين .

أخذه محمد بن مسلمة البشرى يصف تأديبه فرسهُ :

عوَّدْتهُ فيما يزور حبائبى إمهالهُ وكذاك كلُّ مُخاطر

فاذا احتبي قربوسه بعنانه علك الشكيمَ الى انصراف الزائر

ومن أجود ماقيل في ارتفاع الغُبار ولمعان الأسنة فيه من قديم الشعر قول النابغة:

تبدو كواكبُهُ والشمسُ طالعةٌ نوراً بنورٍ وإظلاماً بأظلام

قالوا أراد قول الناس : لأرينك الكواكب نهاراً ، وقالوا أراد توضح الاسنة في سواد العجاج . ومن أحسن ماقيل في ذلك قول بشار :

كأن مثارَ النقع فوقَ رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه

وقال النمرى: ليل من النقع لا شمسٌ ولا قمر إلا جبينك والمذروبةُ الشرُع

وقول ابن المعتز :

وعمَّ السماءَ النقعُ حتى كأنه دخانٌ وأطرافُ الرماح شرارُ

وأبلغ ماقيل فى الاقدام والاقتدار على العدو قول بعضهم :

عشيةَ كنا بالخيارِ عليهم أننقصُ من أعمارهم أم نزيدها

ومن بديع المعانى فى صفة اللقاء قول بعض الأعراب :

على كلِّ جرداءِ القَرى [1] أعوجيةٍ إذا طرَدت لم ينجُ منها طريدها

(١) القرى : الظهر .

وما قادَ من قوم الينا جيادَهم فلاقاهمُ إلا رجعنا نقودها

وقلت في معناه :

الى ابن الأولى شادوا المعالىَ بالظبى وعَشّوا البرايا بالنهى والرغائب
إذا طلبوا رَوحَ الحياةِ وطيبها فبين سواقِ للردَى وحواصب
إذا البيضُ في سُود القساطل أنجمٌ غوارُبُ تهوى في الطلى والغوارب
وتحماهم يومَ الكريهةِ ضُمَّرٌ تشولُ الى الهيجاءِ شَولَ العقارب
فكم وقفة في الروع منهم وحملةٍ أثارت بناتِ الحتفِ من كلّ جانب
تَردُّ الجياد تحت قسطلة الوغى جنائب أو تقتادها في الجنائب
بأبيض مصقولٍ كأنّ بحدّه ضرائبَ من تصميمه في الضرائب

ومن أجود ماقيل في كثرة الجيش قول الأخنس بن شريق [1] :

بجأواءَ يفنى وردُها سَرعانها كأن وميض البرقِ فيها كواكبُ

الجأواء : الكتيبة يضربُ لونها الى الكلفة وذلك من صدأ الحديد ، والسرعان : الأوائل ، يقول ان المياه لاتسعهم والأمكنة تضيقُ بهم فكلما نزل فرقة منهم رحل من تقدمهم . وقال أوس بن حجر :

ترى الأرضَ منا بالفضاءِ مريضةً مُعضلةً منا بجمع عرمرم

التعضيل ان ينشب الولدُ في بطن أمه . ومثله قول النابغة :

جمعٌ يظلُّ به الفضاء مُعضلاً [2] يدعُ الاكامَ كأنهنّ صحارى

وأعجب من هذا قول زيد الخيل [3] :

---

(١) لعله الأخنس بن شهاب التغلبي الشجاع الجاهلي الذي حضر حرب البسوس وقال فيها شعراً . (٢) عضل المكان تعضيلا ضاق ، والأرض بأهلها غصت .

(٣) لقب بزيد الخيل لكثرة خيله ، وهو زيد بن مهلل أحد أبطال الجاهلية كان إذا ركب الفرس خطت رجلاه في الأرض ، كان خطيباً شاعراً كريما ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد قومه طيىء وأسلم وسُرّ به الرسول ﷺ

بجيش تضل البلق في حجراته ترى الأكم فيه سجداً للحوافر
وجمع كمثل الليل مرتجر الوغى كثير تواليه سريع البوادر

أخبرنا أبو أحمد عن العبشمي عن المبرد قال يروى عن حماد الراوية قال قالت ليلى بنت عروة بن زيد الخيل لأبيها كم كانت خيل أبيك حيث يقول * بجيش تضل البلق في حجراته * قال ثلاثة أفراس أحدها فرسه. قالوا وقتلت خثعم رجلاً من بني سليم بن منصور فقالت أخته ترثيه :

لعمري وما عمري على بهين لنعم الفتى غادرتم آل خثعما
وكان إذا ما أورد الخيل بيشة[1] إلى جنب اشراج أناخ فألجما
فأرسلها رهواً كأن رعالها جراد زهته ريح نجد فأتهما

فقيل لها كم كانت خيل أخيك قالت اللهم لا أعرف إلا فرسه. قوله « تضل البلق في حجراته » غاية في صفة الكثرة لأن البلق مشاهير فاذا خفي مكانها في جمع فليس وراءه في الكثرة شيء ، والعرب تقول أشهر من فارس الأبلق ، ورؤساء العرب لا يركبون البلق في الحرب لئلا ينم عليهم فيقصدوا بشر.

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة أن النبي ﷺ لما انصرف من بدر الموعد لم يلق كيداً وأصحابه سبعون راكباً وفيهم فرسان فرس الزبير وفرس المقداد[2] قال حسان بن ثابت :

أقمنا على الرسّ النزوع[3] لياليا بأرعن جرار عريض المبارك
ترى العرفج الحولي[4] تذرى أصوله مناسم أخفاف المطيّ الرواتك
إذا ارتحلوا عن منزل خلت أنه قريب المدى بالموسم المتعارك
نسير فلا تنجو اليعافير وسطنا وان دامت منا بشد مواشك

---

(١) بيشة : بلد. (٢) كان هذا في بدر الأولى لا بدر الثانية.
(٣) في ديوان حسان «النزيع» وكلاهما جائز.
(٤) في الديوان « العامي» وكذلك في بعض الالفاظ اختلاف.

دعوا فلجات الشام قد حال دونها ضراب كأفواه المطى الأوارك
بأيدى رجال هاجروا نحو ربهم وأنصاره حقاً وأيدى الملائك
إذا أقبل الغضروط من أرض عالج فقولا له ليس الطريق هنالك

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ويضحك . ومثل هذا فى ترهيب العدو حسن . وقال أبو دغفل بن شداد الكلابى في المعنى الذى تقدم :

وأقبل عامر من ابن سيراً إلينا ثم أقسم لا يديم
بجمع تهلك البلقاء فيه فتنشد والمفضضة اللطيم

ومن بليغ ماقاله محدث في كثرة الجيش وتكاثفه واجتماعه قول أبى نواس :

امام خميس أدجوان كأنه قميص محوك من قنا وجياد

الأدجوان : الأسود واشتقاقه من الدجى ، وروى الارجوان وهو الأحمر وقال البحترى :

لما أتاك يقود جيشاً أرعناً يمشى عليه كثافة وجموعا

وقال ابن الرومى :

فلو حصبتهم بالفضاء سحابة لظل عليهم حصبها يتدحرج

وهو من قول قيس بن الخطيم :

لو انك تلقى حنظلاً فوق بيضنا تدحرج عن ذى سامة المتقارب

السام : عرق الذهب والفضة وهو ههنا الطرائق المذهبة في البيض. وقلت :

ولقد نقود الخيل تخطر بالقنا فتصبهن على العدى آجالا
ما إن يلين لها مدى فتخالها تجرى بطاة إذ جرين عجالا

وقال أبو عمرو بن العلاء أحسن ماقيل فى صفة جيش قول النابغة :

أو يزجروا مكفهراً لا كفاء له كالليل يخلط أصراماً باصرام
تبدو كواكبه والشمس طالعة نوراً بنور وإظلاماً باظلام[1]

(١) فى ديوان النابغة المطبوع اختلاف عما ورد هنا .

فذكر ذلك ليونس فقال أحسن منه قول العجّاج :

كأنما زهاؤه لمن جهر ليلٌ ورزٌ وغرّه إذا وغر

سارٍ سرى من قِبَلِ العين فجر

الأول أحسن عندى . ومن أجود ماقيل فى صفة السوط قول الشعبي :

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل قال كان الشعبي إذا تحدّث كأنّه لم يُسْمَعْ من غيره لحلاوة منطقه وعذوبة لفظه فتحدّث يوماً فقال له رجلٌ كان يجالسه يقال له حُنيش : اتق الله ولا تكذب فقال له الشعبي ما أحوجك الى محدوج عظيم الثُّرة لبن المِهزّة أحد من مغرز عُنقٍ الى عجب ذنب فيوضعُ على مثل ذلك منك فيكثر لك رقصانك من غير جذل . قال وماهو بأبي أنت وأمّي ؟ قال أمرٌ لك فيه أدبٌ ولنا فيه أربٌ . يعنى السوط .

ومن أحسن ماوُصف به الرأسُ اذا حُمِل على القناة قول مُسلم :

ويجعل الهام تيجان القنا الذُّبُلِ ، مأخوذ من قول جرير * تيجان كسرى وقيصرا *

ومن أجود ماقيل فى المصلوب ماأنشدنيه بعضُ البصريين :

أنظر اليه[1] كأنّه فى جذعه لما توشّح بالجبالِ ودُرّما

رامٍ رمى عن قوسه بمذلّقٍ وأراد صحةَ رميه فتسمّما

وهذا من أتم ماقيل فيه . ومن المستحسن فيه قول البحترى :

فتراه مُطّرداً[2] على أعوادِه مثلَ اطّراد كواكب الجوزاءِ

وقول ابن الرومى :

يلعبُ الدستبندَ[3] فرداً وان كا نَ له شاغلٌ عن الدستبند

وقال مُسلم بن الوليد :

---

(١) فى الأصل «الىّ» . (٢) أى مستقيماً . (٣) لعل الدستبند لعبة يأخ
فيها الرجال أو النساء بعضهم بأيدى بعض ويرقصون ، وهذا يمدبده ليرقص وحده

كأنَّهُ شِلو (١) كبشٍ والهواءُ لهُ تنورُ شاويةٍ والجذعُ سفُّود (٢)

ومما يجرى مع ذلك ماأخبرنا به أبو القسم عن العُقدى عن أبى جعفر عن المدائنى قال قال بعض أهل خراسان لوكيع كيف قتلت ابن خازم ؟ قال لما صرع قعدت على صدره فحاول القيام فلم يقدر فغلبته بفضل القنا وقات بالثارات دوبلة فقال لعنك الله أتقتل كبش مضر بأخيك علج لايساوى كف نوى وتنخّم فى وجهى فما رأيت أحداً أكثر ريقاً منه . فذكر ابن هُبيرة يوماً هذا الحديث فقال هل البسالة إلا أن يكثر الريق على تلك الحال .

ومن جيد ماقيل فى طرائق الذمّ على المطعون قول أبى خراش الهذلى :

ونهنهتُ أولى القوم عنى بطعنة كأوشحة العذراء ذات القلائد

أوشحة جمع وشاح وهو سيرٌ كأنَّهُ شراكٌ عليه ودعٌ فشبه لون الدم بالسير والزبد بالودع . ومما يجرى مع ذلك ذكر الحذر من الموتور ماقات فيه :

لا تأمنَنَّ أخا العداوة إنهُ إن أمكنتهُ فرصةٌ لم يُمهل

لله دَرُّكَ كيفَ تأمنُ محنقاً تغلى عداوةُ صدرهِ فى مِرجل

مالحزمُ إلافى اجتناثِ أُصوله والايمُ (٣) لم يؤمن إذا لم يقتلِ

ومن الجيد ماقيل فى سعة الطعنة قول بشر :

إذا نفذتهم كرت عليهم بطعنٍ مثل أفواه الخبور (٤)

الخبرُ المزادة والجمع خبور . وقال عمرو بن شاس (٥) :

بطعنٍ كابزاغ (٦) المخاضِ إذا انتقت وضربٍ كأفواهِ المفرجة الهدل

شبه اللحم الذى يتدلى من فم الجرح بمشفر البعير الذى به قروح فى فمه

---

(١) الشلو : المسلوخ . (٢) السفود كتنور : الحديدة التى يشوى بها .

(٣) الايم :الثعبان . (٤) الخبور: القرب .

(٥) هو الشاعر الجاهلى الاسدى ، شهد القادسية فى الاسلام ، وله أشعار فيها .

(٦) إبزاغها أن ترفع ذيلها وتقذف بشىء من حياها على سائقها .

فيهدل لها مشفره . وقال عمرو بن شاس أيضاً :

وأسيافنا آثارهنّ كأنها مشافر قرحى فى مبارکها هُدلُ

وقال غيره :

بضرب كآذان الفراء فضولهُ وطعن كايزاغ المخاض تبورها

الفراء جمع الفرا وهو حمار الوحش . وقال خلف الأحمر :

وأطعن الشجساجة المشاشله على غشاشٍ دَهَش وعجله

يردُّ فى نحرِ الطبيبِ فتله

أى يسح الدم، ويشاشله : يفرقه . وقال خداش بن زهير [1] :

وطعنةٍ خلس كفرع الأزاء [2] أفرغ فى مشعبِ الحائر

تبالُ العوائدُ من فرغها [3] تَردُّ السبار على السابرِ

السبار الشيء الذى تسبر به الطعنة أى تقدر والسابر الذى يسبرها ؛ والحائر المطمئن من الأرض المرتفع الخروف والجمع حوران ؛ والمشعب مسيل الماء .

هذا آخر صفة الحرب والسلاح وما يجرى معهما ؛ والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطاهرين وعلى الخلفاء الراشدين .

---

(١) شاعر جاهلى من أشراف بنى عامر وشجعانهم ؛ أكثر شعره فى الحماسة والفخر.

(٢) هو منفذ الماء إلى الحوض . (٣) أى أن من بعدنه فى مرضه يبولهن فرغ الضربة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى قسم البيان بين القلم واللسان لتكون النعمة فيه مشتركة بين الغائب والحاضر والمقيم والمسافر اتماماً للنعمة على عباده واكمالاً للمعارفة في عمارة بلاده ودل على موضع الصنيعة في البيان ونبه على موضع المعارفة في اللسان حيث يقول تعالى (الرَّحْمنُ عَلَّمَ القُرْآنَ خَلَقَ الانْسَانَ عَلَّمَهُ البَيَانَ) وأخبر عن عظيم قدر القلم وما تضمن من سوابغ النعم حيث يقول تعالى (إقْرَأْ وَرَبُّكَ الأكْرَمُ الذى عَلَّمَ بالْقَلَمْ عَلَّمَ الانْسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ) وأعلى قدره وفخم أمره حين أقسم به على أجل أمر وأنبله وأشرفه وأفضله فقال (نَ والْقَلَمِ وما يَسْطُرُونَ) فسبحان من جعل جلائل النعم وسوابغ الآلاء والقسم فى شخص ضئيل وقد قصير تقل قيمته وتصغر قمته مع جلالة شأنه وعلو مكانه .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

فى صفة الخط والقلم والدواة والقرطاس ، وذكر البلاغة

وما يجرى مع ذلك ، وهو :

﴿الباب التاسع من كتاب ديوان المعانى وهو ثلاثة فصول﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

فى ذكر الخط والقلم والدواة والقرطاس وما يسلك مع ذلك

من أحسن الاستعارة فى ذكر الخط قول عبيد الله بن العباس بن الحسن

العلوى الخط لسان اليد . وقال جعفر بن يحيى : الخط سمط الحكمة به يفصل شذورها وينظم منثورها . وقلت فى معناه :

الكتبُ عُقلُ شوارد الكلم والخطُّ خيطُ فرائد الحكم
بالخطِّ نُظِّمَ كلُّ منتثر منها وفُصلَ كل مُنتظم
والسيفُ وهو بحيثُ تعرفهُ فرضٌ عليه عبادةُ القلم

واختلف الناسُ فى الخط واللفظ فقال بعضهم الخط أفضل من اللفظ لأن اللفظ يُفهم الحاضر والخط يُفهمُ الحاضر والغائب . وقال بعضهم الخط كلامٌ ميت والمخاطب به حى يُمكن صاحبه أن يُبصرَه حتى يبلغ منه غرضهُ .

ومن أعاجيب الخط كثرة اختلافه والأصل واحدٌ كاختلاف صُور الناس مع اجتماعهم فى الصفة وخط الانسان كحليته ونعته فى اللزوم له والدلالة عليه والاضافة اليه كاضافة القافة الآثار الى أصحابها .

ومن أحسن ماقيل فى حُسن الخط والشكل قول أحمد بن اسمعيل :

مستودِعٌ قِرطاسَهُ حكما كالروضِ ميَّز بينهُ زَهَرُه
وكأنَّ أحرُفَ خطهِ شجرٌ والشكلُ في أضعافه ثمره

ووصف أحمدُ بن صالح جارية كاتبة فقال كأن خطها أشكال صورتها وكأن مدادها سواد شعرها وكأن قرطاسها أديمُ وجهها وكأن قلمها بعضُ أناملها وكأن بيانها سحرُ مُقلتها وكأن سِكّينها سيفُ لحظها وكأن مِقطها قلب عاشقها .

وقلت : وخط من التصحيح فيه معالِمٌ من الحسن إذ يبدو عليه سبيبُ
يُعَبِّرُ عنه الروضُ وهو مُنمنمٌ ويُخبر عنهُ الوشيُ وهو قشيبُ
سوادُ مِدادٍ فى بياض صحيفة يقول شبابٌ بالمشيبِ مَشوبُ
كأنَّ ظلامَ الليلِ أذرَى دموعَه فظلَّت على خدِّ الصباح تصوب

ومن غريب ماقيل فى الشكل ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدنا الصولى قال أنشدنى عبد الله بن المعتز لنفسه :

فـد و نَكَـهُ مُوشّى نمنمتـهُ وحاكتهُ الأنامل أىّ حوكِ
بشكلٍ يؤمنُ الاشـكالُ فيه كأنّ سُطورَهُ أغصانُ شوكِ

وقلت : بياضٌ صحيفةٍ تلتاحُ حُسناً كمتنِ السيفِ فى كفّ المليح
كغيمٍ رقّ فى أطرافِ جوٍّ وماءٍ ساحَ فى قاعٍ فسيح
ويحكى أرض كافور صريح بها نَبْذٌ من المسكِ الذبيح
كمثل الليلِ فى صُبحٍ صديعٍ ومثلِ الصُّدغِ في وجهٍ صبيح
وبين سُطورهِ نجمٌ[1] مُصيبٌ كمثلِ الخالِ فى الخدّ المليح

وأحسن ماقيل فى صفة الخط الجيد ما أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا الصولى قال سُئل بعضُ الكتاب عن الخط متى يستحق أن يوصَفَ بالجودة فقال : إذا اعتدلت أقسامُه وطالت ألفه ولامه واستقامت سُطوره وضاهى صعودُ حُدوره ونفتحت عيونه ولم تشتبه راؤه ونونه وأشرق قِرطاسه وأظلمت انقاسُه[2] ولم تختلف أجناسُه وأسرع فى العيون تصوُّره والى العقول تثمره وقُدِّرَتْ فصوله واندمجت وصوله وتناسب دقيقه وجليله وخرج عن نمط الورّاقين وبَعُد عن تصنُّع المحررين وقام لكاتبه مقام النسبة والحلية كان حينئذ كما قيل فى صفة الخط :

إذا ما تجـلل قرطاسَـه وساوَرَه القلمُ الأرقش
تضمنَ من خطهِ حُلةً كمثلِ الدنانير أو أنقش
حروفاً تُعيدُ لعين الكليل نشاطاً ويقرؤها الاخفش

ومن ههنا أخذ المتنبي قوله :

أنا الذى نظرَ الأعمى الى أدبى وأسمعت كلماتى من به صممُ

إلا أنه أحسن الاخذ وأجاد اللفظ . ومن مليح التشبيه قول الاعرابى وقد قال له هشام بن عبد الملك أنظر كم على هذا الميل من عدد الأميال، ولم يكن الأعرابى

---

(١) العجم : النقط. (٢) انقس بالكسر : المداد ج أنقاس .

يحسنُ القراءة فمضى فنظر ثم عاد فقال رأيتُ شيئاً كرأس المحجن مُتصلاً بحلقة صغيرة تتبعها ثلاث كاظباء الكلبة يفضى الى هنة كأنها قطاةٌ بلا منقار . ففهم هشام بالصفة أنها «خمسة» (١) .

أخبرنا أبو أحمد عن الصُّولى عن أبى العباس الربعى عن الطلحى عن أحمد ابن ابراهيم قال دخل اعرابىٌّ الى الرشيد فأنشده أرجوزةً واسمعيل يكتب بين يديه كتاباً وكان أحسن الناس خطاً وأسرعهم يداً وخاطراً فقال الرشيد للاعرابى صف هذا الكاتب فقال ما رأيت أطيش من قلمه ولا أثبت من كلمه ثم قال ارتجالاً :

رقيقُ حواشى الحلم حينَ تَبورُهُ ... يريك الهوينا والأمورُ تطيرُ
له قلما بُوسَى ونُعمى كلاهما ... سحابتهُ فى الحالتين دَرُورُ
يناجيك عما فى ضميرك لحظهُ ... ويفتحُ بابَ الأمر وهو عسير

فقال الرشيد قد وجب لك يا اعرابى حق عليه هو يقضيك إياه وحق علينا فيه نحنُ نقومُ به ، ادفعوا اليه دية الحُرّ ، فقال اسماعيلُ وله على عبدك دية العبد . قوله « رقيق حواشى الحلم » ردىء لانّ الحلم يُوصَفُ بالرزانة لا بالرقة ، واستعمل أبو تمام هذا اللفظ فعيب به . وقوله « يريك الهوينا والأمور تطير » رويناه لمنصور النمرى .

وفاخر صاحبُ قلم صاحبَ سيف فقال صاحبُ القلم أنا أقتل بلا غرر وأنت تقتل على غرر . قال صاحبُ السيف القلمُ خادمُ السيف ان بلغ مراده وإلا فالى السيف معاده أما سمعتَ قول أبى تمام :

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ ... فى حدّهِ الحدُّ بين الجدّ واللعب

وأبى ذلك ابن الرومي فقال :

كذا قضى الله للاقلام مُذْ بُرِيَتْ ... انَّ السيوفَ لها مُذ أرهفت خدم

---

(١) كانت مكتوبة بالحروف فرأس المحجن الخاء والحلقة الصغيرة الميم .

وقال أيضاً :

لعمرك ماالسيفُ سيفُ الكمى ... بأخوفَ من قلمِ الكاتبِ
لهُ شاهدٌ إنْ تأملتَهُ ... ظهرتَ على سرّهِ الغائبِ
اداةُ المنيةِ في جانبيهِ ... فمن مثلهِ رَهَبُ الراهبِ
سِنانُ المنيةِ في جانبٍ ... وسيفُ المنيةِ في جانب
ألم تَرَ في صدرهِ كالسنانِ ... وفي الرّدفِ كالمرهفِ العاضبِ

وقد أحسن الخالدى فى قوله :

فى كفّ ليث الورى للندى ... وفى كفّ ليث الشرى فى الغياض

وقلت : أبيت بالليلِ غريبَ الكرى ... يأخذُ منى الدرسُ والكتبُ
وقيمُ الحكمةِ فى أنملى ... يصوغُ مايسبكهُ اللُّبُّ
أنفُ ضميرى حينَ أرعفتهُ ... أفرغ ماستوعبهُ القلبُ
لسانُ كفّى حينَ أنطقتهُ ... أرضاك منهُ المنطقُ العذب
مُنحَّفٌ فى خلقه ذابلٌ ... مُعظَّمٌ في فعلهِ ندبُ
ان لم يكن كالعضبِ فى حدّهِ ... فانه في فعلهِ عضبُ
ينكسهُ المرءُ فيعلو به ... وربَّ نكسٍ غبَّهُ نصبُ
ومُذْ عرفنا لذّةَ العلمِ لا ... يُعجبنا الحلوُ ولا العذب

وقال البحترى في تفضيل السيف على القلم :

ولما التقت أقلامكم وسيوفهم ... أبدّت بُغاثَ الطيرِ زرقَ الجوارح
فلا غرّنى من بعدكم عزُّ كاتبٍ ... اذا هو لم يأخذ بحجزة رامح

ومن أحسن ماوُصِف به القلم قول أبى تمام فى محمد بن عبد الملك الزيات

لك القلمُ الأعلى الذى بشباتهِ ... تُنالُ من الأمرِ الكلى والمفاصل
لعابُ الافاعى القاتلاتِ لعابهُ ... وأرْيُ جنى شاراته أيد عواسل
له ريقةٌ طلٌّ ولكن وقعها ... بآثارهِ في الشرقِ والغربِ وابل

فصيحٌ اذا استنطقتهُ وهو راكبٌ وأعجمُ إن خاطبتهُ وهو راجلُ
إذا ما امتطى الخمس اللطاف وأفرغت عليه شعابُ الفكر وهي حوافل
أطاعته أطراف الرماح وقوّضت لنجواه تقويض الخيام الجحافل
إذا استفزر الذهن الذكي وأقبلت أعاليه في القرطاس وهي أسافل
وقد رفدته الخنصران وسدّدت ثلاثَ نواحيه الثلاثُ الأنامل
رأيت جليلا شأنه وهو مرهفٌ ضنى وسميناً خطبه وهو ناحل

وقد أحسن القائل في تشبيه أنامل الكاتب على القلم بالقلم أنشدناه أبو أحمد عن الصولى عن أحمد بن محمد بن إسحق :

ماضر من أضنى بهجرانه قلبَ كئيبِ القلبِ حرّانه
لو فرجَ الكربةَ عن مُدنفٍ تشفُّهُ لوعة أحزانه
برقمةٍ ينظمها كفه نظمَ لآليه ومرجانه
بمرهفِ الأحشاءِ ذي حُلةٍ موشيّةٍ ترفعُ من شانه
لمابهُ يسرٌ وعسرٌ اذا جاد به تقليحُ أسنانه
إذا امتطاه بشبيهاته (١) كشّف أسراراً باعلانه
يركض في ميدانِ قرطاسهِ ركضَ جوادٍ وسط ميدانه

وأحسن القصار في هذا المعنى يصف جارية كاتبة اسمها علم :

أفدي البنانَ وحسنَ الخطّ من علمٍ إذا تقمعن بالحناء والكتم (٢)
حتى اذا قابلت قرطاسها يَدُها ترى ثلاثةَ أقلامٍ على قلم

ومن أحسن ماقيل في الدواة والاقلام قول أحمد بن اسماعيل :

في كفهِ مثلُ سنانِ الصعده أرقش بزّ الأفعوانُ جلدَه
يلتهمُ الجيشَ اللهامَ وحده لو صادمَ الطودَ المنيفَ هدّه
لو صافحَ السيفَ الحسامَ قدّه يأوي الى ظلّ له مُحتدّه

---

١) في الأصل « امتطاه شبيهاً به » . (٢) نبت يخلط بالحناء، واذا طبخ صار مدادا

يُمزَجُ فيها صَبِرٌ بشُهده يُرضعها من مقلةٍ مُسوده
يَمُدُّها جارٍ كثيف العُدّه كأنّه الليـــلُ اذا استمدّه
مُقلتُها مكحولة بِمَدّه

وقلت فى القلم :

أنظر الى قـلمٍ تنكسَ رأسهُ ليَضُمَّ بينَ موصلٍ ومُفَصَّلِ
تنظر إلى مخلابِ ليثٍ ضيغمٍ وغرارِ مسنونِ المضاربِ مفصل
يبـدو لناظرهِ بلونٍ أصفرٍ ومدامعٍ سودٍ وجسمٍ مُنحل
فالدَّرجُ أبيضُ مثل خدٍ واضحٍ بثنيهِ أسودُ مثـل طرفٍ أكحل
قسم العطايا والمنـايا في الورى فاذا نظرتَ اليـه فاحذر وأمل
طعمانِ شوبُ حلاوةٍ بمرارةٍ كالدهرِ يخلطُ شَهدَهُ[1] بالحنظل
فاذا تصرَّفَ في يديكَ عِنانُه ألحقتَ فيـهِ مُؤمّلاً بمؤمّـل
ومُذلّلاً بمُعزِّزٍ ولربّما ألحقتَ فيـه معزَّزاً بمذلّل

وقلت : الك القلمُ الجارى ببؤسٍ وأنعم فمنها بوادٍ ترتجى وعـوائدُ
اذا ملأ القرطاس سود سطوره فتلك أسودٌ تُتقى وأساودُ
فتلك جنانٌ تجتنى ثمراتُها ويلقاك من أنغامهنّ بوارِدُ
وهنّ برودٌ مالهنّ مناسِجٌ وهنّ عقودٌ مالهنّ معاقِدُ
وهنّ حياةٌ للولىّ رضيةٌ وهُنّ حتوفٌ للعدوّ رواصد

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا أبو بكر أحمد بن محمد بن الفضل الطائى قال أنشدني أبو الحسين بن أبي البغل :

لهم هِمَمٌ تُناطُ إلى الثريا وتحكم فى الطريف وفى التلاد
وأقلامٌ تشبهها سُيوفاً مُهنَّدةً هوادٍ فى الهوادى

---

(١) فى الأصل « شُهده » بضم الشين وهو سائغ فقد جاء فى القاموس « الشهد بالفتح وبضم » .

يُخطُّ بهـا سوادٌ فى بياضٍ فتحسبهُ بياضاً فى سوادِ
إذا فزِعَ الصريخُ أمدَّ خيلاً بخيـل تستثارُ من المـداد

وقد أحسن ابن الرومي فى وصف الكتاب حيث يقول :

متمنطقٌ من جـلده متختمٌ من خصره
أبداً تراهُ وصـدره فى بطنـه أو ظهره

وقال ابن المعتز يذكر أرضةً أكلت كتاباً :

شـغلى إذا ما كانَ للناسِ شـغل دفترٌ فقه أو حـديث أو غَزَل
أرقطُ ذو لونٍ كشيبِ المكتهل تخالهُ مكتحـلاً وما اكتحل
راكبُ كفٍّ أينَ ماشاءَ رحل وهو دليـلٌ لمقـالٍ أو عمـل
يقيمُ وزنَ العقل حـتى يعتـدل ويُذكرُ الناسىَ ما كان أضل
كأنه ينشرُ عن نقش حلل يخاطب اللحظَ بنطقٍ لا يكل
ولا يملُّ صاحباً حتى يمل

ثم قال فى وصف الأرضة « تأكل أثمـار القلوب لا أكل * وكتب الصاحب فى وصف كتاب : وصل كتابك فجمات يوم وصوله عيداً أؤرخ به أيام بهجتى وأفتتح به موافيت غبطتى وعرفت من خبر سلامتك ما سألت الله الكريم أن يصله بالدوام ويرفعه على أبدى الأيام . وكتب أيضاً : وصل كتابه أيده الله بضحك عن أخلاقه الارجة ويتهلل عن عشرته البهجة ويخبر عن عارية الله إياه عمـا رأيت شمل الحرية به منتظما وشعب المروءة له ملتئما ويتحمل من أنواع بره ما أقصر عن ذكره ولا أطمع فى شكره ويؤدى من لطيف اعتذاره فى أثناء عتبه ما تزداد به أسباب السرور تمهداً . وقلت في كتاب أكلته الأرضة :

وجليس حسنُ المحـــضرِ مأمونُ المغيبِ
ميتٌ يُخبرُ حياً بخفيـاتِ الغيوبِ
أبلهٌ غيرُ لبيبٍ وهو فى حالِ اللبيب

جاهلٌ غيرُ أديبٍ وهو عونٌ للأديب
أخرسٌ غيرُ خطيبٍ ولهُ لفظُ الخطيب
مفحمٌ ينظمُ شعراً مثلَ إقبالِ الحبيب
ساكتٌ يروى حديثاً مثلَ إعراضِ الرقيب
نمقتهُ الكفُّ حتى هو كالوشى القشيب
من سوادٍ وبياضٍ كشبابٍ ومشيب
فيه إمتاعٌ لأبصا رٍ وأنسٌ للقلوب
دبَّ فيهنَّ دبيبٌ كان من شرِّ الدبيب
من صغيراتِ جسومٍ وكبيراتِ الذنوب
أخذت منها نصيباً فالتوى منها نصيبي
أفرحتْ قلبَ جهولٍ وكوت قلبَ لبيب
ويل هاتيك المعانى من بديعٍ وغريب
وأفانينِ كلامٍ بين سهلٍ وصليب
من بديعٍ وفصيحٍ وصحيحٍ ومُصيب
بُدِّلَ الاصلاحُ منهـ ـنَّ بافسادٍ عجيب
فنجومُ العلمِ والفهـ ـمِ تهاوت للغروب
كلُّ شيءٍ سوفَ يفنى عن بعيدٍ وقريب

ومن بديع ما وُصف به الورّاق ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولى عن أحمد بن يزيد المهلبى عن أبى هفّان قال سألتُ ورّاقاً عن حاله فقال : عيشى أضيق من محبرة وجسمى أدق من مسطرة ، وجاهى أرق من الزجاج وحظى أخفى من شق القلم ويدى أضعف من قصبة وطعامى أمرّ من العفص وشرابى أسود من الحبر وسوء الحال ألزم لى من الصمغ . فقلت عبرت عن بلاء ببلاء فحسبك .

وقلت في المحبرة والاقلام :

مَنهلةٌ من أشرف المناهـل تضمنُ رىَّ الصفر الذوابل
مَركبها ذوائبُ الانامـلِ إذا مشت عاليـةَ الاسافل
بكت على الطرسِ بدمع هاملِ فارتبطت شوارد المسائل
وكشفت عن غُـرر الدلائل بيضاء تبدو فى لباسِ الثاكل
لـكنها تلبسهُ من داخل

ومما لا أعرف فى معناه خيراً منه قول كشاجم الـكاتب [1] :

لا أحبُّ الدواةَ تحشى يراعاً هى عنـدى من الدُّوىِّ معيبه
قـلم واحدٌ وجودَةُ خطٍ فاذا زدتَ فاستزد أنبوبه
هـذه قمدةُ الشجاع عليها أبداً سـيرهُ وتلك جَنيبه

ومن البديع الظريف قول أحمد بن اسماعيل :

كأنمـا النفسُ إذا استـمده غاليـةٌ مذوقةٌ بنـده

ونتن الـكرسف [2] مما يُعابُ به . ومن البديع المشهور ما أنشدناه أبو أحمد عن الاصولى عن أحمد بن اسماعيل للحسن بن وهب [3] :

مِدادٌ مثـلُ خافية الغراب وأقـلامٌ كرُهفةِ الحراب
وقرطاسٌ كرَقراقِ السراب وألفاظٌ كأيام الشباب

وقلت : أكثر ما تُثبته الأقـلامُ لم تسع فى زواله الأيامُ
يالك من خُرسٍ لها كلامُ موتى اليها النقضُ والابرامُ

---

(١) هو أحد فحول الشعراء ؛ قيل إن لقبه هذا منحوت من عدة علوم كان يتقنها : فالـكاف من كاتب والشين من شاعر والالف من أديب والجيم من الجدل والميم من المنطق ، ثم طلب علم الطب فمهر فيه فزيد فى اسمه طاء من طبيب فقيل طـكشاجم ولـكنه لم يشتهر . كان من شعراء عبدالله بن حمدان والد سيف الدولة .

(٢) الـكرسف : القطن ومنه كرسف الدواة .

(٣) كان معاصراً لأبى تمام وهو من الشعراء الوجهاء ؛ لما مات رثاه البحترى .

قِوامُ مجدٍ مالهُ قِوامُ نِظامُ ملكٍ خانه النظامُ
أصاغرٌ شؤونها العظامُ

ومن المختار في معناه قول الآخر :

إنما الزعفرانُ عطرُ العذارى وسوادُ الدَّوِيِّ عطرُ الرجالِ

وقلت في سكين :

انجاز وعدك في السكين مكرمةٌ غراءفضلك فيها غيرُ محدودِ
أحسنْ به أزرقاً في أبيضٍ يَققٍ لهمناطق من بيضٍ ومن سودِ
خلفُ الوعيدِ حميدٌ لايذمُّ به ولم يكن خلف موعودٍ بمحمودِ

وكتب كافي الكفاة في ذم قلم فأبدع : وليس العجب إلا من قلم منيت به لا يستقر إذا تأنيت ولا يستمر إذا جريت طوله عرض وابرامه نقض تستغيث الحروف من التوائه وتستأنس السطور من استوائه ان قلت سر وقف وان حثثته بالأناملِ قطف فألفاظي في سنيه مأسورة ومعانيّ في شقيه محصورة وقد صبرت عليه ألبسه مع سوء عشرته وأستمنحه مع فضل عسرته وأقول لعله يصلح بطول المداراة وعساه ينجح بكثرة المناواة وهو يزداد نفاراً ويتضاعف زللاً وعثاراً .

ومما يدخل في هذا الباب قول كشاجم في غلام رآه يكتب ويخطىء فيمحو مايخطه بريقه وهو :

ورأيتهُ في الطرسِ يكتبُ مرةً غلطاً يواصلُ محوَهُ برُضابِه
فوددتُ أني في يديهِ صحيفةٌ وودتهُ لايهتدي لصوابِه

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا مهدي ابن سابق قال رأى المأمون في يد جاريةٍ له قلماً وكان ذا شغف بها واسمها منصف فقال

أراني منحتُ الودَّ من ليسَ يعرفُ فما أنصفتني في المحبةِ مُنصفُ
وزادتْ لديَّ حظوةً يومَ أعرضت وفي أصبعيها أسمرُ اللونِ أهيف
أصمُّ سميعٌ ساكنٌ متحركٌ ينالُ جسيماتِ المدى وهوأعجف

عجبتُ له أنى ودهرك معجبٌ يُقوِّمُ تحريفَ العباد مُحرَّفُ

وكتب الصاحبُ أبو القسم في وصف كتاب : ومن هذا الذى لا يحبُّ أن يواصل علم الفضل ومواسطة الدهر وقرارة الأدب والعلم ومجمع الدراية والفهم أم من لا يرغب فى مكاثرة من ينتسب الربيع إلى خلقه ويكتسب محاسنَه من طبعه ويتوشح بأنوار لفظه ويتوضح بآثار لسانه ويده ، ووصل كتابه فارتحتُ لعنوانه قبل عيانه حتى إذا فضضتُ ختامَه أقبلت الفكرةُ تتكاثر والدُّرَرُ تتناثر والفُررُ تتراكم والنُكتُ تتزاحم فإذا حكمتُ للفظة بالسبق أتت أختها تنافس وأقبلت لدتها تفاخر حتى استعفيتُ من الحكومة ونفضتُ يدى من غبار الخصومة وأخذتُ أقول كلُكنَّ صوادرٌ عن أصُولٍ بل أصلٌ واحدٌ فتسالمن ونواقدٌ عن معدن فارد فتصالحن وقد وليتُ النظر بينها من كمل لنسج بُرودها ووفى بنظم عُقُودها .

ومثل ما تقدَّم من قوله فى ذم القلم قوله أيضاً : على أنى يا مولاى أنشأتُ هذه الأحرف وحولى أعمالٌ وأشغالٌ لا يسلمُ معها فكرٌ ولا يسمح بينها طبعٌ وتناولت قلماً كالابن العاق بل المدو المشاق فإذا أدرته استطال وإذا قومته مال وإذا حثثته وقف وإذا أوقفته انحدر أجدل الشق مضطرب الشق متفاوتُ البرى معدوم الجرى محرَّفُ القط مشبج الخط ثم رأيت العدُول عنه ضرباً من الانقياد لأمره والانخراط فى سلكه فجهدته على رغمه وكددته على صغره لاجرم أن جناية اللجاج بادية على صفحات الحروف لا تخفى وعادية المحك لائحةٌ على وجوه تتجلى .

وكتبتُ فى وصف كتاب : والله أعلم أنى أخبرت بورود كتابه فاستفزنى الفرحُ قبل رؤيته وهزَّ عطفى المرحُ قبل مشاهدته فما أدرى أسمعت بورود كتاب أم ظفرتُ برجوع شباب ثم وصل بعد انتظار له شديد وتطلع إلى وروده طويل عريض فتأملته فلم أدر ما تأمات أخطاً مسطوراً أم روضاً ممطوراً أم كلاماً منثوراً أم وشياً منشوراً ولم أدر ما أبصرتُ فى أثنائه أبيات شعر أم عُبِّئَتْ دُرٌ ولم أدر ما حملته أغيثٌ حل بواد ظمآن أم غوثٌ سيق إلى لهفان .

وكتب الصاحب : ووصل كتاب القاضي فأعظمت قدر النعمة في مطالعه وأجللت محل الموهبة بموقعه وفضضته عن السحر الحلال والماء الزلال وسرحت الطرف منه في رياض رقت حواشيها وحال تأنق واشيها فلم أتجاوز فصلا إلا الى أخضر منه فضلا ولم أتخط سطراً الا إلى أحسن منه نظما ونثرا .

ورفع رجل إلى محمد بن عبد الله بن طاهر قصة يعتذر فيها فرأى خطه رديئاً فوقع : قد أردنا قبول عذرك فاقتطعنا دونه ما قابلنا من قبح خطك ولو كنت صادقاً في اعتذارك لساعدتك حركة يدك أو ما علمت أن حسن الخط يناضل عن صاحبه بوضوح الحجة ويمكن له درك البغية .

وقال علي رضى الله عنه : الخط الحسن يزيد الحق وضوحاً .

وقيل : حسن الخط احدى البلاغتين .

ووصف الجاحظ الكتاب فقال : الكتاب وعاء ملىء علماً وظرف حشي ظرفاً[1] وإناء شحن مزاحاً[2] وجداً ان شئت كان أبين من سحبان وائل وان شئت كان أعيا من باقل وان شئت ضحكت من نوادره وان شئت شجتك مواعظه ومن لك بواعظ مثله وبزاجر مغر وبناسك فاتك وبناطق أخرس وببارد حار ومن لك بطبيب أعرابي وبرومي هندي وفارسي يوناني وبقديم مولد وبميت ممتع ومن لك بشيء يجمع الأول والآخر والناقص والوافر والشاهد والغائب والرفيع والوضيع والغث والسمين والشكل والمثل وخلافه والجنس وضده .

ودخل المأمون على بعض بنيه فوجده ينظر في كتاب فقال يا بني ما في كتابك ؟ قال بعض ما يشحذ الذهن ويؤنس الوحدة . فقال الحمد لله الذي رزقني ولداً يرى بعين عقله أكثر مما يرى بعين جسده وظل مفكراً في قول ولده الطفل .

---

(١) الظرف بفتح الظاء بمعنى الظرافة ، ويضم بعضهم الظاء وهو غلط .

(٢) المزاح بضم الميم : الاسم من المزح .

﴿ الفصل الثانى من الباب التاسع ﴾

فى ذكر البلاغة

قال بعض الحكماء : البلاغة قول تضطر العقول الى فهمه ، قال الشيخ أبو هلال يعنى قولا واضح المعنى غير مُشكل المغزى . وسأل معاوية عمرو بن العاص من أبلغ الناس ؟ قال من اقتصر على الايجاز وترك الفُضول . وليس يصلحُ الايجاز فى كل مكان كما لا تصلح الاطالة فى كل أوان بل لكل واحد منهما حينٌ يحسن فيه ومقام يليق به ان أزلته عنه لم توفه حقّه ولم تسلك به طرقه . وقال محمد الامينُ عليكم بالايجاز فان الايجاز افهاماً والاطالة استبهاماً . أى عليكم بالايجاز فيما كان الايجازُ فيه أحسن وأنجع فأما اذا كانت الاطالة أرد وأنفع فليس للايجاز موقعٌ يحمَد ولا حالٌ تعتمد . والايجاز بجميع الشعر أليق وبجميع الرسائل والخُطب وقد يكون من الرسائل والخُطب مايكون الايجازُ فيه عِيّاً ولا أعرفه الا بلاغة فى جميع الشعر لان سبيل الشعر أن يكون كلامه كالوحى ومعانيه كالسحر مع قربها من الفهم . والذى لابدّ له منه حسنُ المعرض ووضوحُ الغرض كقول النابغة الذبيانى * فانك كالليل الذى هو مدركي * وقال الفرزدق :

والشيبُ ينهض بالشباب كأنّهُ ليلٌ يصيحُ بجانبيه نهارُ

وقال أعرابىٌّ : أبلغُ الناس أسهلهم لفظا وأحسنُهم بديهةً . وهذا حسنٌ جداً لأنّ سهولة اللفظ وحُسنَ البديهة يدلان على جودة القريحة والبلاغة الغريزية ، ووعورة اللفظ تدل على تكلف وتعسف ولاشىء أذهب بماء الكلام وطلاوته ورونقه منهما ولا يحسن معهما الكلام أصلاً وان كان لطيف المعنى نبيل الصنعة . وقد أجاد ابن الرومى فى قوله : البلاغةُ حسنُ الاقتضاب عند البديهة والغزارة يوم الاطالة . فجعل البلاغة فى الغزارة كما جعلها غيره فى الايجاز .

وقيل لهندى ماالبلاغة ؟ فقال وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة .

وقيل لآخر ما البلاغة ؟ فقال تصحيح الأقسام واختيار الكلام .

وقال الحسن بن سهل : البلاغة مافهمته العامة ورضيته الخاصة . وقال عبيدالله بن عتبة : البلاغة دنو المتأخر وقرع الحجة وقليل من كثير . وروى هذا عن أكثم بن صيفى أيضاً . وقال ابن المقفع : البلاغة اسم لمعان تجرى فى وجوه فمنها مايكون شعراً ومنها مايكون سجعاً ومنها مايكون خطباً ومنها مايكون رسائل فعامة مايكون من هذه الأحوال فالوحى فيها والاشارة إلى المعنى أبلغ والايجاز البلاغة . وتأويل هذا ماقدمناه . وقال غيره : البلاغة قول يسير يشتمل على معنى خطير .

وقال الآخر : البلاغة علم كثير فى قول يسير . وقال جعفر بن يحيى : البلاغة أن يكون الاسم محيطاً بمعناك ويجلى على مغزاك ولاتستعين عليه بطول الفكرة ويكون سليماً من التكلف بعيداً من سوء الصنعة بريئاً من التعقد غنياً عن التأمل . وقال اعرابى : البلاغة التقرب من معنى البغية والتبعد من حشو الكلام وقرب المأخذ وإيجاز فى صواب وقصد إلى الحجة وحسن الاستعارة . وقال محمد بن الحنفية : البلاغة قول مفقه فى لطف . وقال على رضى الله عنه : البلاغة إيضاح الملتبسات وكشف عوار الجهالات بأحسن مايمكن من العبارات .

ومثله قول الحسن بن على رضى الله عنهما : البلاغة الافصاح عن حكمة مستغلقة وابانة علم مشكل . ومثله قول محمد بن على رضى الله عنه : البلاغة تيسير عسير الحكمة بأقرب الالفاظ . وقال ابن المقفع : البلاغة كشف ماغمض من الحق وتصوير الحق فى صورة الباطل والباطل فى صورة الحق . والذى قاله صحيح لايخفى موقع الصواب فيه على أحد من أهل التمييز وذلك أن الأمر الظاهر الصحيح الثابت المكشوف ينادى على نفسه بالصحة ولا يحوج الى التكلف لتصحيحه حتى يوجد المعنى فيه خطيباً وإنما الشأن فى تحسين ماليس بحسن وتصحيح ماليس بصحيح بضرب من الاحتيال والتخييل ونوع من العلل والمعاريض ليخفى موضع

لاساءة ويغمض موضع التقصير فيه . وقد فسرت فى كتاب صنعة الكلام مواضع لاشكال من هذه الفصول فتركتُ إعادتها ههنا فاذا أردتها فاطلبها فى مظانها هناك تظفر ببغيتك منها إن شاء الله تعالى . وقد أحب قومٌ الايجاز فى بعض المواضع منهم جعفر بن يحيى قال لكتابه : إن استطعتم أن يكون كلامكم مثل التوقيع ففعلوا .

وقال بعضهم فى المذهب الأول اذا كان الايجاز كافيا كان التطويلُ عيّاً وإذا كان التطويلُ واجباً كان التقصيرُ عجزاً . وقيل لاعرابى ما البلاغة ؟ فقال الايجاز من غير عجز والاطناب من غير خطل . فانظر إلى كلام هذا الاعرابى فهو بليغ .

﴿ جمل من بلاغات العجم ﴾

العجمُ والعربُ فى البلاغة سواءٌ فمن تعلم البلاغةَ بلغة من اللغات ثم انتقل إلى لغة أخرى أمكنه فيها من صنعة الكلام ما أمكنه فى الأولى ، وكان عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التى رسمها من اللسان الفارسى فحولها إلى اللسان العربى ، ويدلك على هذا أيضاً أن تراجم خُطب الفرس ورسائلهم هى على نمط خُطب العرب ورسائلها ، وللفرس أمثالٌ مثل أمثال العرب معنى وصنعةً وربما كان اللفظُ الفارسى فى بعضها أفصح من اللفظ العربى ، من ذلك قول العرب « ولدُكِ من دمّى عقبيك » (١) وقول الفرس « هرك نزاد نرود » واللفظُ الفارسى فى هذا أفصح من اللفظ العربى وأحسنُ ، وقولهم « كشند ميدْ » مثل قول العربى « من يسمع يَخلْ » سواءٌ فى المعنى ، والفارسى أقل حروفاً ، وقولهم « أصيد بركة خوْرده (٢) » وليس للعرب فى معنى هذا المثل شىء ومعناه « المأمول

---

(١) كانت امرأة الطفيل بن مالك ولدت لعقيل بن الطفيل فتبنته كبشة فمر بها عقيل على أمه فضربته فجاءتها كبشة وقالت ابنى ابنى فأجابتها أمه بهذا المثل .

(٢) لعله « أميد به أزخوردن » كما يقوله بعض العارفين باللغة الفارسية حيث سألته عن صحة ذلك .

خير من المأكول » ولا يعبر عنه بكلام عربي أقل حروفاً مما ذكرته ومع ذلك فان حروف تفسيره بالعربية ضعفا حروفه بالفارسية ؛ وقد جاء عن بعضهم في معنى هذا المثل « انتظار الحاجة خير لك من قضائها » وقد خالفهم الفرس في مثل واحد وهو قولهم « به شاه أشناه نرود همدورد » والعرب تقول « جاور بحراً أو ملكاً » .

وليس قصدنا لهذا المعنى فنطيل فيه ولكن لايراد أمثلة في البلاغة تكون مادة لصانع الكلام : فمن ذلك قول ابروبز : إذا نزل الخول استكشف النقص ، يحث على طلب النباهة والتماس جلائل الأمور . وقال بهرام جور : الحاكم ميزان الله في الأرض فوافق الله تعالى في قوله (والسماء رفعها ووضع الميزان) يعني العدل في الحكم . ونحوه قول علي رضي الله عنه : السفر ميزان القوم . وقول الآخر : العروض ميزان الشعر وقال الآخر منهم : أغلق أبواب الشهوات تنفتح لك أبواب المحاسن . وقال آخر منهم : الصواب قرين التثبت والخطأ شريك العجلة . وقال بزرجمهر : عاملوا أحرار الناس بمحض المودة وعاملوا العامة بالرغبة والرهبة وسوسوا السفلة بالمخافة والهيبة . وقريب من ذلك قول بعضهم : الكريم يلين إذا استعطف واللئيم يقسو إذا ألطف .

وقال بعضهم : ينبغي للوالي أن يتفقد أمور رعيته فيسد فاقة أحرارها ويقمع طغيان سفلتها فانما يصول الكريم إذا جاع واللئيم إذا شبع . وقال بعض حكماء الفرس : أحزم الملوك من غلب جده هزله وقهر رأيه هواه وعبر عن ضميره فعله ولم يخدعه رضاه عن حظه ولا غضبه عن كيده . وقال أنوشروان : القصد غاية المنافع ، وقال لابنه هرمز لايكن عندك لعمل البر غاية في الكثرة ولا لعمل الاثم غاية في القلة . ووافق هذا من العربي قول الافوه الأودي :

والخير تزداد منه ما لقيت به ... والشر يكفيك منه قلما زادا

وقالوا أيضاً : يوم العدل على الظالم أشد من يوم الظلم على المظلوم .

وقال أبروبز : لاتفشوا قليلا فتنغصوا به كثيراً . وقال يوماً لجنده لايشحذ امرؤ

منكم سيفه حتى يشحذ عقله . وأظن المتنبي ألمّ بهذا فقال :

الرأيُ قبلَ شجاعةِ الشُّجعانِ هو أوّلٌ وهي المحلُّ الثاني

وقال لكاتبه : اذا فكرت فلا تعجل واذا كتبت فلا تستعن بالفضول فانها علاوة على الكفاية ولا تقصرن عن التحقيق فانها هجنة في المقالة ولا تلبس كلاماً بكلام ولا تباعدن معنى من معنى واجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول . ووافق هذا قول العربي : مارأيتُ بليغاً إلا رأيتُ له في المعاني اطالةً وفي الالفاظ تقصيراً . يحث على الايجاز . وقال له إذا أمرت فاحكم وإذا كتبت فأوضح وإذا ملكت فأسجح وإذا سألت فأبلغ ، ووافق هذا النمط قول أبي تمام :

يقول فيسمع ويمشي [1] فيسرع ويضرب في ذات الاله فيوجع

وقال ازدشير بن بابك : من لم يرض بما قسم الله له طالت معتبتهُ وفحُش حِرصُه ومن فَحُش حِرصه ذلّت نفسه وغلب عليه الحسدُ ومن غلب عليه الحسدُ لم يزل مغموماً فيما لاينفعه حزيناً على مالا يناله ، وهذا معنى قول الشاعر : * ليس للحاسد إلاماحسد * وقال:من شغل نَفْسَهُ بالمُنى لم يخل قلبه من الأسى .

وقال بعضهم : الحقوقُ أربعةٌ حقٌ لله تعالى وقضاؤه الرضا بقضائه والعمل بطاعته واكرامُ أوليائه ، وحق نفسك وقضاؤه تعهدها بما يصلحها ويصحها ويحسم مواد الادواء عنها ، وحقُّ الناس وقضاؤه عُمومُهم بالمودّة ثم تخصيص كل واحد منهم بالتوقير والتفضيل والصلة ، وحقُّ السلطان وقضاؤه تعريفه ماخفي عليه من منفعة رعية وجهاد عَدوٍّ وعمارة بلدٍ وسدُّ ثغرٍ . وقال بُزرجمهر : لاينبغي للعاقل أن يجزع من حطّ السلطان إياه عن منزلة رفع اليها خاملاً فان الاقدار لم تجر على قدر الاخطار . وقال بزرجمهر : الزام الجهول الحجّة يسير واقراره بها عسير . وقال بزرجمهر : ثمرة القناعة الراحة وثمرة التواضع المحبّة من قلوب الخلق .

---

(١) في ديوان أبي تمام المطبوع « ويمضي فيسرع » .

ومن كلام الفلاسفة

قال ارسطاطاليس : ليس الحاجة الى العقل أقبح من الحاجة الى المال .

وقيل له ماأشدّ الأشياء على الأحمق؟ قال السُّكوتُ . وقيل له أحسن الأشياء ؟ قال الانسان المزين بالأدب . وقال : العقل سبب تنغيص العيش . والى هذا المذهب ذهب ابن أبي البغل في قوله :

الصَّعْوُ يَصْفِرُ دائباً ولأجله حُبِسَ الهِزارُ لأنه يترنّمُ
لو كنتُ أجهلُ ماعلمتُ لسرّني جهلي كما قد ساءني ماأعلمُ

وقال المتنبي :

ذو العقلِ يشقى في النعيم بعقلهِ وأخو الجهالةِ في الشقاوة ينعمُ

وقلتُ : أواصلُ الهمَّ في ضيقٍ وفي سعةٍ كأنّ بيني وبينَ الهمِّ أرحاما
إن امرأً عظمتْ في الناس همته رأى السرورَ جوًى والوفرَ إعداما

وقلت : أكثرُ حالاتِ الزمانِ يغمني وليس لغمِّ العارفينَ مفرجُ

ورؤي الحسنُ البصري حزيناً فقيل له في ذلك فقال : غمي مكتسبٌ من عقلي ولو كنت جاهلاً لكنت في راحة من عيشي . وافتخر قومٌ بالمال عند فيثاغورس فقال : وما حاجتي إلى المال الذي يعطيه الحظ ويحفظه اللؤم ويهلكه السخاء وقيل له ما أصعب الأشياء على الانسان ؟ قال أن يعرف قدر نفسه ويكتم سره .

وقال بعضُ أهل الهند : ليس شيء أعرفُ بنفسه من الأنسان ولا أجهلُ بها منه .

وقيل لسقراط أي السباع أجمل؟ قال المرأة . ومن التشبيه المصيب قول سقراط لرجل استشاره في التزويج : ان المتزوجين مثل السمك الذي يصاد بالقفاف فما حصل فيها يروم الخروج منها وما كان خارجاً يبغي الدخول فيها . وقيل لرجل منهم ما سبب موت أخيك؟ قال كونه . ومثل ذلك ما أخبرني به عم أبي أبو سعيد الحسن بن سعيد أظنه عن أبيه قال : ورد البريد الى المأمون من خراسان بموت ابن المؤيد فاستدعاه

وجعل يعظه ويعزيه من غير أن يذكر له المصيبة فقال المؤيد لا عهد لى من أمير المؤمنين بمثل هذا الكلام فما السبب فيه؟ قال مات ابنك قال قد عرفت ذلك قال ومتى عرفته وماسبق البريد خبرٌ؟ قال عرفتُ ذلك يوم وُلد. فعجب المأمون من فهمه وقال بمثل هذا قدمتك هذه العصابة وجعلتك قوام دينها ومفزعها فيما ينوبها.

وقال بعضهم حب المال وتد البلايا. وقال سقراط اللذةُ خناق من عسل.

وقيل لجاوس توفي مانيدس فقال الويح لى قد ضاع مسنُّ عقلى. وقيل له ما أحلى الأشياء قال الذى تشتهى. وقريب منه قول الاعرابى * وقلة ماقرت به العين صالح *

وقال سقراط الحظ في إعطاء مالا ينبغى ومنع ماينبغى سواء. ومثل ذلك قول طاهر بن الحسين: التبذير للمال ذمة كحب التقتير فاجتنب التقتير وإياك والتبذير. وقريب منه قول العربى وقد قيل له إن فيك إمساكا فقال لاأجمد فى حق ولاأزور في باطل.

ورأى بعضهم شاباً جاهلاً جالساً على حجر فقال هذا حجر على حجر.

ونحو هذا قول بعض المحدثين:

ما ان يزالُ ببغداد يزاحمنا ... على البراذينِ أمثالُ البراذين

وقلتُ وقد رأيتُ غلاماً مليحاً طريراً يخدم لئيماً دميماً:

ان كنتَ ترتادُ منظراً عجباً ... فانظر الى البدر فى يدِ القردِ

وانظر الى الضبِّ كيف يفترسُ الـ ... ـظبيَ على مرقدٍ من الورد

وذُمَّ دهراً يفيضُ أنعمه ... على اللئيم المذممِ الوغدِ

وانظر الى حمرة وأنته ... فوقَ متونِ السوابح الجرد

فأسخنَ اللهُ عينهُ زمناً ... ماذا رأى فى تجنبِ القصد

وقال بعضُ اليونانيين للاسكندر أخلاقك تجعل العدو صديقاً وأحكامك تجعل الصديق عدواً ويشهد عدم مثلك فيما كان بعدم مثلك فيما يكون. وقال بعض حكمائهم لمتكبر: وددت أنى مثلك فى نفسك وان أعدائى مثلك فى الحقيقة. وقريب من هذا المعنى قول على رضى الله عنه لبعض أعدائه وقد مدحهُ: أنا دون ما تظهر بلسانك وفوق

ماتضمرُ فى جنانك . وقيل لبطليموس ما أحسن أن يصبر الانسانُ عما يشتهى قال أحسن منه أن لا يشتهى إلا ماينبغى .

وقال أرسطاطاليس : انك ان لم تصبر على تعب التعليم صبرت على شقاء الجهل مابقيت ـ يخاطب جاهلا .

﴿ محاسن كلام العرب والاعراب والخطباء والكتاب ﴾

قال بعض حكمائهم : الصبرُ يناضل الحدثان . وقال آخر : الحلم فدام [1] السفيه . وقال آخر : خاطر من استغنى برأيه . وقال غيره : الجزع من أعوان الزمان والمودة قرابة مُستفادة . وفضل بعضهم المودة على القرابة فقال : القرابة مُحتاجةٌ إلى المودة والمودةُ مستغنيةٌ عن القرابة . وقال غيره وسوى بين المودة والقرابة : الصاحبُ مناسبٌ . وقالوا عجبُ المرءِ بنفسه أحد حساد عقله . ومن موجز الكلام قول بعضهم : من نال استطال والفاحشةُ كاسمها . وقولهم أصاب مُتأملٌ أو كاد . وقولهم العفوُ زكاةُ الجاهِ . وقولهم راعى البخيل مُكد . وقول بعضهم قلما تصدقك الامنيةُ . وقيل الصيانة مألف المروءة . وقال بعض الحكماء البلاء رديف الرخاء . وقيل خمول الذكر أسنى من الذكر الذميم . وهذا خلاف ما سمعنا سمعت رجلاً يقول لأن أكون رأساً في الضلالة أحب إلىّ من أن أكون ذنباً فى الهداية .

وكانت قريش تستحسن من الخاطب الاطالة ومن المخطوب الايجاز فخطب محمد بن الوليد بن عتبة إلى عمر بن عبد العزيز ابنة أخيه فتكلم بكلام جاز الحفظ فقال عمر الحمد لله الذى أنطق البلغاء ذى الكبرياء وصلى الله على محمد خير الأنبياء أما بعد فان الرغبة منك دعتك الينا والرغبة فيك أجابتك منا وقد أحسن بك ظناً من أودعك كريمته واختارك ولم يختر عليك وقد زوجناك على كتاب الله

---

(١) الفدام : شيء يشد على الفم .

وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فكان هذا من أوجز خطبة وأحسنها للمراد .

ومن موجز كلامهم : ليس مع الخلاف ائتلاف . وقولهم رضا الناس غاية لاتبلغ . وقولهم لاينفعك من جار سوء نوقٌ . وقولهم سرك من دمك . وقيل من لم يمت لم يفت . وقولهم عقل الكاتب على قلمه . ومن الصدق الذى لاارتياب فيه قولهم من جالس عدوه حفظ عليه عيوبه . ومن الموجز المليح ماروى ان بنى أمية وفدوا على عبد الملك بن مروان فقال أهل الشام ماعسى أن يقول خطيبهم فقام رَجُلٌ منهم فقال يا أمير المؤمنين نحن من نعرفُ وحقنا مالا تنكر وجئناك من بعد ونمتُ من قرب فهما تفعل بنا من خير فنحنُ أهله ، فتطاول عبد الملك وقال يا أهل الشام هذا كلام قوى . ومن جيد الاستعارة قول بعضهم : كانوا في ظل رقيق الحواشى فطواه الدهرُ عنهم . وقيل القلم أنف الضمير والخط لسان اليد . وقال النبى صلى الله عليه وسلم (جَدَعَ الحلالُ أنفَ القَبِيرَة) وقالوا الفكرة مُخُّ العمل . وقيل الشيبُ خطام المنية . وقالوا المذاكرةُ حياة العلم . وقيل الخُمول دفن الحى . وقلتُ السخاء سُلم المجد . وقلتُ المراء ينقض مرَار المودّة والتوانى يُثمِر الندامة والكسل يُنتجُ الفقر . وقيل البياضُ علم الجمال . وقلتُ الحياءُ عنوان الكرم . وقلتُ العتاب مُقدِّمةُ السخط . وقال ابن المعتز المعروفُ غلٌّ لايَفُكه إلاشكرٌ أومُكافأة ، وقلتُ العينُ رائدُ القلب . وقلتُ الذّل رسيل الدَّين والشكر ضامنُ المزيد والغنى مظنة البطر . وقال آخرُ اللحظ طرف الضمير . وقلتُ الشكر مرتبط النعم . وقال آخر من جرى في عنان أمله عَثَر بأجله . وقال الأعمالُ ثمار النيات . وقيل التواضع سُلّم الشرف . وقلت المال عدوّ الوفاء . وقيل التجنى رسولُ القطيعة . وقال الاحنف الأدب عُروةُ العزّ . ومن أصدق كلمة أعرفها قول ابن المعتز : من قوى عَقله كثُر حلمه وقل غيظه . وقال الفرصةُ سريعةُ الفوت وبطيئة العود . وقال نرقّع خرق الدنيا ويتسع ونشعبها وتنصدع ونجمع منها مالا يجتمع .

ووقع جعفر بن يحيى الى بعض إخوانه : إذا وضح العذرُ لم يكن لسوء الظن مكان إلا لمن أراد التجنى . وقيل للأحنف إن حارثة بن بدر يقع فيك فقال : * عُشَيشَةٌ تَمْشِرِمُ جِلداً أماساً * [1] وقال بعض الحكماء حصادُ المنى الأسف وعاقبتها الندامةُ وليس لذى لب بها مستمتعٌ . ومن فصيح أمثال العرب قولهم: الفرارُ بقراب أكيسُ [2] . وعزّى اعرابىٌ رجلاً فقال لا أراك اللهُ بعد هذه المصيبة ما ينسيكها . وعزى شبيبُ بن شبيبة ذمّياً فقال أعطاك الله عن مصيبتك أفضل ما أعطى أهل ملتك . وقال عبد العزيز بنُ زرارة أول المعرفة الاختبار .

وقال رجلٌ للأحنف ممّن أنت قال ممن وَدّنى . وقال البلاغةُ البلوغُ عند الكفاية . وقيل للأحنف ما أحسن المجالس قال ماسافر فيه البصرُ واتّدع فيه البدن وأمن فيه الثقل وكثرت فيه الفائدة .

وكتب المهلب [3] إلى عبد الملك حين هزم الازارقة أما بعد فانا لقينا المارقة ببلاد الاهواز وكانت فى الناس جولة ثم ثاب أهلُ الدين والمروءة ونصرنا اللهُ عليهم فنزل القضاءُ بأمر جاوزت النعمة فيه الأمل فصاروا دريئة رماحنا وضرائب سيوفنا وقتل رئيسهم فى جماعة من حماتهم وذوى الثبات منهم وأجلى الباقون ليلاً عن مُعسكرتهم وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة كأوّلها ان شاء الله تعالى .

وكتب الى الحجاج : الحمد لله الكافى بالاسلام ماوراءه الذى لاتنقطع موادُّ نعمه حتى تنقطع من خلقه موادّ الشكر عليها وإنا كنا وعدُوُّنا على حالتين يَسرُّنا منهم أكثر مما يَسُوءُنا ويَسُوءُهم منا أكثر مما يسرُّهم فلم يزل الله تعالى يزيدنا وينقصهم ويمحضنا ويمحقهم حتى بلغ الكتابُ أجلَه فقُطع دابرُ القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

---

(١) مثل يضرب للرجل يجتهد أن يؤثر في شيء فلا يقدر عليه . (٢) أى الذى يفر ومعه قراب سيفه إذا فاته السيف أكيس ممن يفنيت القراب أيضاً . (٣) هو المهلب بن أبى صفرة . وفى الأصول « ابن عبد الملك »

وكتب ابن المعتز : قد علمتني نبوتك سلوتك وأسلمني اليأس منك الى الصبر عنك . وقال أعرابيٌّ لمعاوية هززتُ ذوائب الرحال اليك إذ لم أجد مُعوّلاً إلا عليك أمتطي الليل بعد النهار واسم المجاهل بالآثار يقودني نحوك الرجاء وتسوقني اليك البلوى والنفسُ مستبطئة والاجتهاد عاذر وإذا بلغتك فقط . فقال معاوية أحطط رحلك ياأعرابي . وقال سفيان الثوري رأيتُ أعرابياً مُتعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول يارب عندي لك حُقوقٌ فهبها لي والناس عندي حقوقٌ فتحملها عني ولي عندهم حقوقٌ فتهبها لي وأنا ضيفك اليوم فاجعل قِراي الجنة . وذكر بعضهم رُجلا فقال كان قريب مدى الوثبة لين العطفة يُرضيه القليلُ ولا يُسخطه الكثيرُ .

﴿ أمثلة فى البلاغة الكتابية ﴾

أولها التحميدُ ومن عادة العارفين أن يبتدئوا فى الأمور بالحمد لله رب العالمين يُقدمونهُ أمام طلابها كما يُبدىء بالنعمة فيها قبل استيجابها . كتب حمدُ بن مهران : الحمد لله الذى كثُرت أياديه عن الاحصاء وجلّت نعمه عن الجزاء . وكتب أيضاً : الحمد لله ذى البلاء الجميل والعطاء الجزيل الذى جعل للأمير سنى الرتبة وعز الدعوة ووصل له حُسن الولاية بشكر النعمة وقرن لأوليائه قوة الحجة بفضل الادالة حمداً يؤدّى الى الحق ويقتضيه ويستمد المزيد ويمتريه والى الله أرغبُ فى زيادة الأمير والزيادة به وعلى يديه والأيدى الصائلة على عدُوّه بمنّه ولطفه . فأخذ ابنُ دُريد قوله (ويستمد المزيد ويمتريه) فقال : تحرس نعم الله عز وجل عندنا بالحمد عليها ويمترى المزيد منها بالشكر عليها وترغب الأيادى اليه فى التوفيق لما يُدنى من رضاه وبجير من سخطه انه سميع الدعاء لطيف لما يشاء . وكتب الصابى : الحمد لله ذى المنن والطَّوْل والقوة والحول والغاية والصول رافع الحق ومُعليه وقامع الباطل ومُرديه ومُعز الدين ومُديله ومُذل الكفر ومذيله [1] المنزل رحمته على من جاهد

(١) أذاله : حقره وأهانه .

في طاعته والحل عقوبته بمن جاهر بمعصيته المتكفل بتأييد حزبه حتى يظفر ويخذلان حربه حتى يدحر الذى لا يفوته الهارب ولا ينجو منه المواربُ ولا يعييه المعضل ولا يعجزه المشكل ولا تبهظه الأثقال ولا تؤوده الاثقال الغنيُّ المفتقر اليه القوىّ المعتمد عليه بالغ أمره بلا مُوازر وممضى حكمه بلا مظاهر ذلكم الله ربكم فاعبدوه مخلصين له الدين . وروى عن النبى ﷺ أنه قال لما هزم الأحزاب « الحمدُ لله الذى صَدَقَ وَعْدَه وَنَصرَ عَبدَه وهَزَمَ الأحزابَ وَحْدَه » .

وكتبتُ : الحمد لله الذى وفّر على الأنام المحاسن وأكنفها بالميامن وبسط بالخير أيديها وأفاض بالاحسان واديها وعلمها البر بالأبرار والعطف على الأحرار واختيار الخيرة للاخيار فعادت وقد زكت شجرتها وحلت ثمرتها وتثنت أغصانها وتهدّلت أفنانها ولانت أعطافها وتناهت ألطافها فكأنما هى أيام أبى تمام التى وصفها فقال :

أيامُنا مصقُولةٌ أطرافها بك والليالى كلها أسحارُ

بما منح من حُسن رأيك أطال الله فى كنف السلامة بقاءك وحجب عن عيون الغير نعماك وخوّلك من العزّ أوفره ومن الظفر أخضره وأعطاك من النعم أصفاها من الشوائب وأبعدها من مُلاحظة النوائب ومنحك من الخير برُمّته كما قاد اليك الفضل بأزمّته ولازال بك الزمان جديد الحُلّتين مُطرز الطرتين مُتوّج المفرق بما تَرك حالى الجيد بمفاخرك ولاسلبك نعمة ألبسك جمالها ولانزع عنك عارفةً وفر عليك كمالها :

رأيتُ جمالَ الدهرِ فيكَ مُجدّداً فكن باقياً حتى تَرَى الدهرَ فانيا

وكتب بمضمون : الحمد لله الذى استسلمت نهاية الشكر لدون ما ألزم بصنائعه .

وكتبت : الحمد لله على ما تطوّل به من البرّ وما أوزع [1] على ذلك من الشكر حمداً يتخطى به إلى غاية رضوانه ويستدعى المزيد من جزيل إحسانه .

وكتبتُ : الحمد لله الذى قيض لك السبق إلى البرّ والفوز بالمكرُمة البكر

---

(١) أوزع : أى ألهم .

والاستيلاء على قصبات الحمد والشكر .

وكتب آخر : الحمدُ لله الذى جعل من ألبابنا بصائر تقودنا إلى معرفته ومعارف ترشدنا إلى الاقرار بربوبيته ليخرجنا من الظلمات إلى النور برحمته .

﴿ ومن جيد الأدعية ﴾

ما كتب الصاحبُ أبو القسم بن عباد : أسعد اللهُ سيدنا بالفضل الجديد والنيروز الحميد سعادة مُتصلة المادة حافظةً لجميل العادة مُوذنة بظاهر العز والبسطة وتزايد السرور والغبطة مؤمنة من عوادى الأيام وبوادر الزمان وأراه سادنى الفتيان قد اقتفى كلٌّ منهم مجده وحكى في طلب المعالى أباه وجَدّه وجعل سيدنا آخذاً من كل مادعى به ويُدعى به في الأعياد بأجزل الأقسام وأوفر الاعداد.

وكتب الصابى الى أبى القاسم عبدالعزيز بن يوسف : أطال اللهُ بقاء مولاى الأستاذ وأسعده بنيروزه الوارد عليه وأعاده ألف عام اليه وجعله فيه وفى أيامه كلها معافى سالماً فائزاً غانماً مسروراً محبوراً محروساً موفوراً مختوماً له ببلوغ الآمال مطروفاً عليه [1] عين الكمال محظور الافنية عن [2] النوائب حمى الشرائع عن [2] الشوائب مُبلغاً غاية ماتسمو اليه همته العالية المشتطة وأمانيه المنفسحة المنبسطة بقدرته . والفصل الأخير من هذا يُشير الى قول ابن المعتز : أصحب اللهُ بقاءك عزاً يبسط يدك لوليك وعلى عدُوك وكلاءة تذب عن ودائع مِنَنه عندك وزاد فى نعمك وان عظمت و بلغك آمالك وان بعدت .

وكتب بعضهم عش ماشئت كما شئت ، وهو من قول أبى نواس :

دارت على فتية ذلَّ الزمانُ لهم فما يُصيبهمُ إلا بما شاؤا

وكتب بعضهم عش أطول الاعمار مُوفى من سوء الأقدار مرزوقاً نهاية الآمال مغبوطاً على كل حال . وكتب آخرُ بلغك اللهُ نهاية من العمر لا نهاية لمستزيد وراءها . وقريبٌ منه قول البحترى :

---

(١) فى الأصل (عنه) . (٢) فى الاصل (على) .

عمرتَ أبا السحقَ ما صَلَحَ الدَّهرُ ولا زال معموراً بأيامك الدهرُ

وقول الآخر :

فلا زالتِ الأرضُ معمورةً بعُمرك ياخيرَ عُمَّارها

ومما يجرى مع ذلك وليس منه قول أبى تمام :

من يسأل اللهَ أن يُبقى سَراتكمُ فانما رامَ أن يستبقىَ الكرما

وقول المتنبى :

أعيذكم من صروف دهركمُ فانهُ بالكرام مُتهم

قلت: فلا زالت الأقدارُ دونَ محاسكم سواقطَ والمكروهُ عنكم[1] مقصّرا

وقال بعضهم : جعلك الله من كل محبوب على شرف ومن كل محذور فى كنف .

وكتب آخر : لا زالت الأيام لك مساعدة والليالى على هواك مُساعفة تتلقاك بأوفر الحبور وتطلع عليك بعوائد السرور وتجرى مقاديرها لك بالمحبوب وتتقاعس عنك بالمحذور المرهوب ويحكم لك بالرشد والسعادة ويقضى على أعدائك بالذل والقماءة[2] . وكتب ابن المعتز أخّرتنى العلة عن الوزير أيّده اللهُ فحضرت بالدعاء فى كتابى لينوب عنى ويعبرَ ماأخلّته العوائق منى أسأل الله أن يجعل هذا العيد أعظم الأعياد السالفة بركة عليه ودون الأعياد المستقبلة فيما يحب ويجب له ويتقبل ما نتوسل به الى مرضاته ويضاعفُ الاحسان اليه على الاحسان منه ويُمتعه بصحبة النعمة ولباس العافية ولا يريه فى مَسرّةٍ نقيصةً ولا يقطع عنه فيها عادة جميلة . وهذا مأخوذٌ من قول سعيد بن حميد : تابع الله لك صالح الأيام ومحمود الأعوام حتى يكون كل يوم منها موفياً على ماقبله مُقصراً عما[3] بعده .

وكتب ابنُ المعتز : حفظ الله النعمة عليك وفيك وولى اصلاحك والاصلاح لك وأجزل من الخير حظك والحظ منك ومنّ عليك وعلينا بك .

وكتب الى عليل: مسحك الله بيد العافية ووجّه اليك وافد السلامة وملاك

---

(١) فى النسخ « منكم » . (٢) القماءة : الذل ؛ والعطف تفسيرى .

(٣) فى الأصل « على مابعده » .

ماأفادك وهنّأك ماقسم لك وأمتع بك وليك والان لك طاعة عدوّك وجمّل الدولة ببقائك وزيّنها بدوام نعمائك . وكتب الصاحب أبو القسم : والله يديم لمولانا ولى النعم التمكين والبسطة والعلوّ والقدرة والعز والنصرة ولا يسلب القلوب ما أودعها من محبة دولته ولا يعدم الصدور ماضمنها من خشية صولته ليزداد أولياؤه بصيرة في مناصحته ويضطر أعداؤه الى استعطافه واستقالته انه قدير على مايشاء واليه أرغب فى زيادة مولانا من فضله وصلة المناجح بسعيه وعزمه وتمريفه المياه من فى ارتحاله وحله وتوفيقه لما يحفظ رأى ولى نعمته ويستديم المقسوم له من محمدته .

وكتب أبو الحسن بن أبى البغل الى على بن عيسى : وهنّأ الله الوزير ماأتاه وجعله أيمن أمر من أمور الدين والدنيا بدءًا وفاتحةً وأسلمه مالاً وعاقبةً وأطوله أمداً ومدةً وأدومه انتظاماً واستقامةً وأوفره كفايةً لله وجميل ولايته وصادق معونته حظاً وسهمةً [1] ويسر لديه العسير وقرب على يده البعيد والشطير [2] إنه على كل شيء قدير . وقال اعرابى لرجل النعم ثلاثٌ نعمةٌ في حال كونها ونعمةٌ ترجى مُستقبلة ونعمةٌ تأتى غير مُحتسبة فأدام الله لك ماأنت فيه وحقق ظنك فيما ترتجيه وتفضل عليك بما لم تحتسبه .

المديح

قد صدرت الكتاب بذكر المديح على مذهب الشعراء وأنا أورده هنا صدراً على مذهب الكتاب ليشتمل الكتاب به على الكمال إن شاء الله تعالى :

ذكر رجل لبعض البلغاء فقال : هو أحلى من رُخص السعر وأمن السبل وادراك الأمانى وبلوغ الآمال . وكتب بعض الكتاب : وجرى لك من ذكر ما خصك الله به وأفردك بفضيلته من شرف النفس والقدر وعلو المنزلة والذكر وبعد الهمة ومضاء العزيمة وكمال الاداة والآلة والتمهد فى السياسة والايالة وحياطة

---

(١) السهمة بالضم : النصيب (٢) الشطير : البعيد والغريب .

الدين والأدب وإيجاب عظيم الحق بمضيف السبب مالا يزال يجرى مثله عند كل ذكر يتجدد لك وحديث يؤثر عنك . وكتبت : من حل محل سيدنا فى شرف المنصب وطهارة العنصر وزكاء الأصل ونماء الفرع وسنى الحسب وسرى النسب مع الشيم الظاهرة والمكارم المتظاهرة كثرت الرغبة اليه وخيمت الآمال بين يديه وهو حقيق بتصديقها فيه وتحقيقها[1] عند مؤمليه لكرمه فى نفسه وتميزه من جنسه . وقال بعضهم لرجل : رحم الله أباك فانه كان يقرى العين جمالاً[2] والأذن بياناً . ومما يجرى مع ذلك أن بعض الملوك رأى رجلاً قبيح المنظر عيى اللسان فأمر باسقاطه وقال ان روح الحياة وهى الانسانية إذا كان ظاهراً كان جمالاً وإذا كان باطناً كان بياناً فمن خلا من الجمال والبيان فليس بانسان .

وكتب الصاحب : وليس ببدع أن يجود كلامه وتعتدل أقسامه ويتهذب بيانه وينسم جنانه وقد راض العلوم حتى أعطته زمامها ومارس الآداب حتى ملكته خطامها فان عُد الفقه كان البازل الذى ذلّل الفحولَ مُصاولة وإن ذكر الكلام كان الجبل الذى فرع الأطواد مطاولة وإن تصرف فى أيام الناس وأخبارهم وفحص عن سيرهم وآثارهم حاضر مُحاضرة الافراد وكاثر مُكاثرة الآحاد وإن جُورى فى سوائر الأمثال وفقر الأشعار ترك المجارى لا يدرى أى طريق يركب وأى مذهب يذهب وأما الخطابة فهو جذيلها المحكك وعذيقها المرجب وقد سُلمت اليه اختياراً من مواليه واضطراراً من مُعاديه .

وقال رجل لخالد القسرى إنك لتبذل ماجلّ وتجبر ماعتل وتكثر ماقل .

وكتب ابراهيم بن العباس : وإن أمير المؤمنين لو استغنى بنظر ناظر من وُلاته واجتهاد مجتهد من كفاته الذين لهم الأثرة عنده والموضع الأخص عن الاستظهار عليه بنظره وعنايته واهتمامه كنت أولى من خفف بمكانه عن نفسه واقتصر على عنايته وتدبيره دون إرشاده وتسديده فالله يُعزهُ ويزيدُ فى تأييده .

---

(١) فى الاصل (تحقيقا) . (٢) أى يكرمها بذلك كما يكرم الضيف .

فاما الذم والتهجين

فمن بديع الاستعارة فيه قول أعرابي يذم رجلا : يقطع نهاره بالمنى ويتوسد ذراع الهم إذا أمسى . ودخل أعرابي بغداد فقال فاذا ثياب أحرار على أجساد عبيد إقبال حظهم إدبار حظ الكرم شجر فروعه عند أصوله شغلهم عن المعروف رغبتهم في المنكر . وقال بعضهم لرجل استضاف بخيلا : نزلت بواد غير ممطور ورجل غير مسرور فأقم بندم وارحل بعدم . وقال أعرابي : أولئك قوم ساخت أقفاؤهم بالهجاء ودبغت جلودهم باللؤم فلبأسهم في الدنيا الملامة وزادهم في الآخرة الندامة . وقال أعرابي لا تدنس شعرك بعرض فلان فانه سمين المال مهزول المعروف من المرزوقين فجأة قصير عمر الغنى طويل حياة الفقر ، ومن ههنا أخذ أبو نواس قوله :

بما أهجوك لا أدري ... لساني فيك لا يجري
إذا فكرت في عرضك أشفقت على شعري

واستشارت امرأة امرأة في رجل تزوجه فقالت لا تفعلي فانه وكلة تكلة يأكل خلاله . وكلة وتكلة بمعنى واحد وهو الذي يتكل في الأمور على غيره ولا يقوم فيها بنفسه والتاء في تكلة واو كما قيل تراث وهو من ورث ، والخلال ما يخرج من بين الأسنان عند التخلل وليس في اللؤم شيء من الكلام أبلغ من هذا . وقريب منه قولهم فلان يثير الكلاب عن مرابضها ، يريدون أنه من طمعه وشرهه يثيرها يطلب تحتها شيئاً قد فضل منها ، ومن ذلك قول الشاعر :

أمن بيت الكلاب طلبت عظماً ... لقد حدثت نفسك بالمحال

في الشكر (١)

وكتب ابن المعتز في الشكر : قد جلت نعمتك عن شكري فتولى الله مكافأتك

(١) هذا العنوان غير موجود في النسخ .

عن عجزى بعد جُهدى بما هو أرفع له وأقدر عليه بمنه ورأفته : وهذا من قول طريح بن اسمعيل « فقصرت مغلوباً وإني لشاكرٌ » وكتب آخر : إذا كان مجهودى فى شكر النعمة واعترافي بحق العارفة يُبلغنى أقصى نهاية الشاكرين وأبعد غاية المعترفين وكانت زيادة معروفك على قدر شكرى كزيادة قيمتك فى نفسى فقد أسقط الله تكلف ماجاوز الطاقة عنى . وكتب بعضهم قلبي نجى ذكرك ولساني خادم شكرك . ومما يجرى مع ذلك ما كتب بعضهم : أما بعد فان أثقل الناس حملاً من تحمل آمال المؤملين وأولاهم بالمكافأة من أخدمك عِرضه فتذلل لك ونفسه فتواضع دونك وقلبه فكان فى رجائك وتأميلك ولسانه فكان فى ذكر محاسنك ونشر مناقبك . وقريب من هذا المعنى قول ابن الرومى :

إنَّ امرأً رفضَ المكاسبَ واغتدى ... يتعلم الاداب حتى أحكما
فكسا وحلى كل أروع ماجدٍ ... من حُرِّ ماحاك الضميرُ ونظما
مُتشاغلاً عما يُمارسُ غيرُه ... حتى لقد أثرى اللئامُ وأعدما
ثقةً برعى الأكرمينَ ذِمامَهُ ... لأحقُّ مُلتمسٍ بأن لا يُحرَما

وكتبتُ : وتأملتُ التوقيع في معنى المعيشة فتصور لى الغنى بصورته وقابلنى بصدق مخيلته وعرفتُ ان الدهر قد غضت جفونُه ونامت عيونهُ وتنحت عن ساحتى خُطوبهُ وهذه نعمٌ أعيا بذكرها فكيف أطمعُ في إداء شكرها بل عسى أن يكون الاعتراف بقصور الشكر عنها شُكراً لها ومقابلة بما خلص إلىّ منها وأنا معترفٌ بذلك اعتراف الروض بحقوق الانواء وقائل به كما أقول بفضل الوفاء .

وقال ابن المقفع : الشكرُ نسيمُ النعمة . وقال علىّ بن عُبيدة : النعمة كالروضة والشكرُ كالزهرة . وكتب ابن المعتز فى معنى آخر : سألت عن خبرى وأنا فى عافية لا عيب فيها الا فقدك ونعمة لامزيد فيها الا بك . وكتب أبو العباس بن ثوابة : وأنا أسأل الله إذا من بنعمة أن يجملك المقدم فيها وإذا امتحن بمحنة أن يجملنى وقاءً لك منها . وكتب فى فصلٍ : وإذا ضاق على أن أفعل فليس

ضيق عليك أن تتفضل إذا كان كل واحد منا يجري إلى غاية فى البرّ والعقوق .

وكتب أبو على الضرير : تجاوز بى ذكر فضلك ووصف محاسنك والاخبار بما وهب الله الامام والأمة فيك إلى القول بحاجتى قبلك ليس لأنى جهلت الحق علىّ لك ولا لأنى ادخرتُ الثناء الجميل لغيرك ولكنى رأيتنى فيما أتعاطى منه كالمخبر عن ضوء النهار الباهر الذى لايخفى على ناظر وكالمنبه على الأمر الواضح الذى يستوى فيه العالم والجاهل فانصرفتُ عن الثناء عليك إلى الدعاء لك ووكلت الاخبار عنك إلى علم الناس بك .

قد انتهى بنا القولُ فى هذا الباب إلى هنا لعلمنا انا ان أردنا استيعابَهُ لم نقدر عليه لكثرته ونرجو أن يقع الاكتفاءُ به إن شاء الله تعالى وهو حسبنا ونعم الوكيل والحمد لله وحده .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى دَلّ على قدرته وأبان عن حكمته باختلاف ماخلق من الصور وتباين ما أنشأ من الفطر من ملكٍ وإنسان وبهيمة وجان وطائر يمسح صفحات التراب ويأخذ باهاب السحاب وحنش ينطوى على أدراجه ويستوى مرة فى اعوجاجا إلى غير ذلك من خَلْقٍ مُختلفة وأجرام متباينة حقيرُها جليلٌ وصغيرها كبير وجعل منافعها متاعاً للانسان الذى كرمه تكريماً وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفات الخيل والابل والسير والفلوات
وذكر الوحوش والطيور والحشرات وما يجرى مع ذلك وهو :

الباب العاشر من كتاب ديوان المعانى وهو ستة فصول

الفصل الأول
في صفات الخيل

قد وصفها الناس في قديم الدهر وحديثه وصفاً كثيراً واتسع فيها قولهم اتساعاً شديداً وأنا أحيء بالبديع الغريب من ذلك وأضرب عن غيره لكثرته واستفاضته ولا حاجة بالناس إلى أن نورد عليهم ما عرفوه ووقفوا عليه وتداولوه إلا مالا بُدّ من إيراده لفقد شبهه وعدم نظيره : فمن بديع ما جاء عن القدماء في صفة الفرس قول أبي دؤاد :

يحمل منه بعضُهُ بعضَهُ فراكبٌ منهُ ومركوبُ

وقول الاعرابي :

وأحمرُ كالديباج أما سماؤهُ فَرَيا وأما أرضُه فمحُولُ

سماؤه : أعاليه ؛ وأرضه : أسافله ؛ يعني حوافره .

ومن أجود ما قيل في تأنيف اذن الفرس ما أنشده القتبي * كأن آذانها أطراف أقلام *

وأحسن ما قيل في اصطفاف الخيل قول الاسمر [1] :

يخرجنَ من خلل الغبارِ عوابساً كأنامل المقرورِ أقعى فاصطلى [2]

---

(١) في الأصل « الأشعر » بالمعجمة ؛ ولعل الصواب بالمهملة .

(٢) فانه يمد أصابعه الى النار فتكون جميعاً معاً لا تسبق إحداها الأخرى .

أى كلهن يبادرُ الغارة فليس يفوت بعضها بعضاً . أخذه على بن جبلة فقال رحمه الله :

كأنَّ خيلكَ فى أثناء غمرتها أرسالُ قطرِ نهامى فوق أرسالِ
يخرجنَ من غمراتِ النقع سامية نشرالأثاملِ من ذى القرةالصالى

والاول أجود . ومثل ذلك قول الراجز * مستويات كضلوع الجنب *

وفى وصف وقع قوائمها قول مالك بن حريم الهمدانى :

وتهدى بى الخيل المغيرة نوحة اذا صبرت صابت قوائمها معا

ومن أحسن الاستعارة قوله :

وان عثرت احدى يديه بشبْرة[1] تجاوبَ أثناء الثلاث بدَعدَعا

وكان الاحسن أن لايصفها بالعثار الا أن قوله تجاوب أثناء الثلاث بدعدعا * مستعار حسن يعنى على إساءته فى وصفه إياه بالعثار ؛ ودعدع مثل قولهم « لمّا » وهو دعاء للعاثر بالحياة . وأهدى بعضهم شهرياً[2] وكتب : بعثتُ بشهرى حسن المجموع لين الموضوع وطىء المرفوع همه أمامه وسوطه لجامُه . وقد أحسن ابن المعتز فى قوله :

وخيل طواها القودُ حتى كأنّها أنابيب سمر من قنا الخط زُبَّل
صببنا عليهم ظالمينَ سياطنا فطارت بها أيدٍ سراع وأرجُل

فذكر أنهم ضربوها من غير أن تمنع شيئاً من مطلوب سيرها فكانوا ظالمين لها . وقد أجاد فى قوله أيضاً * أضيع شىء سوطه اذ تركبه *

وقالوا أحسن بيت قالته العرب قول جرير :

وطوى الطرادُ مع القيادِ بطونها طى التجار بحضرموت بُرُودا

وقد أحسن الاعرابى القول فى سرعة الفرس حيث يقول :

غايةُ مجدٍ رُفعت فمن لهـا نحن حويناها وكنا أهلها
لو ترسلُ الريح لجئنا قبلها

---

(١) الشبرة : الكوم من التراب . (٢) الشهرية بالكسر : ضرب من البراذين.

وقول الآخر :

جاءَ كمثلِ البرقِ جاشَ ماطرُه يسبحُ أولاهُ ويطفو آخره
فما يَمَسُّ الأرضَ منهُ حافرُه

وهذا غاية فى وصف سرعة العدو إلا أن قوله * يسبح أولاه ويطفو آخره * ردىء لانه جعله مضطرب المقاديم والمآخير . وقول عُبيدةبن الطبيب فى الثور :

يخفى التراب بأظلافٍ ثمانيةٍ في أربعٍ مَسُّهنَّ الأرض تحليلُ

يقول ان مواصلة هذا الثور بين خطواته كمواصلة الحالف يمينه بالتحلةلاتراخى بينهما ، والتحلة قول ان شاء الله .

ومن عجيب القول في سرعةالفرس قول ابن المعتز :

كأنّ جنانَ الفلاةِ تضربه كأنّ ما يهربُ منهُ يطلبه

وقد أجاد القائل فى صفة كلاب * كأنما يرفعن مما يُوضع * ومن عجيب ماقيل في ادامة الجرى قول العرب يُبارى ظله ويُبارى عنانَهُ ويُبارى شباة الرُّمح . ويستحبُّ في الفرس إشراف مقدمه ومؤخره فمن أجود ماقيل فى ذلك قول على بن جبلة :

تحسبهُ أقعدَ فى استقبالهِ حتى إذا استدبرتهُ قلتَ أكبّ

وقد أجاد المتنبى هذا المعنى فى قوله :

إن أدبرتْ قُلتَ لاناليلَ لها أوأقبلت قلتَ مالها كفلُ

وقلت : طِرْف اذا استقبلته قلتَ حبا حتى اذا استدبرتهُ قلتَ كبا
ذو أربع يلقى الصفا بمثلها وللحصى من خلفها وثب دبا
اذا تراميتَ به فى سيرهِ تحسبهُ منها على أنف الصبا

ووصف النبى ﷺ إناث الخيل بأعجب وصف في قوله « ظُهورُها حِرزٌ وبُطونُها كَنزٌ » وقال الاشعرُ الجعفى في معنى قول النبى ﷺ ظهورها حرز :

ولقد علمتُ على توقّيَ الردَى أن الحصون الخيل لامدر القرى

ومن أجود ماوصف به حُضْرُ [١] الفرس قول الاعرابى فى فرسه « يحضر ماوجد أرضاً » وقد بالغ امرؤ القيس فى قوله :

على هيكل يعطيك قبلَ سُؤاله أفانينَ جرى غير كزٍّ ولاوان

قوله « قبل سُؤاله » عجيب الموقع ، وقوله «أفانين جرى» أعجب وأبلغ .

وأجودُ ماوُصف به ظفره عند الطلب قوله :

وقد أغتدى والطيرُ في وكناتها بمنجرد قيد الاوابد هيكل

فجعل الاوابد وهى الوحش مقيدة له ينالها كيف يُريد .

وقد أجاد أيضاً وأحسن القول فى اليقين بالظفر حيث يقول :

اذا ماولدنا قالَ ولدانُ أهلنا تعالوا الى أن يأتى الصيد نحطبُ

وأحسن عبارة التقسيم في قوله فى هذا المعنى :

وأرى الوحشَ فى يمينى اذاما كانَ يوماً عِنانهُ فى شمالى

ونقله الشماخ بن ضرار [٢] إلى وصف رام فأحسن حيث يقول :

قليلُ التلاد غير قوسٍ وأسهم كأنَّ الذى يرمى من الوحش نازرُ

أى جامدٌ باردٌ يُصيبه كيف يُريد . وجعله أبونواس في نعت كلاب فقال :

بأكلُبٍ تمرحُ فى قداتها تَمُدُّ عيرَ الوحشِ فى أقوانها

وهو من قول أبى النجم « تعد غابات اللوى من مالها » وقوله :

يردى على حوافرٍ لاتخذُله صم الشوَى يحملها وتحمله

حافٍ ومايحفى وماتنعّلهُ نار عجاج مستطيل قسطله

تنقش منه الخيـــل مالا تعزله فى جنبه الطائر ديث عجله

كأنَّ تُربَ القاع وهو يسحله ضيقُ شياطـــين رقنهُ شمأله

---

(١) الحضر بالضم : ارتفاع الفرس في عدوه .

(٢) هو معقل بن ضرار المازنى ، من المخضرمين أدرك الجاهلية والاسلام ، كان سريع الخاطر في الرجز وهو من طبقة لبيد .

أو خلقٌ ينشقُّ عنـــه سمله ترى الفـــلامَ ساجياً لا يركله
يعطيه ماشاء وليس يسأله فوافت الخيل ونحن نشـكله

ويستحب في الخيل سعة المنخرين فمن أبلغ ماقيل فى ذلك قول مزاحم بن طفيل العقيلي : من منخرٍ كوجار الثعلب الخرب فجعله خرباً ليكون أوسع .
وقال العباس بن مرداس :

ملء الحزامين وملء العـين ينفشُ عنـدَ الربو منخرين
كنفش كيرين بكفي قين

ومن أبلغ ماقيـل فى طول عُنق الفرس قول مُزاحـم العُـقيلي أيضاً كأن هادبه جذعٌ على شرفٍ - فلم يرض ان جعلها جذعا حتى جعلها على شرف كصنيع الخنساء فى قولها : كأنه علمٌ فى رأسه نار وقلت :

بمعقودِ السراة على اندماج ومزورِ القميصِ على انشمار
يُريكَ جبينهُ لمانَ بَرْقٍ وسائرُ جسمهِ لمعـانَ قار
فيشبه تحتَ جُنح الليلِ ليلاً ويحكي الخالَ في خدِّ النهار
ويقبلُ حينَ يُقبلُ فى سموٍّ ويُدبرُ حينَ يُدبرُ في انحدار
ويُمسك وهو كالغدن المعلى ويحضرُ وهو كالسد المغار
يلوحُ البـدرُ منهُ فى جبينٍ وتتضحُ الثريا فى عـذار

وقد أبدع القائل فى وصف فرس أبلق أغر فقال :

وكأنمـا لطمَ الصباحُ جبينهُ فاقتصَّ منهُ فخاضَ فى أحشائه

إلا أنه أساء فى العبارة وذلك أن اللطم لا يكونُ إلا على الخد وضرب الجبين لايسمى لطماً والقصاص يكون بمثل الفعل فالقصاص باللطم اللطم لا الخوض فى الاحشاء . وقال ابن دريد وأحسن في وصف الغرة والتحجيل :

كأنما الجوزاءُ فى أرساغهِ والنجمُ فى جبهتهِ إذا بدا

ونحوه قول كشاجم :

قد راحَ تحت الصبح ليلٌ مُظلم لو راحَ في السرج المحلى الأدهم
ضحك الدجنُ على سود أديمه وكذا الظلام تنير فيه الأنجمُ
فكأنهُ بيناتِ نعش مُلببٌ وكأنما هو بالثريا مُلجمُ

وقلت: عارضتُ فيهِ النجمَ فوقَ مُطهم يهوى لطيئه هُوِيَّ الأعقب

ذاوي العسيبِ قصيرهُ ضافي السبيـــب طويلهُ صافي الأديم محبب
كالنور بينَ العشبِ يبهرُ حسنهُ بين الجيادِ إذا بدا في موكب
وتطيرُ أربعهُ به في أبطح فكأنه من طولها في مرقب
صم الحوافر شرب صم الصفا منها الاهلةُ في الصفا والصلبِ
وكأنَّ غرتهُ نفضضُ وجهه والنقعُ يذهبهُ وإن لم يُذهب
وكأنَّ في أكفالهِ وتليلهِ غسق النجوم فتستطيلُ وترتبي
وكأنما الارساغ ماءٌ لم يسل والجسمُ كأسُ مدامةٍ لم يقطب
لم يُطلب إلا يفوتُ ويطلب إلا يفوزُ فلم يخب في مطلب
والعاصفاتُ حسيرةٌ والبارقا تُ أسيرةٌ في شدةِ المتلهب
وكأنما يحوي مدارُ حزامهِ احناءَ بيتٍ بالعراءِ مطنبِ

وأول من شبه الحافر بالحجارة الأفوه في قوله

يرمي الجلاميد بأمثالها ثم قال رؤبة

يرمي الجلاميد بجلمود مدق وأبلغ ما وصف به شدةُ

قوائم الفرس ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن دريد عن الاشناندانى عن الجرمى:

سيانَ تحت طموه وطموره أكم الفلا ومقابل الولدانِ
بطأ الخبار فلا يطيرُ غباره ويرضُّ حافرهُ حصى الحزّان

يقول سواء عنده إذا طما في سيره أي ارتفع وإذا طمر أي وثب؛ الأكم وهي المرتفعات من الأرض فيها حجارة وطين والمقابل وهي ملاعب الصبيان إذا لعبوا بالتراب فمدّوا منه طريقين يمنهما كالجدول ثم خبؤا خبيئاً فمن أخرجه فقد غلب؛ والخبار الأرض السهلة، إذا مشى فيه خفف وطأه فلم يثر غباراً وإذا

جرى في الحزان وهى الغليظ من الارض مكن حافره فرض الحصى . ونحوه قول جرير * ضرم الرقاق مناقل الأجرال * يقول إذا صار فى الرقاق من الأرض اضطرم من جريه وإذا صار في الأجرال وهى مواضع الحجارة ناقل فيها لتطمئن مواقع حوافره . وقول الآخر * شادخة تشدخ من أدلالها * يقول تبعد عن الطريق ولا تبالى سهلاً أخذت أم حزناً .

ومن الفرد الذى لاشبيه له قول ابن المعتز :

ولقد غدوتُ على طمرّ قادحٍ ... رفعت قوائمهُ غمامة قسطل
ومُحجّل غر اليمين كأنه ... مُتبختر يمشى بكمّ مُسبَل

وقد أحسن القائل فى قوله :

مدى خطوه أقصى مواقع طرفه ... وأوّلهُ فى منعه الخطو آخرُه
وقد قطعت من لونها الشمس غُرّةً ... لهُ وحجولاً ثم كالظلّ ساترُه

وقال ابنُ المعتز :

تمت لهُ غرةٌ كالشمس مُشرقةٌ ... يكادُ سائلها عن وجهه يكفُ
إذا تقرّطَ يوماً بالعذار غدا ... كأنه غادةٌ فى أذنها شَنَف

وقلت : إذا تحلى بالعذار ومشى ... قلتَ فتاةٌ تتصدّى لفتى
كأنه تحت الحلىّ رَوضةٌ ... دَرّ عليها الزّهرُ أخلافَ الحيا

وأبلغ مقيل فى طول الفرس فى الهواء قول أبى دؤاد :

إذا ماجرى شأوين وابتلّ عطفهُ ... أناخ بهاد مثل جذع سَحوق
كأنى إذا عاليتُ حوزةَ متنه ... نعلق برى عندَ بيضٍ أنوق

وبيض الأنوق في أعلى موضع من الجبل : فلا ترى أشد مبالغة من هذا البيت .

وقلت : مُضطرمُ الغدوّ والرّواح ... نخالهُ يمشى على أرماح

وأخبرنا أبو القسم عن العُقدى عن أبى جعفر عن المدائنى قال أهدى رجل من الدهاقين الى خالد بن عبد الله القسرى برذوناً وقعد بين يديه فقال ماهذا ؟

فقال أصلحك الله ان تركته نمس وان حركته طار . فقال صفته خير منه .

وقال ابن المعتز :

أسرع من لحظته إذا عدا أطوع من عنانه إذا جذب

ويشبه الفرس فى عدوه بالنار فأجمع ماجاء فيه قول ابن المعتز :

ربما أغدو وتحتى طرف لاحق بالعاديات (١) طمر

طوى الشحم على متنيه مثل مايطوى القباطى تجر

فهو نار والتراب دخان مستطير وحصى الأرض جمر

وقال : وكم غدوت بفتيان تسيل بهم سوابق أحكمتهن المضامير

مكتنفات بآذان نواصيها كما يشق عن الطلع الكوافير

تنزو كراتهم فى كل معترك كما يطير من الذعر العصافير

قوله « تسيل بهم سوابق » من أجود ماوصف به الجرى السهل . ويستحب فى الفرس الشدق وهو سعه الشدقين فمن المذكور في ذلك قول بعض العرب « وان يلق كلب بين لحييه يذهب » ومن مليح ماقيل فيه قول ابن المعتز :

ناظر في غرة شمها واسترطا

وإذا سار رمى يده والتقطا

وكأن ماجمه يفتحان سفطا

وقال : وغدونا بأعنة خيل تأخذ الأرض بأيدى عجال

زينتها غرر ضاحكات كبدور في وجوه الليالى

ومن غريب التشبيه تشبيههم قوائم الفرس المحجلة عند السير بجراء كلاب بيض ، قال الراجز :

كأن اجراء كلاب بيض دون صافيه الى التعريض

وقال العمانى الراجز :

---

(١) في نسخة (بالعاديات) .

كأن تحت البطن منه أكابا بيضاً صفاراً ينتهشن المنقبا

وتبعه الحماني فقال :

وليل مثل خافية الغراب عيثُ مذاهب وخفي باب
دلفتُ له بأسودَ مستمر كما نظرَ الغضابُ الى الغضاب
أجشُّ كأنما قابلتُ منه تبعُّقَ لُجَّة وحريقَ غاب
تراهُ كأن عينكَ لا تراهُ إذا وَصلَ الوثاب الى الوثاب
كأن لدَى مغابنه التماعا سهادس عنده بُقع الكلاب

وليس نظم هذا البيت بمختار ، وذكر قوائمه ثم قال :

يخالس بينها رفعاً ووضعاً كما خفقت بنانُك بالحساب

ومن أحسن ماقيل في الحصى الذي يترامى بسنبك الفرس إذا جرى قول امرىء القيس:

كأن الحصى من خلفها وأمامها إذا نجلته [1] رجلها خذف أعسرا

وجعله أعسر لذهابه على غير استواء ، أخذه ابن المعتز فقال وغير لفظه وأتى بمعناه :

يقذف بالرجل حصى الطريق كأنه رام بلا تحقيق

وقال : ينفي خفاف الحصى والنقع منتشر كأنها خلف رجليه الزنابير

وقد أجاد الكميت في قوله :

كأن حصى المعزاء بينَ فروجها نوى الرضخ يلقى المصعد المتصوّب

فجعلها لكثرتها تتلاقى في الهواء وزاد في ذلك على المعزق ومنه أخذه وهو قوله :

كأن حصى المعزاء بينَ فروجها بوادي نوًى رضاخة لم تدفق

وقد أجاد الراجز في قوله * برضخ مايرضخ مالا يرضخ [2] * يقول إذا وطأ الحصى نبت من تحت سنبكه فأصاب مالم يطأه فدفعه من موضعه وكأن رضخه أي رميه والرضخ الرمح . ويشبّه الحافر بالقعب فمن قديم الشعر في ذلك قول امرىء القيس * لها حافر مثل قعب الوليد * أخذه ابن المعتز فقال :

---

(١) النجل : الرمي كما هو ظاهر . (٢) في الاصل (يضرخ) في مواضع

قد اغتدى بقادحٍ مُسرَّم يعبوب
ينفى الحصى بحافر كالقدح المكبوب
قد ضحكت غرته عن موضع التقطيب

وقد أحسن أبو تمام فى قوله :

بحوافرٍ حفرٍ وصلب صلب وأشاعرٍ شعرٍ وحلق أحلقِ

فجعل البيت كله تجنيسا ولعله ماسبق الى ذلك . وقد عاب الآمدى قوله « وصلب صلّب » وقوله « وحوافرٍ حفرٍ » وقال ان الحوافر لاتحفر الأرض وأكثر ماذكر في ذلك انها تثير الغبار قال وهو استقصاء المعنى ؛ قلنا وبعضهم يستحسن ذلك وبعضهم يكرهه . ومن المذكور فى صفة الفرس قول البحترى وهو أوصف المحدثين للخيل وأكثرهم إجادة فى نعتها :

أما الجوادُ فقد بلونا يومهُ وكفى بيوم مخبراً عن عامه
جارى الجيادَ فطارَ عن أوهامها سبقاً وكاد يطيرُ عن أوهامه
جذلان تلطمه جوانب غرة جاءت مجىءَ البدرِ حين تمامه
واسودَّ ثم صفت[1] لعينى ناظرٍ جنباته[2] فأضاء فى إظلامه
مالت نواحى عُرفه فكأنها عذباتُ أثلٍ مال تحت حمامه
ومقدم الأذنين تحسب أنه بهما يرى الشخص الذى لأمامه
وكأن فارسه وراء قذاله ردفٌ فلستَ تراه من قدامه
لانت معاطفه فخيل انه للخيزرانِ مناسبٌ بعظامه
وكأن صهلته إذا استعلى بها رعدٌ يقعقع في ازدحام غمامه
مثل الغراب بدا يبارى صحبه بسواد صبغته وحسن قوامه
والطرفُ أجلبُ زائرٍ لمؤونة مالم يزره بسرجه ولجامه

وقوله أيضاً : وأغرَّ في الزمن البهيم مُحجَّل قد رُحتُ منهُ على أغرَّ مُحجَّل

(١) فى الأصل (صفا) . (٢) كذا في الديوان ؛ وفى الأصل (جلبابه) .

كالهيكل المبنيّ إلا أنه ... في الحسن جاءَ كصورة في هيكل
ذَنَبٌ كاسحبَ الرداء يَذُبُّ عن ... عُرفٍ وعُرفٌ كالقناع المسبل
جذلانُ ينفضُ عذرةً في غرةٍ ... يققٍ تسيلُ حجولها في جندل
تتوهمُ الجوزاءُ في أرساغهِ ... والبدرُ غرةُ وجهه المتهلّلِ
وتراهُ يسطعُ في الغبار لهيبهُ ... لوناً وشداً كالحريق المشعلِ
هزج الصهيل كأنّ في نغماتهِ ... نبرات معبدَ في الثقيل الأول
ملكَ العيون فان بدا أعطينهَ ... نظرَ المحبّ الى الحبيبِ المقبلِ

وقد أحسن ابن طباطبا في قوله :

عجباً لشمسٍ أشرقتْ في وجهه ... لم يمحُ منهُ دجى الظلامِ المطبقِ
واذا تمطر في الرهانِ رأيتهُ ... يجرى أمامَ الريح مثلَ مطرّقِ

وقال ابن المعتز :

تحملني طرفةٌ صادرةٌ واردهْ
ترضيك في يومها وهي غداً زائده
ورجلها تقتضي ويدها جاحده

وباسناد لنا أن رجلاً أنشد أبا البيداء قول أبي نخيلة :

لما رأيتُ الدّينَ ديناً يُوفك ... وأمست القبّةُ لاتستمسك
تُفتقُ من أعراضها وتهتك ... صرت من الباب فصارت دكرك
منها الدجوجيُّ ومنها الارمك ... كالليل إلا انها تحركُ

فقال لعنك الله ان كنت أنشدتنيها وأنت على غير وضوء ، قو كالليل ألا إنها تحرّك ، استثناء عجيبٌ . وقال ابن المعتز :

اذا مابدا أبصرتَ غرةَ وجههِ ... كعنقود كرمٍ بينَ غصنينِ نوّرا
وردفاً كظهرِ الترس أسبلَ خلفهُ ... عسيباً كعيص الطود لما تحدّرا

ومما يجرى مع ذلك قول بعضهم :

قد أشهدُ الليلَ[1] بفتيانٍ غرر على جيادٍ كتماثيل الصور
كأنما خيطوا عليها بالابرْ أوسمِّر الفارسُ فيها فانسمر

وباسناد لنا أن محمد بن عبد الله بن طاهر أرق ذات ليلة فقال لكاتبه أنائمٌ أنت ؟ قال لا وأيّد الله الأمير ، قال ماأطيب الطعام ؟ قال طعام شهوة فى أبّان جوعة ، قال فما ألذّ الشراب ؟ قال شربة ماء بارد تطفىء بها غليلك أو كأسٌ تعاطى بها نديمك ، قال فما أشهى النساء ؟ قال التى تدخلُ اليها والهاً وتخرج عنها هارباً ، قال فما أجود الخيل ؟ قال الأسوق الأعنق الذى اذا طلب لحق واذا طلب سبق واذا صهل أطربك واذا بدا أعجبك . قال صدقت لله درك ، اعطه ياغلام ألف دينار ، قال أصلح الله الأمير وأين تقع منى ألفا دينار ؟ قال أوزدت نفسك ألفاً قال أوليس كذا ؟ قال لا ولكن حقق ظنه ياغلام . فأعطاه ألفى دينار .

وقيل لاعرابى أتعرف الجواد المبرز من البطىء المقرف قال نعم أما الجواد المبرز فهو الذى لهز لهز العير وأنف أنيف السير اذا عدا اسلهبّ واذا انتضب اتلأبّ ، والبطىء المقرف هو المدلوك الحجبة القحم الارنبة الغليظ الرقبة الكثير الجلبة الذى اذا قلت أمسكه قال أرسانى واذا قلت أرسله قال أمسكنى .

وقال المهدى لمطر بن درّاج : أى الخيل أفضل ؟ قال الذى اذا استقبلته قلت نافر واذا استدبرته قلتَ زاخر واذا استعرضتهُ قلت زافر ، قال فأى البراذين خيرٌ ؟ قال ماطرفهُ أمامه وسوطه عنانه ، قال فأى البراذين شرٌ ؟ قال الغليظ الرقبة الكثيرُ الجلبة إذا أرسلته قال أمسكنى وإذا أمسكته قال أرسلنى .

ووصف رجلٌ من العرب خيلاً فقال : إنها لخليقة للجودة وآية ذلك انها سامية العيون لاحقة البطون مصغية الآذان افتاء الاسنان ضخام الركبات مشرفات الحجبات رحاب المناخر صلاب الحوافر وقعها تحليل ورفعها تعليل ان طلبت فاتت

(١) فى نسخة « قد أشهد اللهو » .

وإن طلبت نالت . واستوصف الحجاج ابن القرية فرساً فقال طويل الثلاث قصير الثلاث حديد الثلاث رحيب الثلاث صليب الثلاث عريض الثلاث منيف الثلاث أسود الثلاث . فاستفسر فقال طويل العنق والسبيب والساق ، قصير الظهر والعسيب والشعر ، حديد القلب والسمع والمنكب ، رحيب المنخرين والشدقين والجوف ، صليب الدخيس والكاهل والمجب ، عريض اللباب والحجبة والخد ، منيف الجوانح والقذال والقوائم ، أسود الذكر والحافر والعين . وقال محمد بن مناذر في وصف فرس :

وإذا أُعرِّضَ قطريهِ لنا وفيا واستوفيا قَدّاً بَقَدّ
فهو كالقِدْحِ أقامت درأهُ كفُّ باريهِ فما فيه أوَدّ

ووصف النظام فرساً فقال : هو صافي القميص جيد الفصوص وثيق القصب نقي العصب يبوع بيديه ويندس برجليه ويشير بأذنيه ويبعد مدى بصر عينيه يلحق الأرانب في الصعداء ويجاوز الظباء في الاستواء ان حركته طار وإن زجرته حار وإن طرحتَ عِنانَهُ سار كموج في لجة أو سيل في فجوة ان وجد علفاً أمعن وإن فقده ضغن . وأنفذ جعفر بن يحيى إلى أبيه برذوناً وكتب اليه : قد بعثت اليك ببرذون ابن المرفوع وطيء الموضوع حسن المجموع طويل العذار أمين العثار . ومما يجري مع ذلك ما أخبرني به أبو أحمد عن أبيه قال حدثني أحمد ابن طاهر انه كتب إلى الحسن بن علي بن يحيى يستهديه لجاماً لحماره :

جُعلتُ فِداك قد أمسى حماري لهُ سَرْجٌ وليس لهُ لجامُ
كمثل العاطل الحسناء أمستْ لها حَلْيٌ وليسَ لها نظام

ثم قال * وأنت لكل ناقصة تمام *

﴿ الفصل الثاني من الباب العاشر ﴾

في ذكر الابل وسيرها وما يجري مع ذلك من وصف أحوالها

أطرف ماقيل في صفة الابل قول القطامي :

يمشين زهواً فلا الاعجازُ خاذلةٌ ولا الصدورُ على الاعجاز تتكلُ
فهن مُعترضاتٌ والحصى رَمِضٌ والريحُ ساكنةٌ والظلُّ معتدل

قالت العلماء لو كان البيت الأول في صفة النساء لكان أحسن وذلك لما رأوا من تمام حسنه وظريف لفظه . والبيت الآخر هو من أبلغ ماقيل في صفة هاجرة .

ومن مليح ماقيل في ضمر الناقة قول ابن الخطيم :

وقد ضَمرتْ حتى كأنَّ وضينها (١) وشاحُ عروس جالَ منها على خصرِ

ويُشبهُ الزمام بالحية فمن أول ماقيل في ذلك قول الشاعر :

يعالج مثنى حضرمى كأنه حباب نقا يتلوه مرتجلٌ يرمى

وقال ذو الرمة :

رجيعةُ (٢) أسفار كأنَّ زمامها شجاع (٣) على يسرى الذراعين مطرق

وأخذه المتنبي فقال « كأنَّ على الاعناق منها الافاعيا »

من أجود ماقيل في ضمر الابل قول الفرزدق :

اذا مائختْ قابلتْ عن ظهورها حراجيج أمثال الاهلة شُفَّ

شبهها بالاهلة لضمرها واحد يدانيها . وتُشبهُ بالقسيِّ فمن أجود ماقيل في ذلك وأجمعه قول أبي عبادة البحترى :

وخدان القلاص (٤) حولاً إذاقا بلنَ حُولاً من أنجم الاسحار
يترقرقنَ كالسراب (٥) وقد خضـ ـنَ غماراً من السرابِ الجارى
كالقسيِّ المُعطفاتِ بل الأسـ ـهم مَبريَّةً بل الاوتاد

وقال ابن دُريد :

ألِيَّةَ باليعملاتِ يرمى بها النجاءُ بينَ أجوازِ الفلا

---

(١) الوضين كالحزام . (٢) أى معاودة . (٣) الشجاع هنا : الحية .
(٤) كذا فى ديوان البحترى ، والذى فى الأصل « وحذاقُ القلاص » .
(٥) كذا فى ديوان البحترى ، والذى فى الأصل « بالسراب » .

خوص كأشباح الخنابا ضُمَّر يَرْعُفْنَ بالامشاج من جذب البرى
يرسُبن فى بحر الدُّجى وفي الضحى يطفون فى الآلِ [١] اذا الآل طفا

ومن غريب ماقيل في عين الناقة قول ذى الرمة :

كأنما عينها منها وقد ضمرتْ وضمها السير في بعض الاضى ميمُ

فشبهها بالميم لاستدارتها وغورها ، والاضى الواحدة أضاة وهى الغدير ، وقد قصر بذى الرمة علمه بالكتابة . أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن العلاء بن عبد الله بن الضحاك عن الهيثم بن عدى قال قرأ حماد الراوية على ذى الرمة شعره فرآه ترك في الخط لاماً فقال له ذو الرمة أكتب لاماً فقال حماد وانك لتكتب قال لا أكتم عليك فانه كان يأتى باديتنا خطاط فعلمنا الحروف تخطيطاً فى الرمل فى الليالى المقمرة فاستحسنتها فثبتت فى قلبى ولم تخطها يدى .

ودخل أبو تمام على المأمون فى زىّ اعرابى فأنشده :

دِمنٌ ألمَّ بها فقالَ سلامُ كم حلَّ عُقدةَ صبره الالمامُ

فجعل المأمونُ يتعجبُ من غريب مايأتى به من المعانى ويقول ليس هذا من معانى الاعراب . فلما انتهى الى قوله :

كُنَّ الحمامُ فان كسرتَ عِيافةً من حائهنَّ فانهنَّ حِمامُ

فقال المأمونُ اللهُ أكبرُ كنتَ ياهذا قد خلطت علىّ الامر مُنذ اليوم وكنتُ حسبتك بدويا ثم تأملتُ معانى شعرك فاذا هي معانى الحضريين واذا أنت منهم فقصر به ذلك عنده . وقال أبو نواس فى في وصف الناقة :

ولقد تجوبُ بى الفلاة اذا صام النهارُ وقالتِ العُفرُ [٢]
شدَنيةٌ [٣] رعتِ الحمى فأتت ملء [٤] الجبال كأنها قصر

---

(١) في الأصل « والضحى ، بالآل » . (٢) العفر : الظباء التى يعلو بياضها حمرة (٣) شدَن : موضع باليمن تنسب اليه الابل ، وقيل هو اسم فحل .
(٤) فى نهاية الأرب « مثل الجبال » ولعله تصحيف .

أخذه من قول عنترة :

فوقفتُ فيها ناقتي وكأنها فدَنٌ لأقضي حاجةَ المُتلوِّم

إلا أن بيت أبي نواس أحسن وصفاً . وذكر ذنب الناقة فقال :

أما إذا رفعته شامذةً [1] فتقول رنق فوقها نسرُ
أما إذا وضعته عارضةً فتقولُ أسبل خلفها [2] ستر

أخذه من قول أبي دواد « قوادم من نسور مضرجات » وليس بيت أبي دواد شيئاً مع بيت أبي نواس ، ثم قال :

وتسفُّ أحياناً فتحسبها مترسماً يقتادُهُ أثرُ
فإذا قصرتَ لها الزمامَ سما فوقَ المقادمِ ماطمٌ حُرُّ
وكأنها مُصغٍ لتُسمعهُ بعضَ الحديثِ بأذنهِ وقرُ

ومن أجود ماقيل فى تقدم الناقة فى السير قول القطامى :

أمن يقصرنَ من نجبٍ مُخَلَّسةٍ ومن عرابٍ بعيداتٍ من الحادى

أى يسبقن الحادى فيبعدن عنه ، ثم قال أبو نواس وأحسن :

تَذَرُ المطىَّ وراءَها فكأنها صُفٌّ تقدمهنَّ وهى امامُ

وأحسن ابن المعتز فى قوله :

وناقةٍ فى مهمهٍ رمى بها همٌّ إذا نامَ الورَى سرَى بها
فهى أمام الركبِ فى ذهابها كسطرِ بسم اللهِ فى كتابها

ومن مُصيب التشبيه فى موطىء الناقة قوله أيضاً :

تلقى الفلاة بخفٍّ لا يفرُّ لها كأنَّ مسقطهُ فى تربها طبقُ

وقوله فى ارتفاع الناقة فى الهواء وعظمها :

كأنا عندَ نهضتهِ رفعنا خباءً فوقَ أطرافِ الرماحِ

---

(١) فى الأصل غير منقوطة ، وفى ديوان أبى نواس « شامذة » وهى الناقة التى تشيل ذنبها نشاطاً . (٢) فى ديوان أبى نواس « أرخى فوقها ستر » .

ومثله قوله أيضاً :

ترنو بناظرةٍ كأنّ حجاجها وقبٌ أنافَ بشاهقٍ لم يُحالِ
وكأنّ مسقطها إذا ماعرّست آثارَ مسقطِ ساجدٍ مُتبتلِ
وكأن آثارَ النسوع بدفها مسرى الأساودِ فى دهاسٍ أهيلِ
ويشدّ حاديها بحبل كامل كعسيب نخل خوصُهُ لم يُنجلِ

وقال أيضاً :

كأنّ المطايا إذ غدَوْنَ بسحره تركنَ أفاحيصَ القطا في المبارك

ثم قال وهو من أجود ماقيل فى سمن الابل :

لنا إبلٌ ملءَ الفضاء كأنما حملنَ التلاع الجوّ فوق الحوارك

وقد أحسن القائل في وصف سُرعتهن حيث يقول :

خُوصٌ نواجٍ إذا حثّ الحداةُ بها حسبتَ أرجلها قُدّامَ أيديها

وذكر دعبل بن على الخزاعى أن قائل هذا البيت القصافي لم يقل بيتاً جيداً سواه وكان يقول الشعر ستين سنة ، وأخذه ابن المعتز فقال :

تخالُ آخرهُ في الشدّ أوّله وفيهِ عَدْوٌ وراءَ السبقِ مذخورُ

وقد أحسن مسلم فى قوله :

إلى الامام تهادانا بأرحلنا خلقٌ من الريح في أشباح ظلمان
كأن أفلاتها والفجرُ يأخذها أفلات صادرةٍ عن قوس حبسان

وقال آخر :

كأنّ يَدَيْها حين يجرى ضفورها طريدانِ والرجلانِ طالبتا وترِ

ومن بليغ ماجاء في ذلك قول ابن المعتز :

زجرتُ بها سباح قفرٍ كأنّه يخافُ لحاقاً أو يبادرُ أولا
توارثهُ الايجافُ حتى كأنّهُ لميس ضنى أعيا الطبيب المعذّلا

ومن بديع ماجاء فى ذلك قول رؤبة بن العجاج [١]

كأن أيديهنّ بالقاع القرقْ أيدى المذارى يتعاطينَ الورق

وقد أحسن أبو الشيص [٢] فى قوله :

وليـل يَرْكبُ الركبا نُ فى أمواجـه الخضر
توكلتُ عـلى أهوا لهـا بالله والصبر
وأعمـال بنات الربـ ـح فى المهمهِ القفر
شمالـيـل يصافحنَ متونَ الصخرِ بالصخر
بأيجافٍ يقـدُّ الليـ ـل عن ناصيةِ الفجر

وقلت : لنا هجماتٌ تثنى سروانها بأسنمةٍ مثل الاكام سوامق
خبطنَ الربيعَ وانتسفنَ نباته كما مرت الاجلامُ فوق المفارق
بناها بناء البيت حون رواعدٌ تجىء على آثارِ جون بوارق
تدورُ بأحقيها البروقُ وتثنى كأنّ عليها مذهبات مناطق

وقال ابن المعتز :

وليل ككحل العينِ خضتُ ظلامهُ بأزرقَ لماع وأخضر صارم
وطيارة بالرحل صرف كأنما تصافح رضراض الحصى بجماجم

وقلت : وليلة خبطت من ظلمائها بنازح الخطو إذا الخطوُ دنا
قد انبرى يعترف السير بنا فى طرق يخبط فيهنّ الهدى
يهتى الوجى [٣] أمثاله عن السرى وساعدته ميعةٌ تنهى الوجى

ومن مصيب التشبيه قول الراعى :

فى مَهمهٍ قلقتْ بها هاماتُها قَلقَ الفؤوس إذا أردْنَ نصولا

---

(١) كان عارفاً باللغة وحشيها وغريبها ؛ ولما مات قال الخليل : دفنا الشعر واللغة والفصاحة . (٢) هو محمد بن رزين الخزاعى ؛ كان معاصراً لأبى نواس ومسلم بن الوليد ؛ فى شعره رقة . (٣) الوجى : الحفا .

وقول الآخر: حمراء من نسل النهارى نسلها إذا ترامتْ يدُها ورجلها
حسبتها غيرى استفزّ عقلها أنى التى كانت تخافُ بعلها

أى كأنها من عملها بيديها ورجليها وسرعة تحريكها إياهما غيرى تخاصم وتشير بيديها لا تفتر. وقلتُ:

ومَهمهٍ[1] قلقتُ فيهار كائبنا والليلُ في قلق تسرى ركائبهُ
ركبته فكأنّ الصبح راكبهُ وجُبتهُ فكأن النجم جائبهُ
بكل ذى ميعة جدّ الوجيف[2] به فانهدّ غاربُهُ وانضم حالبه
وبات ينهب جنحَ الليل فى عجل كأنه لاعبٌ طابتْ ملاعبه
حتى بدا الصبحُ مُبيضّاً ترائبهُ وأدبرَ الليلُ مخضرّاً شوار به
وإنما النجحُ فى ليل ترادفهُ إذا تأوّب أوصبح يوا كبه
وساهر الليل في الحاجات نائمه وذاهب المال عند المجد كاسبه

وقال أبو تمام:

على كلّ روّاد[3] الملاط تهدمت عريكته العلياءُ وانضمّ حالبه
رعَته الفيافى بعد ما كان حقبةً رعاها وماءُ الروض ينهل ساكبه

وقلت: واستنهضتكَ الى المآثر والعلا همم تخال زهاؤهنّ جبالا
أردفتهن عزائماً فكأنما أردفتَ مُرهفة النصال نصالا
حملتها قلص الركاب كأنها قلص النعام إذا اتبعن رئالا
مهرية الرى السفاد بنحضها فتخالها تحت الرحال رحالا

وقال مسلم:

اليك أمين الله رامت بنا السرى بنات الفيافى كل مرتٍ وفدفد[4]
أخذْنَ السرى أخذَ العنيف وأسرعتْ خُطاها بها والنجمُ حيران مهتدى

---

(١) المهمه: المفازة. (٢). الوجيف: ضرب من سير الخيل والابل.
(٣) فى ديوان أبى تمام (موار) أى مضطرب. (٤) أى المفازة.

لبسن الدجى حتى نفضتْ وتصوبت هوادي نجومِ الليلِ كالدحو باليد

وهذه استعارة بديعة حسنة عجيبة الموقع جداً . وقال أبو نواس :

يكتسي عُثنونُهُ زبداً فتصيلاهُ الى نحره [1]

ثم يعتمُّ الحجاج [2] به كاعتمام النوفِ في عشره

ثم تذروه الرياحُ كما طارَ قطنِ الندْفِ عن وتره

ومن فصيح الكلام قوله فى هذا المعنى :

نفحن اللغام الجعد ثم ضربنه على كلّ خيشومٍ كريم المحطم [3]

وقال الشماخ بن ضرار :

كأنّ ذراعيها ذراعا مُدلّة بعيدالشباب حاولتْ ان تعذرا

من البيض أعطافاً إذا اتصلت دعتْ فراسَ بن غنم أولقيطَ بنَ يعمرا

بها شرفٌ من زعفران وعنبرٍ أطارت من الحسن الرّداء المحبّرا

تقول وقد بلّ الدموع خمارَها أبت عفتي أو منصبي أن أُعيّرا

كأن بذفراها مناديلَ قارفت أكفَّ رجالٍ يعصرونَ الصنوبرا

وقال الراجز : كأنها نائحة تُرجّعُ تبكي بشجوٍ وسواها الموجعُ

وهو نحو قول الراجز ◦ حسبتها غيري استفزّ عقلها ◦ ومثله قول الآخر :

كأن ذراعيها ذراعا بذية مفجّمة لاقت حلائلَ من عُفر

سمعن لها واستفرغت من حديثها فلا شيء يفرى باليدين كما تفرى

فوصفها بأنها بذيةٌ وقد أوجعتْ ونيل منها ولقيت حلائلها عن عفرٍ أى بعد زمان وتلك الشكوى فى نفسها فجعلت تحدث وتحرك يديها فى حديثها فلا تكاد تسكنهما . وقال أبو تمام :

---

(١) العثنون : اللحية ، ولعله يريد أن زبده صعد بعثنونه . (٢) الحجاج العظم المحيط بالعين . (٣) فى ديوان أبى نواس (نبيل المحطم) ونفحن حركن ، واللغام : الزبد ، والمحطم : أنف البعير يوضع فيه الخطام .

فما صلاتي إذا كان الصلاء بها ... جمر الغضا الجزل إلا السير والابل
المرضياتك ما أرغمت آنفها ... والهادياتك وهي الشرد الضلل

وقال البحتري :

والعيس تنصل من دجاه كما انجلى ... صبغ الشباب على القذال الاشيب

وقال ابن المعتز :

ولم تزل تخبط الفلاة بأخـ ... ـفاف المطايا والظل معتدل
كأنما طار نحتنا قزع ... على أكف الرياح ينتقل
يفرى بطون الفلا النقا فكما ... يطعن بيض الجوانح الاسل

وقال في الناقة :

تصغى الى أمر الزمام كما ... عطفت يد الجاني ذرى الغصن

وقال في لقاح :

حوامل شحم جامد فوق أظهر ... وان تستغث ضراتهن به ذابا
اذا ما مسكاء الدرجاءت بمشعب ... كما سل خيط من سدى الثوب فانسابا

وهذا في دقة الشخب [1] حسن جداً :

رأيت انهمار الدر فوق فروجها ... كما عصرت أيدى الغواسل أثوابا
خوازن نحض في الجلود كأنها ... تحمل كثباناً من الرمل أصلابا

وقد أحسن في الناقة والزمام :

وسل البيداء عن رجل ... يخاطم الريح بثعبان

وقال : وقفت بها عيسى تطير بزجرها ... ويأمرها وحى الزمام فترقل
طلوباً برجليها يدب بها كما ... يد الخصم حقاً عند آخر يمطل

وقال بعض العرب :

تطير مناسمها بالحصى ... كما نقد الدرهم الصيرف

---

(١) الشخب بضم : ماخرج من الضرع من اللبن ، وفي الاصل بالسين المهملة .

ومن غريب ماقيل فى تقدم الناقة صواحبها[1] فى السير قول بعض العرب :

جاءَ وقد مَلَّ نَوَاءُ البحرينْ يَنْسِلُ مِنهنَّ اذا تدانينْ
مِثلَ انسلال الماءِ من جَفنِ العينْ

وأبلغ ماقيل فى غزر الناقة قول أبى حيّة :

تدِرُّ للمصفورِ لو مراها يَمَلأُ مسكَ الفيلِ لو أتاها

ومن جيد ماوصفَ به سمة الاخلاف قول ابن لجا :

كأنّما نصّتْ الى ضرّاتها من نخرِ الطلح مُجَوَّفاتها

وقال مُسلم بنُ الوليد في غير هـذا المعنى :

أتتك المطايا تهتدى بمطيّةٍ عليها فتى كالنصلِ يؤنسهُ النصلُ

وقال أبو نواس :

أياحبذا عَيشُ الوجادِ وضجعة الى دف مقلاقِ الوضين سَعومِ
ترامى بها الايجافُ[2] حتى كأنها تحيّفُ من أقطارها بقدوم

وأخبرنا أبو أحمد عن أبى بكر عن أبى حاتم عن الأصمعى عن أبى عمرو قال سمعت جندل بن الراعى ينشد بلال بن أبى بُردة :

نعوسٌ اذا درّت جرورٌ إذا غدت بُوبزل عام أوسديسٌ كبازل

قال فكاد صدرى ينفرجُ من جودتها حتى كتبتها . ودَرَّةُ الابل مع النعاس والغنمُ تدر مع الاحتراس فمن أجود ماقيل فى ذلك قول جبيها الأشجعى :

رقودٌ لو أنَّ الدُّفَّ يُضرَبُ تحتها لتنحاشَ من قاذوره لم تناكر

أى من قاذورة فيها يقال رجل قاذورة اذا كان يتجنب النساء ويتقى مجامعتهن .

ومن الوصف الحسن قول القطامى فى نوق :

جِفادٌ اذا صافتْ هضابٌ اذا شَتَتْ وفى الصيفِ بَرْدُدْنَ المياه العشر

يشبهها بالآبار من كثرة ألبانها فى أيام الربيع والقيظ وهى فى الشتاء كالهضاب

---

(١) فى الاصل «حواجبها» . (٢) فى ديوان أبى نواس « ترامت بها الأهوال » .

سمناً واذا شربت فى اليوم العاشر التفت فى مشله وفى كروشها بقيةٌ من الماء .

وعرض شريح ناقة للبيع فقال له المشترى كيف لبنها ؟ قال احلب فى أى اناء شئت ، قال فكيف الوطاء ؟ قال افرش ونم ، قال فكيف قوتها ؟ قال احمل على الحائط ماشئت : قال فكيف نجارها ؟ قال علق سوطك وسر . فاشتراها فلم ير شيئاً مما توهمه بصفة شريح فعاد اليه فقال لم أر شيئاً مما وصفت قال ما كذبتك قال فأقلنى قال نعم فأقاله . . وأنشد أبو أحمد رحمه الله :

جاءت تهادى مائلا ذراها تحنُّ أولاها على أخراها
مشى العروس قصرتْ خُطاها فاسمطتِ القيعانُ من رغاها
واتخذتنا كلنا طلاها

يقول انها كبيرة غزيرة إذا مشت سالت ألبانها فابيضت القيعان منها والرغا جمعُ رغوة ، واتخذتنا كلنا طلاها أى لشربنا ألبانها كأننا أولادها .

ومن أجود ماقيل فى ارتفاع الابل وارتفاع اسنمتها قول أبى دُؤاد :

فاذا أقبلتْ تقولُ اكامٌ مشرفاتٌ فَوْقَ الأكام اكامُ
وإذا أعرَضتْ تقولُ قصورٌ من سماهيج فوقها آطامُ
وإذا ماقفجتها بطن غيبٍ قلت نخلٌ قد حانَ منهُ صرام

الغيب ماوارك من الشجر ، وسماهيج أرضٌ بالبحرين .

﴿ الفصل الثالث ﴾

فى ذكر الفلوات والظلال والسير والنعاس وما يجرى مع ذلك

فمن أبلغ ماقيل فى صفة بعد الفلاة قول مسعود أخى ذى الرمة :

ومَهمهٍ فيه السرابُ يلمحُ يدأبُ فيه القومُ حتى يطلحوا
ثم يظلونَ كأن لم يَبرَحوا كأنما أمسوا بحيثُ أصبحوا

وقال رؤبةُ بن العجاج * يَكِلُّ وقد الريح من حيث انخرق *

ذكر أن الريح تكل فيه لبعده ، ووفد الريح مأخوذ من قول تأبط شرًا
* ويسبق وفد الريح من حيث ينتحى * وقال مسلم بن الوليد :

تجرى الرياح بما مرضى مولهة حسرى تلوذ بأطراف الجلاميد

قوله « بأطراف الجلاميد » زيادة ليست فى بيت رؤبة . ويشبهون استواء الفلاة باستواء ظهر الترس قال الشاعر « ومهمه كمثل ظهر الترس »
وأحسن ذو الرمة حيث يقول فى هذا المعنى :

ودوّ ككف المشترى غير أنه بساط لأخماس المراسيل واسع

شبهه بكف المشترى لأن كفه ألصق ، وفي رواية أخرى لأن المشترى يبسط كفه للصفق . وقلت فى نحوه :

وبحر ككف الأكرمين يحفه صعيد كأيدى السائلين مديد

وقال بعض المحدثين :

ودوّية مثل السماء قطعتها مطوفة آفاقها بسمائها

ومن عجيب التشبيه فى وصف الآل قول بعض الاعراب :

كفى حزنا أنى تطالت كأنى ذرى على دمخ فما يُريان
كأنهما والآل ينجاب عنهما من البعد عينا برقع خلقان

وهذا من أغرب ما رُوى من تشبيهات القدماء . وقال جميل بن معمر فى السراب :

ألا نيكما أعلام بتنة قد بدت كأن ذراها عمته سبيب
طوامس لى من دونهن عداوة ولى من وراء الطامسات حبيب
بعيد على كسلان أوذى ملالة وأما على ذى حاجة فقريب

والسبيب الشقة البيضاء . وقال ابن المعتز :

والآل ينزو بالصوى أمواجه نزو القطا الكدرى فى الاشراك
والظل مقرون بكل مطية مشى المهار الدهم بين رماك

ولا أعرف في هذا المعنى تشبيهاً أحسن ولا أصوب من هذا .

ومن عجيب التشبيه في وصف اعتدال الظل عند الظهيرة قول الراجز
« وانتعل الظل فصار جوربا » وقال آخر :

اذا شئتُ أدانى صَرومٌ مُشيعٌ معى وعقامٌ تتقى الفحل مُقلت
يطوف بها من جانبيها وبتقى بها الشمس حتى فى الاكارع ميتُ

أدانى : أعانى ، صرومٌ : أى صارمٌ ، مُشيعٌ : شجاع كأنّ معه أصحاباً يُشيعونه فهو جرىءٌ يعنى قلبه ، العقام : التى لا تلد فذاك أشدّ لها يعنى ناقة ، والمقلت : التى لا يبقى لها ولدٌ ، وحتى فى الاكارع ميّتٌ : يعنى ظلا قد ضارع عند انتصاف النهار . ومن بديع ماقيل فى السراب قول ابن المعتز :

وما راعنى بالبين إلا ظعائنٌ دَعونَ بكانى فاستجابت سواكبه
بدَتْ فى بياضِ الآل والبعدُ دونهُ كأسطار رقٍّ أمرضَ الخطّ كاتبه

ولهم في وصف الاسفار فى البحار شعرٌ قليلٌ فمن أجود ماوصف به الموج قول الهذلى :

« نعاجٌ يرتمين الى نعاج »

ولا أعرف فى السير والنعاس أجود لفظاً واستعارة مما أنشدناه أبو تمام :

يقولُ وقد مالتْ بنا نشوةُ الكرَى نعاساً ومن يعلق سُرى الليل يكسل
أنخ نُعسطِ انضاء النُعاسِ دوابّها قليلاً ورفّه عن قلائص ذبّل
فقلتُ له كيف الاناخةُ بعد ما حدا الليل عريان الظريفة مُنجلى

ومما يجرى مع ذلك قول الآخر :

عودٌ على عودٍ على عودِ خلق كأنه والليل يرمى بالغسق
مَشاجبٌ وفلقُ سقبٍ وطلق

عود : يريد شيخاً كبيراً ؟ على عود أى على بعير مُسنٍّ ، على عود خلق أى طريق قديم دارس فكأنّه يُريدُ كأنّ ذلك كما قال رُؤبةُ :

فيها خطوطٌ من سواد وبلق كأنّه فى الجلدِ توليعُ البهق

أى كأنّ ذلك شبّه البعير بالمشاجب والطريق بالسقب وهو عمودٌ من عمد

الظباء ، وشبّه الشيخ بالطلق وهو القيد لانحنائه . وقريبٌ منه قول الآخر :

عودٌ على عودٍ قرود اللابل يموتُ بالترك ويحيا بالعمل

عودٌ : بعير ، على عود يعني طريقا ، يموت بالترك : يعني الطريق يدرس اذا لم يسلك ، ويحيا بالعمل : اذا سلك استبان . ومن المختار فى صفة النعاس قول الآخر :

فأصبحنَ بالموماةِ يحملنَ فتيةً نشاوى من الادلاج ميلُ العمائم

كأن الكرى سقاهمُ صرخديّةً عُقاراً تمشى فى المطا [1] والقوائم

وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن عبد الرحمن عن الأصمعي أن أبا عمرو ابن العلاء كان يستحسن قول بشامة بن غدير ويعجب منه غاية العجب :

كأن يديها وقد أرقلت وقد حرنَ ثم اهتدينَ السبيلا

بدا سابحٌ حرٌّ فى غمرةٍ فأدركهُ الموتُ إلا قليلا

ومما يجرى مع ذلك قول الاعرابى :

بدأن بنا وابن الليالى كأنهُ حُسامٌ جلا عنه القيون صقيل

فما رلتُ أفنى كلَّ يوم شبابَهُ الى أن أتتك العيسُ وهو ضئيل

الفصل الرابع

(فى ذكر الوحوش والسباع والكلاب والصيد ومايجرى مع ذلك)

ممن أجود ماقيل في وصف الثور اذا عدا فيخفى تارة ويظهر أخرى قول الطرماح ، وكان الأصمعى يتعجب من حسنه :

يبدو وتضمرهُ البلادُ كأنهُ سيفٌ على شرف يُسَلُّ ويغمد

وقد أحسن عدىّ بن الرقاع [2] فى وصف ثورين وما يثيران فى عدوهما من الغبار وهو

يتعاورانِ من الغبارِ مُلاءة بيضاءَ مُخملةً هما نسجاها

---

(١) المطا : الظهر . (٢) هو عدى بن زيد العاملى ، من معاصرى جرير مدح بنى أمية فى الشام واختص بالوليد بن عبد الملك .

تطوى إذا عـلو ا مَكاناً جاسيا وإذا السنابك أسهلت نشراها

لاأعرف في صفة الغبار أحسن ولا أتم من هذا . وأما قوله في صفة قرن الظبي فليس له شبيه وهو من المشهور :

يُزجى أغنَّ كأن إبرةَ روقِهِ قلمٌ أصاب من الدواةِ مِدادها

وقد أحسن الراعي في وصف الوعل :

بروذُ بها ذبَّ الرياد كأنه فتىً فارسيٌّ في سراويل رامح

ذبّ الرياد أي[1] الوعل ، ويرود يجيء ويذهب ، شبّهه ما على قوائمه من الشعر بالسراويل وشبه قرنه بالرمح . وقال ابن المعتز :

كأني على طاوٍ من الوحشِ ناشطٍ تخالُ قرون الأجل من خلفه غابا

الأجل : القطيع من بقر الوحش ، والغاب : الاجمة . وقال أيضا :

وجرت لنا سنحا جآذر رملةٍ تتلو الها كاللؤلؤ المتبدد

قد أطلعت إبر القرون كأنها أخذ المراود من سحيق الأثمد

وقال ابن المعتز :

شغلته لواقحٌ ملأته غيرةٌ فهو خلفهن كميُّ

قابضٌ جمعها اليه كما يجـ ـمع أيتامَه اليه الوصيُّ

كلما شمَّ لاقحا سيء منها رأس فحل برجلها معليُّ

خارجٌ من ظلال نقع كما مـ ـزق جلباب الخليع الغويُّ

قد طواها التسويق والشد حتى هي قبٌّ كأنهن القسيُّ

هربت في رؤوسهن عيونٌ غائراتٌ كأنهن الركيُّ

وقال أيضاً: كأن آثارَ أظلاف الظباء به ودعٌ يخلفه أضلافه نسق

ومن فصيح ماقيل في الكلب وبليغه قول أبي نواس :

كأن لحيه على افتراره[2] شك مسامير على طواره

---

(١) في الأصل « على الوعل » . (٢) في ديوان أبي نواس « لدى افتراره » .

طواره : نواحيه .

سمعٌ[١] إذا استروح لم يمساره إلا بأن يطلقَ من عذاره
فانصاع كالكوكب في انحداره لفت المشير مُوهناً بناره
شداً إذا أخصف في جداره[٢] خرق أذنيه شبا اظفاره

وهذا مثل قوله :

من كل أخدى ميسان المنكب يشبُّ في القودِ شُبوبَ المقرب
يلحق أذنيه بحد المخلب

المقرب : الكريم من الخيل يشد لكرمه بقرب البيوت ؛ ميسان المنكب أى من سعة جلده يميس منكبه. ومن بديع الوصف قوله :

كأنما الأظفورُ في قنابهِ موسى صناعٍ رُدَّ في نصابهِ
تراه في الحضرِ إذا هاهابه يكادُ أن يخرجَ من اهابهِ

أخذه من قول ذى الرمة :

لايذخران من الايفال باقية حتى تكاد تفرى عنهما الأُعب

والقناب : الغلاف . وقد أحسن في قوله وأجاد :

فجاء بُزجيها على شياتها شمّ العراقيبِ مُؤنفاتها
مفروشة الأيدى شر نبثاتها مشرفة الأكتاف موفداتها
قود الخراطيم مخرطماتها غرّ الوجوه ومحجلاتها

الموفدات : المشرفات ؛ خرطوم مخرطم مثل ليل أليل :

كأن أقماراً على لبّاتها ذل المآخير عملساتها[٣]
لتمثأ الأرنب عن حياتها ان حياة الكلب في وفاتها

وقال ابن المعتز فى سمة أشداق الكلاب :

---

(١) السمع : ولد الذئب . (٢) فى ديوان أبى نواس (حتى إذا أخصف فى احضاره) . (٣) فى الأصل « زل المساخير معكساتها »

كأنها فى حاقِ الاطواقِ ضواحكٌ من سعة الأشداق

وقال فى شدة عدو الكلاب * كأنها تعجل شيئاً تحسبه * من قول أبى نواس * كأنما يعجلن شيئاً لقطا * ومن بليغ ماقيل فى شدة العدو قول الأحمر فى الثور:

وكأنما جهدت أليتهُ ان لا تمسَّ الأرضَ أربعهُ

ومن جيد وصف السرعة قول الحمانى:

يبادرُ الناظر وهو يبدرُهْ كأنّ من يُبصرهُ لا يبصرهُ

وقال الأصمعي وأحسن ماقيل في صفة الذئب قول حميد بن ثور:

ترى طرفيهِ ينسلانِ كلاهما كما اهتزَّ عُودُ النبعةِ المتتابعُ
ينامُ باحدى مُقلتيهِ ويُتقى بأخرى المنايا فهو يقظانُ هاجعُ

وقال الأصمعى من أوجز الكلام قول الراجز فى الذئب:

أطلس يخفى شخصهُ غبارُهُ فى فمهِ شغرتهُ وثارُهُ

هو الخبيث [1] عينه فراره

ومما يجرى مع ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبى بكر بن دريد عن عبد الرحمن عن عمه عن أبى عمرو قال: رأيتُ باليمن غلاماً من جَرْم ينشدُ عنزاً فقلت له صفها ياغلام فقال: حمراء مقبلة شعراء مدبرة بين عثرة الدهسة وقنو الدبسة سجحاء الخدين خطلاء الأذنين فقساء الصورين كأن زنمتيها تتوا قلنسوة يالها أم عيال وثمل مال. الحمراء: التى قل شعر مقدمها؛ والشعراء: التى قد كثر شعرها؛ والعثرة عثرة كدرة؛ والدهسة لون الأرض، والقنو شدة الحمرة، والدبسة حمرة كدرة، والسجحاء السهلة الخدين؛ والخطلاء الطويلة الأذنين المضطربتهما، والفساء المتباعدة بين طرفي القرنين، والصورُ: القرن.

---

(١) في النسخ غير منقوطة فصححناها من لسان العرب حيث يقول «الخبيث عينه فراره: تعرف الخبث فى عينه إذا أبصرته». وفي النسخ «عيبه» بالباء وهو تصحيف.

والزمتان اللحمتان الملقتان تحت حنك الشاة [١] ، والنتو ذؤابة القلنسوة .

ولأعرابي في الذئب :

وأطلس ملء العين يحمل زوره ... وأضلاعه من جانبيه شوى النهد
له ذنب مثل الشواء يمده ... ومتن كمتن القوس أعوج مُنأد
طواه الطوى حتى استمر مريره ... فما فيه إلا الروح والعظم والجلد
يقضقض عضلاً في أسرتها الردى ... كقضقضة المقرور أرعده البرد
عوى ثم أقعى فارتجزت فهجته ... فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد
وأتبعته أخرى وأضللت نصله ... بحيث تلوى اللب والرعب والحقد

وقال غيره في الفيل :

أجرد كالعود طويل النابين ... بعيد ما بين محط الرجلين
ينفض أذنين كمفضلي بردين

وقال ابن الرومي فيه :

ولا أعضل النابين حامل مخطم ... به حجن طوراً وطوراً به فدم
يقلب جثماناً عظاماً موثقاً ... يهد بركنيه الجبال اذا زحم
ويبسط بخرطوم يطاوع أمره ... ومشتبهات ما أصاب بها عثم
ولست ترى بأساً يقوم لبأسه ... إذا أعمل النابين في الناس أو صدم

﴿ الفصل الخامس من الباب العاشر ﴾

في ذكر الطيور

مما جاء من منثور الكلام في وصف الحمام قول بعضهم : بهر ما في العينين عاجي

---

(١) قال المحبي في جنى الجنتين في تمييز المثنيين « الزملتان هنتان تكون للمعز في حلوقها ، فان كانتا في الاذنين فهما زمتان بالنون » ولم يخصص في القاموس هذا التخصيص .

المنقار أصهب القرطمتين [١] سبجى الجناحين كأنما خطا بقلمين درى الدفتين فضى الحقيبة والبطن والكشحين أرجوانى الساقين والقدمين مُعتدل الهامة جاحظ الحدقتين رحب الأذنين والمنخرين واسع الحوصلة والشدقين محدد المنكبين والركبتين سبط الذنب والكفين طويلُ العنق والقوادم والفخذين قصير الخوافى والساقين عريضُ الصدر والدفتين والوظيفتين غليظ القصب أجش الهدرة منتصب الهامة ذكي الحركة بعيد الذرقة .

ووصف ابن المعتز حماماً طلبه من انسان : أُريد حرمي الطرق عاجى المنقار أغنّ الهدير ذا ذنبٍ قصير يسحبُ حوصلته إذا هدر وتروح صفقته إذا صفق قرطاسىّ الدفتين سبجى الجناحين كأن رجليه خاضتا دماً أوشربتا عندماً وكأن عينيه جمرة ورأسه زُبدة . وقلت في حمام أبلق :

ومُتفقات الشكل مُختلفاته ... لبسنَ ظلاماً بالصباح مرقّعا
أخذْنَ من الكافور أنفاً ومنسراً ... وخضبن بالحناء كفاً وأصبعا
وتدنو بأبصارٍ إذا ما أدرتها ... جلونَ عقيقاً للعيون مرصعا
تطيرُ بأمثال الجلام كأنها ... جنادلُ تدحوها تلاعاً وأربعا
تبوع [٢] بها في الجوّ من غير فترة ... كأن مجاذيفاً تبوعُ بها معا
إذا هيَ عبّت في الغدير حسبتها ... ترقُّ فراخاً في المغادر جُوّعا

وقال بعضهم فى عين العقعق :

يُقلّبُ عينين في رأسهِ ... كأنهما نقطتا زئبق

ومن المختار في الديك ما أنشده الجاحظ :

كأن الديكَ ديكُ بنى نميرٍ ... أمير المؤمنين على السرير

والناس يستحسنون قول ابن المعتز فى الديك :

---

(١) قرطمتا الحمام : نقطتان على أصل منقاره ـ كما فى جنى الجنتين للمحبى .
(٢) أى تسرع .

صفّق إما ارتياحةً لسنى الصبح وإما على الدُّجى أسفا

وقال ديك الجن :

أوفى بصبغ أبى قابوس مفرقهُ كدُرَّةِ التاجِ لما عُلِّيت شرفا

وقوله « صبغ أبى قابوس » يعنى شقائق النعمان ، وهذا كلامٌ بعيدُ المتناول ظاهر التكلف . وقلتُ فيه :

مُتوَّجٌ بعقيقٍ مقرطٌ بلجينٍ عليه قرطقُ وشيٍ مُشمِّرُ الكفين
قد زيَّنَ النحرمنه نتفان كالوردتين حتى إذا الصبحُ يبدو مُطرِّزُ الطرَّتين
دعا دُعاءَ طروبٍ مُصفِّقُ الكفين يزهى بتاجٍ وطوقٍ كأنه ذو رعين

وقال السرى الرفاء :

كشفَ الصباحُ قناعهُ فتألقا وسعا على الليل البهيم فأطرقا
وعلا فبشَّرَ بالصباح مُدرِّعٌ بالوشى مُتوَّجٌ بالعقيق ومُطوَّقا
مُرخى فضول التاج في لُبَّاته ومُشمِّر ثوباً عليه مُعمَّقا

وقال ابن المعتز :

وقامَ فوقَ الجدارِ مُشترفٌ كمثل طرف أعلاهُ أسوارُ
رافعُ رأسٍ طوراً وخافضهُ كأنما العرفُ منه منشار

ومن أجود ما قيل في وصف النعام قول عدىّ بن زيد :

ومكانٍ زعل ظلمانهُ كرجالِ الحبشِ تمشى بالعمد

فقال شبَّه أعناقها إذا مدت بالعمد . ومن أحسن تشبيه أخذه المعانى :

كأنها حين مدت عنقها حرقا سُودُ الرجالِ تعادى بالمزاريق

وكان ينبغى أن يقول « مدت أعناقها » والذى قال ردىء ، وقد جاء مثله .

وقال ابن أبى عيينة :

ياجنةً فاتت الجنانَ فما تبلغها قيمةٌ ولا ثمنُ
ألفتُها فاتخذتها وطناً إنَّ فؤادى لحبها وطنُ

أنظر وفكر فيما تعليفُ به ... إنَّ الأريبَ المفكر الفطن
من سفنٍ كالنعام مقبلةٍ ... ومن نعام كأنها سُفنُ

ومثله قوله :

زر وادىَ القصرِ نعم القصرُ والوادى ... وحبذا أهلهُ من حاضر بادى
ترقى قراقيرُه والعيسُ واقفةٌ ... والضبُّ والنونُ[1] والملاحُ والحادى

وقول الآخر :

كأنّ بالسهب على خربائه ... عرشاً يخر الريحُ فى قصبائه
يضحك جنُّ الأرضِ من نحائه ... كأنّ قوسَ الغيم من ورائه

يعنى الغبار المنعرج خلفه . وقلتُ فى فاختة :

مررتُ بمطرابِ الغداةِ كأنّها ... تُعلُّ مع الاشراق راحاً مُقلقلا

ويروى « تُعل رحيقاً فى الغصون مُقلقلا » :

منمرة كدراء تحسبُ أنها ... تجللُ من جلدِ السحابةِ مفصلا
بدَتْ تجتلى للعينِ طوقاً مسكاً ... وطرقاً كما ترنو الخريدةُ أكحلا
لها ذنبٌ وافى الجوانبِ مثل ما ... تُقشّرُ طلعاً أو تجرّدُ منصلا
اذا حلقت فى الجوّ خلتَ جناحها ... يردُ صفيراً أو يحرك جُلجلا

وقال أبو نواس فى حُباريات :

يخطرنَ من برانس قُشوب ... من حبرٍ عُوابنَ بالتذهيب
فهن أمثال النصارى الشيب

وقلتُ فى قبجة[2] :

أهديتها كالهدىّ آنسة ... وهى سليلُ النواشزِ النفرِ
تلبسُ سُتُورةً مُشمّرةً ... تصونُ أطرافها من العفرِ
وقد جرى المسكُ من محاجرها ... فضمّ لبّاتها مع النثر

---

(١) النون : الحوت . (٢) وهى الحجلة .

تخطرُ فى حـلةٍ مُصَـدرةٍ كأنّ أكمامها من الحِـبر
واحمرّ منقارُها ومنخرها تفتّح الوردِ في ندَى السحر
كأنّها حـينَ نقط قرطمها تضربُ ياقوتةً على دُرَرِ

وقال أبو نواس فى طير الماء :

كأنما يصفرنَ من ملاعق صرصرة الاقلام فى المهارق

ونقله الى موضع آخر فقال أيضاً :

يصفرُ أحياناً إذا لم يهزج من مثل حرفِ المجدح المغنج

المجدح : مايجدح به السويق ، والمغنج : المعطف .

وأحسن ماشُبِّهَ به ذلك قول بعض الاعراب يصف طيراً أنشده الاصمعي :

يضربنَ أحنا كأ إلى الماءِ كلها لبيقٌ كمفروج المناقيشِ أسجح

لبيقٌ : أى رفيق بذلك حاذق به ، يقول هذه الاحناك لبيقة بالشرب ، والمفروج : المفتوح مابينه . وقلتُ فى الخطّاف :

وزائرة فى كلّ عام تزورنا فيُخبرُ عن طيبِ الزمانِ مزارها
تخبرُ (١) أنّ الجوّ رَقّ قميصهُ وأنّ الرّياضَ قد توشّى ازارها
وأنّ وُجوهَ الغُدرِ راقَ بياضها وأنّ وجوهَ الارضِ راع اخضرارها
تحنّ الينا وهى من غيرِ شكلنا فتدنو على بُعد من الشكل دارها
فيعجبنا وسطَ العراصِ وقوعُها ويُؤنسنا بينَ الديارِ مطارُها
أغار على ضوءِ الصباح قميصها وفازَ بألوانِ الليالى خِمارُها
تصيحُ كما صرّت نعالُ عرائس تمشت اليها هندها ونوارها
تجاورُنا حتى تشبّ صغارُها وتقضى لبانات النفوسِ كبارها

ولم أسمع فى ذلك أحسن من قول بعض المحدثين :

وغريبـة حنّتْ الى أوطانها جاءت تبشرُ بالزمانِ المقبـل

(١) فى النسخ مهملة من النقط .

فرشت جناح الأبنوس وسطرت بالعاج فيه وقهقهت بالصندل

وقال فى أصواتها :

أيا عجباً من آنس لك نافر يعاود وصلاً وهو فى حال هاجر
يزور على بعد المكان ولم يرد وصالاً فقل فى زائر غير زائر
له فى الذرى شذر يمر وينثنى كما حرك الكعبين كف مقامر

وهذا معنى لم أسبق اليه . وقال أبو نواس فى أصوات الخطاف :

كأن أصواتها في الجو طائرة صوت الجلام إذا ماقصت الشعرا

وقال ابن المعتز فى البازى :

فارس كف مائل كالأسوار ذو جؤجؤ مثل الرخام المرمار
أو مصحف منمنم بأسطار ومقلة صفراء مثل الدينار
يرفع جفناً مثل حرف الزنار

وهذا تشبيه فى غاية الاصابة . ومن أحسن ماقيل فى منسر البازى قول أبى نواس :

ومنسر أكلف فيه شيخا كأنه عقد ثمانينا

وقال ابن المعتز في عين البازى وأجاد فيه :

ومقلة تصدقه إذا رمق كأنها نرجسة بلا ورق

وقال أبو نواس :

في هامة علياء تهدى[1] منسراً كعطفة الجيم بكف أعسرا

وقال ابن المعتز فى بزاة :

وفتيان غدوا والليل داج وضوء الصبح متهم الطلوع
كأن بزاتهم أمراء جيش على أكتافها صدأ الدروع

وقال فى عين البازى * كأنها في الرأس مسمار ذهب *

---

(١) فى الأصل « غلباء تهذى » .

وقال أيضاً : ومنسر عضب الشباه دام كمقدك الحسين بالابهام
وخافق الصيد ذى اصطلام ينشره للنهض والاقدام
كنشرك البرد على المستام

وقال أيضاً : ذى جؤجؤ محبر موشى ومقلة تلحق بالقصى
كأنها دينار صيرفى واتصلت براته القوهى
صاف كفصن الذهب المجلى

وقال أيضاً : أقمر من ضرب بزاة قمر بصقل حملاقاً شديد الطحر
كأنه مكتحل متبر فى هامة لمت كلم الفقر
تريح ان راح لأمر بهر من منخر رحب كمقد العشر

وقلت في الصقر :

وصلتان فلتان أنمر كأنه إذا هوى للأعفر
معتبر يهوى الى مزعفر بأبيض من البزاة أقمر
منمنم الصدر كصدر الدفتر يمثل اهداب جفون الاحور

وقلتُ : بصلتان ساط جسور تخاله فى مفصل مزرور
ضم جناحيه على سمور معوج المنسر والأظفور
كالجيم فى منقطع السطور

وقلت فى عصفورة يقال لها السقا :

ومفتنة الألوان بيض وجوهها ونمر تراقيها وصفر جنوبها
كأن دراريعاً عليها قصيرة مرقمة أعطافها وجيوبها
تعدل ألوان الأغانى كأنما تعدل أوزان الأغانى عريبها
تسام استقاة فى العشاء إذا عرى وعطل أيام المصيف ذنوبها

وكان الأصمعي يتعجب من حسن بيت الطرماح فى صفة الظليم
مجتاب . وقلتُ في بلابل :

مررتُ بدكن القمص سودِ المعائم تفنى على أعرافِ غيدٍ نواعم
زُهينَ بأصداغ نروقٌ كأنها نجومٌ على أعضادِ أسود فاحم
ترى ذهباً ألقتهُ تحتَ مآخر لها ولجيناً بطنه بالمقادم
فياحسنَ خلق من نضارٍ وفضة وخز وديباج أحمّ وقاتم

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أبى ذكوان وأبى خليفة عن التوزى قال قال عمرو بن الحارث الجمحى مارأى الأصمعى مثل نفسه قال الرشيد يوماً أنشدونا أحسن ماقيل فى وصف العقاب فعذر القوم ولم يأتوا بشىء فقال الأصمعى أحسن ماقيل فيها:

باتتْ يورّقها فى وكرها سَغبٌ وناهضٌ يخلس الأقواتَ من فيها

وقال امرؤ القيس :

كأن قلوبَ الطيرِ رَطباً ويابساً لدى وكرها العنابُ والحشفُ البالى

فقال الرشيدُ مابعل[1] القوم بشىء إلا وجدت عندك فيه شيئاً .

وقال آخر فى الغُراب :

وجرى بينهم غداةَ تحملوا من ذى الأبارقِ شاجحٌ يتفندُ
شبخ الذسا خرقُ الجناح تخالهُ فى الدارِ إثر الظاعنينَ مُقَيد

وقال آخر فى عقعق :

إذا بارك اللهُ فى طائرٍ فلا بارك اللهُ فى عقعق
طويل الذنابى قصير الجنا ح متى مايجد غفلةً يسرق
يُقلّب عينينِ فى رأسهِ كأنهما قطرنا زئبق

وقال آخر فى الزنابير :

لها حماةٌ كأنها شعر تظهرُ مسوَدّةً وتستترُ
قد أذهبت فى الجبينِ غرّته إذ فضّضت فى جيادنا الغررَ

وقلت فى ظبية داجنة وقارى :

---

(١) بعل بأمره كفرح : دهش وفرق وبرم فلم يدر مايصنع .

فيها مؤانسةٌ لنا وحشيةٌ تومى بناظرها إلى ظمياء
تختالُ فى متصندلٍ متكفرٍ تبراً أضرَّ بفضةٍ بيضاء
ودقيقة الأطرافِ وهى جسيمةٌ ريّا تمرمر فى متونِ ظلماء
ومغنيات من وراءِ ستائرٍ مشقوقة الأوساط والاحناء
غنَّتْ فلم تحوج إلى مشهورةٍ وشَدتْ فلم تفقر إلى الميلاء
تبدو على أعناقهنَّ أهلةٌ سودٌ تبدل ظلمة بضياءِ

﴿ الفصل السادس من الباب العاشر ﴾

(فى ذكر بقية الحيوان من السنور والقنفذ والفأرة والحية والعقرب والحرباء والضب والبق والبراغيث وما يجرى مع ذلك)

كتب الصاحب أبو القاسم فى وصف قنفذ : قد أتحفتك ياسيدى بمانق نفيس يتعجب المتأمل من أحواله ويحار الناظر فى أوصافه ويتبلد المعتبر في آياته فما تعرف بديهة النظر أمن الحيوان هو أم من الجماد أم هو من الشجر أم من النبات ومن الناطق هو أم من الصامت أم من الحار أم من البارد أم من الرطب أم من اليابس حتى إذا أعطى متدبره النظر أوفى حقوقه والفحص أكمل شروطه علم أنه حى سلاحه فى حضنه ورام سهامه فى ضمنه ومقاتل رماحه على ظهره ومخاتل سره خلاف جهره ومحارب حصنه من نفسه يلقاك بأخشن من حد السيف ويستتر بألين من مسه حتى إذا حذر جمع أطرافه فتحسبه رابية قتاد أو كرة حرشف ومتى أمن بسط أكنافه وهى أمضى من الأجل وأرمى من مثل ان رأته الأراقم رأت حينها أو عاينته الأساود عاينت حتفها صعلوك ليل لايحجم عن دامسه وحارس ظلام لايجبن فى حنادسه ـ شعر :

كغشم الفتيان غير مهبل سهد إذا ماناء ليل الهوجل

لجرمه من الضب شبه ومن الفأر شكل ومن الورل نسبة ومن الدلدل سبب ولم أعمه عليك هو أنقد ولذلك قيل من لم يذق غماضا ولم يرقد حشاشا بات بليلة الأنقد ، وذكر الشيهم وهو الشيظم وأنثاه عيهمة معرفة لايدخل الألف واللام عليها كنخوط ودجلة وكحل ، ولا أعنيك هو القنفذ ، ومن أحواله أن العرب تسلخ جلده فتخرجه كالشحمة البيضاء وتجعله من أنفس ما آكلها وأفخر مطاعمها حتى تراه أرفع من الأفاعي وأنفع من الجرذان وتدعي جهلة الاعراب انه من مراكب الشيطان وهو ألطف من الفرس حساً وأصدق سمعاً وقد جاء في المثل (أسمع من قنفذ) ومن أوابده أنه يسود إذا هرم ويصير كأبر مايكون من الكلاب وأعظم ويشبه به ركب المرأة عقب النتف والنورة ولذلك قال ابن طارق في أرجوزته :

بصيرُ بعدَ حلقهِ ونورتهْ كقنفذِ القفِّ اختبى في فروته

ويُشبَّهُ الساعي والنمام به لخبثه ومكره واضطرابه في ليله قال أيمن بن خريم :

كقنفذِ الرملِ لاتخفى مدارجهُ خبٌّ إذا نامَ ليلُ الناسِ لم ينم

وقال عبدة بن الطبيب [1] :

قومٌ إذا دَمسَ الظلامُ عليهم حدجوا قنافذَ بالمنيعة تمرعُ

وقال جرير :

يَدبّون حولَ ركياتهم دبيبَ القنافذِ في المرفج

فخذه ياسيدي ممتّعاً واقبله شاكراً برّي فيه فاحتط عليه احتياط الشحيح على ماله والجبان على روحه وارغب إلى الله تعالى في حفظه واسأله إطالة عمره وهو حسبي ونعم الوكيل .

ولم أسمع في صفة الهرّة أظرف من قول ابن طباطبا العلوي الاصفهاني قال فيها :

أرقتْ مُقلتي لحبِّ عَروس طفلةٍ في الملاح غيرِ شموس

فتنتني بظبيةٍ وضياء إذ بدَتْ لي كالعاج في الابنوس

---

(١) هو الشاعر الفحل الشجاع الذي شهد الفتوح ، وقال فيها شعراً .

تتلقّى الظلامَ من مُقلتيها بشعاعٍ يحكى شُعاعَ الشموس
ذات دَلّ قصيرة كلما قا مت تهادى طويلة فى الجلوس
لم تزل تسبغُ الوضوءَ وتتقى كلَّ عضوٍ لها مس التنجيس
دأبها ساعةَ الطهارةِ دفنُ المعنبرِ الرَّطبِ فى الخنوط اليبيس

ومن أجود ماقيل فى الحيّة قول النابغة :

صِلٌّ صفا لاينطوى من القصَرْ طويلةُ الاطرافِ من غيرِ خَفَرْ
مهرونةُ الشدقين (١) حوْلاءُ النظَرْ تَفترُ عن عُوجٍ حِداد كالأبَرْ

داهية قد صغرت من الكبر

وقال الآخر : خُلقت لهازمة عرين ورأسهُ كالقرص فطح من دقيقِ شعير
فكأنَّ شدقيهِ إذا استعرضتهُ شدقا عجوزٍ مضمضت لطهور

وأجاد خاف فى قوله :

ثم أتى بحيّةٍ مانجبي أبتر مثل بيذقِ الشطرنج

وليس من شعر المحدثين فى الحية أحسن من قول ابن المعتز :

كأنى ساورتنى يومَ بينهم رقشاءُ مجدولة فى لونها بلق
كأنها حين تبدو من مكامنها غصنٌ تفتح فيهِ النورُ والورق
ينسل منها لسانٌ تستغيثُ به كما تعوَّذَ بالسبابةِ الغرقُ

وقوله أيضاً :

أنعتُ رقشاء لايحبى لديغتها لوقدها السيف لم يعلق به بللُ
تلقى إذا انسلخت فى الأرض جلدتها كأنها كمُ درعٍ قدَّهُ بطل

وقلت : وخفيفة الحركات تقترع الرُّبى كالبرقِ يلمعُ فى الغمام الرائح
منقوطة تحكى بطونَ صحائف ابانَ تبدو من بطونِ صفائح
ترضى من الدنيا بظلِّ صخيرة ومن المعايش باشتمام روائح

(١) أى واسعة الشدقين .

وهذا من قولهم ان الحية إذا هرمت لم تحتج الى الطعم واكتفت بالنسيم .

وقال اعرابى :

وحنش كحلقة السوارِ غايتهُ شِبرٌ من الاشبار
كأنهُ قضيبُ ماءٍ جارى يفترُّ عن مثل تلظى النار

وقال آخر : يرقونه فكأنما يعنى برقيته سواه

وقال أبو العباس ثعلبُ يُقالُ انه لم يسمع فى صفة الحية أحسن من هذا البيت وأنشد :

كأنما لسانه على فيه دخانُ مصباح ذكت ذواكيه

وقال عبد الصمد بنُ المعدل فى العقرب :

يارُبَّ ذى إفكٍ كثير خدُعه يبرُزُ كالقرنين حينَ يطلعه
فى مثلِ ظهرِ السبتِ حينَ تلطعه أسود كالسيحة فيه مصبعه
لا تصنعُ الرقشاءُ مالا تصنعه

وقلتُ فيها أيضاً :

وإذا شتوتُ أمنت لسعة عقرب كالنارِ طارت من زنادِ القادح
قد خلتها تمشى بسبحة عابد كلا لقد تمشى بصعدةِ رامح

وقال آخر يحملُ رُمحاً إذا كعوبٍ مُشتهر فيه سِنانٌ كالحريق يستعر
انفَ تأنيفاً على حسن قدر تأنيف أنفِ القوسِ شُدَّت بالوتر

ومن أحسن ماقيل فى الحرباء وهى دويبة شبيهة بالمظاة تأتى شجرة بالتنضبة فتمسكُ بيديها غصنين منها وتُقابلُ الشمس بوجهها فكلما زالت عين الشمس عن ساق منها خلّت يديها عنه وأمسكت بساق آخر حتى تغيب الشمس فتسبح فى الأرض وترتعُ قال أبو دواد :

إنى أتيح لها حرباءُ تنضبة لا يرسِلُ الساقَ إلا ممسكاً ساقا

والعرب تقول أحزمُ من الحرباء لانها لا ترسل غصناً إلا أمسكت بآخر ،

ويشبهه به الرجل الحصيف [1] الذي لا يترك سبباً إلا أخذ بسبب أمتن منه .
قال ابن الرومي في امرأة ورقيبها :

مابالها قد حسنت ورقيبها أبداً قبيح قبح الرقباء
ماذاك إلا أنها شمس الضحى أبداً يكون رقيبها الحرباء

وقال بعض العلماء : الحرباء فارسية معربة وأصلها خورباء أي حافظ الشمس ؛ وخور اسم للشمس بالفارسية . وكان ذو الرمة أنعت العرب للحرباء قال :

ودوية جرداء جدّاء خيّمت بها صبوات الصيف من كل جانب
كأن يدى حربائها متمسكاً يدا مذنب يستغفر الله تائب

وقال أيضا : وقد جعل الحرباء يصفر لونه ويخضر من حر الهجير غاغبه
ويسبح بالكفين سبحاً كأنه أخو فجره أوفى به الجذع صالبه

وقال أيضاً : يصلى بها الحرباء للشمس ماثلا على الجذل إلا أنه لا يكبّر
إذا حوّل الظل العشيّ رأيته حنيفاً وفي قرن الضحى يتنصّر

وهذه تشبيهات مصيبة عجيبة الاصابة دالة على شدة الحذق وثقوب الذهن ؛ وقد أجمعت العرب أن ذا الرمة أحسنهم تشبيهات . وقال ابن المعتز :

ومهمه فيه بيضات القطا كسرا كأنها في الأفاحيص القوارير
كأن حربائها والشمس تصهره صال لنا من لهيب النار مقرور

وهذا تشبيه مصيب أيضاً إلا أن للأول رقة وطلاوة ليس لذا .

ومن أحسن ماقيل في الضب قول الحماني :

ترى ضبها متسعاً رأسه كما مدّ ساعده الأقطع
له ظاهر مثل برد الوشيّ وبطن كما حسر الاصلع
هو الضب ما مدّ سكانه فإذ ضمّه فهو الضّفدع

ومن أجود ماقيل في البعوض وأجمعه قول بعضهم أنشده أبو عثمان :

---

(١) في نسخة « الحصيف » وفي أخرى « الخفيف » ولعل الصواب ماأثبتناه .

إذا البعوضُ زجلتْ أصواتها ... وأخذَ اللحنَ مُغنياتها
لم تُطرب السامعَ خافضاتها ... وأرّقَ العينين رافعاتها
صغيرةٌ كبيرةٌ أذاتها ... يقصر عن بُغيتها بُغاتها
ولا يصيب أبداً رُماتها ... رامحة خرطومها قناتها

وقال آخر : * سنانة أعظمها أذاها * وقال ابن المعتز :

بتُّ بليلٍ كلهُ لم أطرفِ ... قِرقسهُ (١) كالزبر المنتّف
يثقبُ الجلدَ وراء المطرفِ ... حتى ترى فيه كشكل المصحف
أو مثل روس العصفر المندّف

وقلت : غناءٌ يسخنُ العينَ ... وينفي فَرَحَ القلبِ
ولا يأتي على الزمرِ ... ولا يجرى مع الضرب
غناء البقّ بالليلِ ... ينافي طربَ الشرب
إذا ما طرقَ المرء ... جرى في طاق الكرب
نحيفٌ راح كالشنّ ... ولكن بات كالوطب
إذا ما ثقبَ الجلدَ ... أخفى موضعَ الثقب
سوى حمرٍ خفيات ... تحاكي نقطَ الكتب

وقد ذكروا أن كل معنى للأوائل أخذه المتأخرون وتصرفوا فيه إلا قول عنترة في الذباب فانه لم يتعرض (٢) له ولو رامه من رامه لافتضح وهو قوله :

وترى الذبابَ بها يُغنى وحدَهُ ... زجلاً كفعل الشاربِ المترنم
هزجاً يحكُّ ذراعه بذراعهِ ... فعلَ المكبِّ على الزنادِ الأجذم

وقلت : وبدا فغنانى البعوضُ مُطرباً ... فهرقتُ كأس النوم إذ غنانى
ثم انبرى البرغوثُ ينقطُ أضلعى ... نقطَ المعلم مُشكلَ القرآن
حتى إذا كشفَ الصباحُ قناعه ... قرأتْ لىَ الذُّبانُ بالألحان

(١) القرقس بالكسر : البعوض . (٢) في الاصل «لا تعرض» .

وكتب أبو القسم الآمدى : وصار كاتب الديوان أفرغ من حجام ساباط وحسبك أيدك الله أن كاتب الديوان فى هذا الوقت شيخ كان يخلفنى ويخلف من كان يلى الديوان قبلى يُعرَفُ بابن نوح حسن الشيبة عظيم الهامة كثير الصمت لو رأيته لقلتَ هذا نوح النبي ﷺ سمتاً ووقاراً وليس له عملٌ خلف سأسته إلا صيد الذبانِ فهو أعلم خلق الله بأجناسها إذا مرّ به ذبانَ يطيرُ عرفه بطيرانه قبل أن يسقط فيقول هذا ذكرٌ وهذا أنثى وهذا ربعيٌ وهذا صيفي وهذا مُلِيحٌ وهذا لجوجٌ يسقط على العين والأنف ويُطردُ فيعود وهذا يلسع وهذا ليس بلسّاع وهذا يقع على الأقذار وهذا نَزِهٌ عيوف لا يقع إلا على المآكل الحلوة والأشياء العذبة وهذا من صيد الليث وهو جنس من العناكب وليس هذا من صيده وهذا يقع في شبكة الخدرنق - وهو العنكبوت الطويل الأرجل - وهذا يسفدُ وهو يطير وهذا لا يسفد إلا واقماً وهذا مما يدخلُ رأسه فى رؤوس الذبان السبعة التى تقع فى الاكحال لأنه أقرح وهذا ان وقع رأسه فى كحل عمى من يكتحل به لأنه أحر الجبهة وهذا يقبل بدنه على خرطومه وهذا لا يقبل وهذا هَزِجٌ مغنٍ وهذا صموتٌ وهذا يُنذِرُ وهذا يُبشّرُ بطنينه وزمزمته فيصدق فيما يَعِدُ ويُوعِدُ ويكون ذلك أخذاً بالكف . وقد ألف فيها كتاباً حسنا فيه نوادر وعبر . وظننته قد نظر في باب الذُباب والبعوض من كتاب الحيوان واستقى من هُنالك فقاتحته فاذا هو لا يعرفُ الجاحظ ولا سمع بكتاب الحيوان قط ونظرت فاذا أبو عثمان لم ينته فى معرفة الذُباب إلى شيء مما انتهى إليه وعرفه .

ومن أجود ماقيل فى البراغيث قول بعضهم وقد ظرف في ذلك :

فيالعبادِ اللهِ مالقبيلةٍ ... إذاظهرت فى الأرضِ شدّ مُغيرها
فلا الدينُ ينهاها ولا هى تنتهى ... ولا ذو سلاحٍ من مَعدٍّ يضيرُها

وقال آخر :

هنيئاً لأهلِ الرّيّ طيبُ بلادهم ... وأن أمير الرّيّ يحيى بنُ خالدِ

بلادٌ إذا جنّ الظلامُ تقافرت براغيثها من بين مثنى وواحدِ
ديازجةٌ سودُ الجلودِ كأنّها نِمالٌ بريدٍ أرسلتْ في المزاود

وقلت يومن براغيث تنفي النوم عن بصري كأنّ جفنيَّ عن عيني قصيران
يطلبنَ مني ثأراً لستُ أعرفهُ إلا عداوة سودانٍ لبيضان

وقد شكاهن الرماح الأسدي فأحسن في قوله :

تطاولَ بالفسطاط ليلي ولم يكن بحنو الفضا ليلي عليّ بطولُ
يؤرقني حُدبٌ صغارٌ أذلةٌ وانّ الذي يؤذينهُ لذليلُ
إذا ماقتلناهنّ أضعفنَ كثرةً علينا ولا ينمى لهنّ قتيلُ
ألا ليتَ شعري هل أبيتنّ ليلةً وليس لبرغوثٍ إليّ سبيلُ

وقال ابن المعتز :

وبراغيث ان ظفرنَ بجسمي خلت في كلّ موضع منهُ خالا

وأما القمل فأعجب ماقيل فيه قول بعضهم :

للقمل حولَ أبي العلاءِ مصارعٌ من بين مقتولٍ وبين عقيرِ
وكأنهنّ إذا علونَ قميصهُ فردٌ وتوأمُ سمسمٍ مقشورِ

وقد أبدع جرير في قوله :

ترى الصيبانَ عاكفةً عليهِ كمنفقة الفرزدقِ حين شابا

وقلتُ في النمل :

وحيّ أناخوا بالمنازلِ باللوى فصاروا بها بعدَ القطارِ قطينا
إذا اختلفوا في الدّارِ ظلتْ كأنّها تبدّدُ فيها الريحُ بزرَ قطونا
إذا طرقوا قِدرى مع الليلِ أصبحت بواطنها مثلَ الظواهرِ جُونا
لهم نظرةٌ يُمنى ويُسرى إذا مشوا كما مرَّ مرعوبٌ يخافُ كمينا
ويمشون صفّاً في الدّيارِ كأنّما يجرّونَ خيطاً في التراب مُبينا
ففي كلّ بيت من بيوتي قريةٌ تضمُّ صفوفاً منهمُ وفنونا

فيا مَنْ رأى بيتاً يضيقُ بخمسةٍ وفيهِ قريّاتٌ يَسعنَ مئينا

قالوا ومن الأبيات الجامعة للشرّ قول بعض القدماء :

به البقُّ والحمى وأسدٌ خفيّةٌ وعمرو بنُ هند يعتدى ويجورُ
وبالمصر برغوثٌ وبقٌّ وحصبةٌ وحُمى وطاعونٌ وتلك شرورُ
وبالبدوِ جُوعٌ لا يَزالُ كأنّهُ دُخانٌ على حدّ الأكامِ يمورُ
ألا أنما الدنيا كما قالَ ربُّنا لأحمدَ حُزنٌ تارةً وسرورُ

وقلت فى الجراد :

أجنحةٌ كأنها أرديةٌ من قصبٍ لكنها منقوطةٌ مثل صدورِ الكُتب
وأرجل كأنّها مناشرٌ من ذهب

وقلت : وأعرابيةٍ تَرنادُ زاداً فتمرقُ من بلادٍ فى بلادِ
غدت تمشى بمنشار كليل تبوعُ به قرارةَ كلّ وادى
وتنشر فى الهواء رداءَ شرب على أرجائه نقطُ المِدادِ
وتلبسُ تحتَ ذاك عطاف لاذ على أكنافه ودع الجساد

ومن عجيب ماقيل فى الفأر ماأخبرنا به أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن سعيد عن الرياشى قال دخل اعرابىّ البصرة فاشترى خبزاً فأكله الفأر فقال فى ذلك :

عجل ربُّ الناس بالعقابِ لعامراتِ البيتِ بالخرابِ
كحل العيونِ وقص الرقابِ مجردات أحبل الأذنابِ
مثل مدارِ الطفلةِ الكعابِ كيف لها بأمر وثاب
مُشهرت الشدو حديد الناب كأنما يكشرُ عن حرابِ
يفرسها كالأسدِ الوثّابِ

آخر الباب العاشر من كتاب ديوان المعانى والحمد لله حق حمده وصلواته على محمد وآله وصحبه والخلفاء الراشدين من بعده .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ماأراد بنا من عاجل الخير وآجله ومؤتنفه وراهنه فجعل لنا في أنفسنا مواعظ وفى أبداننا زواجر يرشدنا ويهدينا ويكفنا عما يُردينا من مرض بعد صحة وشيبة بعد شيبة لنعتبر بتغير الأحوال علينا وتغير الحدثان إيانا حداً تتألف أشتاتُه وتتصلُ مواده ، وصلى الله على محمد وآله .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(فى صفة الشباب والشيب والخضاب والعلل والموت والمرائى)

والزهد وما يجرى مع ذلك وهو :

﴿ الباب الحادى عشر من كتاب ديوان المعانى ﴾

فأولُ ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصُّولى قال سمعتُ ابن الاعرابى يقولُ لاأعرفُ في التفجع على الشباب وفى ذم الشيب أحسن من قول أبى حازم الباهلى على قُرب عهده :

لاتكذبنَّ فما الدُّنيا بأجمعها ... من الشبابِ بيوم واحد بَدلُ
شرْخ الشبابِ لقد أبقيتَ لى أسفاً ... ما جدَّ ذكرك إلا جَدَّ لى ثكلُ
كفاك بالشيب ذنباً [1] عندَ غانية ... وبالشبابِ شفيعاً أيها الرَّجُلُ

---

(١) فى نسخة « كفاك بالشيب عيبا » .

وأحسن منه عندى قول منصور النمرى[١] :

ما تنقضى حسرةٌ منى ولا جَزَعُ ... إذا ذكرتُ شباباً ليس يرتجعُ
بانَ الشبابُ فقانَى بشرَّته[٢] ... صروفُ دهرٍ وأيام لنا خُدَعُ
ما كنتُ أوفي شبابى كنهَ غرته ... حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع

قوله (فاذا الدنيا له تبع) من أشرف كلام وأنبله وأجمه وأوجزه ، وسمعه الرشيد فقال نعم لاخير فى دنيا لا يُخطر فيها ببرد الشباب . وقال محمود الوراق :

لايحسن النسك والشباب ... ولا البطالاتُ والخضاب
كلُّ نعيم وكلُّ عيش ... قبلَ الثلاثينَ يُستطاب

وقال غيره :

فقالتْ وهل بَعدَ الثلاثينَ مَلعب ... فقلتُ وهل قبلَ الثلاثينَ ملعبُ

وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الصولى قال حدثنا الفضل بن الحباب الجمحى قال حدثنا محمد بن سلام قال من كلام يونس بن حبيب : الكبر وكل عيب والعزل وكل ذم والولاية وكل مدح والشباب وكل صحة واليسار وكل فضيلة والفقر وكل ذلة . وقال ابن المعتز :

لهفى على دَهر الصبا الفصيرِ ... وغُصنهِ ذى الوَرَقِ النضيرِ
وسُكرهِ وذَنْبهِ المغفورِ ... وَمَرَحِ القلوبِ فى الصُّدورِ
وطولِ حبلِ الأملِ المجرورِ ... فى ظلِّ عيشٍ غافلٍ غريرِ
أغدو وجنىَ الصبا أميرى ... ملء العيونِ الفانياتِ الحورِ

وقال الحانى :

وأيامهُ الغُرُّ مثل الخطوطِ ... فى المسكِ فوقَ خُدودِ الحسانِ

---

(١) من شعراء الدولة العباسية ، استقدمه الفضل بن يحيى واستصحبه ثم وصله بالرشيد ، وفى حضرته أنشد هذه الأبيات .

(٢) شِرة الشباب : نشاطه ، وفى الأغانى (بلذته) .

ليالي أنت جذيل الصبا وأيامه وعذيق الغوانى

وقال أيضاً : أيام كنتُ من الغوانى كالسوادِ من القلوبِ

فاذا استطعنَ خبأنني بين المخانقِ والجيوب

وقال أبو عبد الله بن المعتز :

يا قلبُ ليسَ الى الصبا من مرجع فاحزنْ فلستَ بمثلِه مفجوعا

وقال يصف نفسه فى شبيبته :

من بعدِ ما قد كنتُ أى فتى كقضيبِ بانٍ ناعمٍ رَطْبِ

فاذا رأتنى عينُ غانيةٍ قالتْ أوابدُ طرفها حسبي

ونحوه قوله :إذا ماتمشت فىّ عين خريدة فليست تخطّانى الى من ورائيا

وقال أعرابى : سقى اللهُ أياماً لنا وليالياً لهنّ بأكنافِ الشبابِ ملاعبُ

إذ العيشُ غضٌّ والشبابُ بغرةٍ وشاهدُ آفاتِ المحبينَ غائبُ

وانما آتى بالبيت والبيتين لأنى أعتمد الفقرة فأوردها وأقصد النادرة فأكتبها وأتوخى المعنى الشريف واللفظ الظريف فأزفهما اليك وأجلوهما عليك ولو تحذلقت[1] فى المعانى وأضفتُ الى كل شىء منها شكله وقرنتُ اليه مثله أو كثرت من عدد ما أورده من الأبيات لصار كل فصل من فصول كتابنا باباً طويلاً وكل باب منه كتاباً كبيراً حتى يكون جديراً بالاملال والاضجار وداخلا فى حدّ الاكثار والاهذار ونعوذ بالله منهما . وقلتُ فى معنى ابن المعتز :

تذكرُ إذ أنتَ قضيبٌ رطيب عليه للحسنِ رداءٌ قشيبْ

خالطَ ماء الحسنِ فى وجهه ماء شبابٍ لم يَرِقه المشيبْ

إذا مشى يخطر في بردِهِ غابر فيه الشكل حسن رطيبْ

كنتَ قضيبَ البانِ لم يقتضب وأنتَ من بَعدُ قضيبٌ قضيبْ

فاللهو مُنبر مقاديمه مُعفرُ الوجهِ حريبٌ سليبْ

---

(١) في الأصل (تحزقت)

خذ بنصيب من سرور الصبا فما لشيخ من سرور نصيب

وأول من بكى الشباب وذمّ المشيب عبيد بن الأبرص فى قوله :

والشيب شين لمن أمسى بساحته لله درّ الشباب اللهِ الخالى

وقال مُزاحم العقيلى [1] :

عزاء على مافاتَ من وصل خلّة وربق شباب سَلّهُ الشيبُ منجلى

ومثل ليالينا بحطمة فالاوى بلينَ وأيام قصار بمأسل

وقد أحسن أبو العتاهية في قوله :

عريت من الشباب وكانَ غضاً كما يعرى من الوَرَقِ القضيب

ألا ليتَ الشبابَ يعودُ يوماً فأخبرَهُ بما فعلَ المشيب

وقلت : قوامٌ كما شاءَ المشيب ممنّعٌ ووجهٌ كما لا تشتهيه مُشنج [2]

وفرع جلاه الشيبُ حتى كأنما تغشّاه معروفٌ من الصبح أبلج

وعهدى به بالأمس جوناً كأنما تجلّله عرفٌ من الليل أدعج

ليالىَ جاءتك الليالى عرائساً تَروق وتعسى أو تغوص وتأرج

حسان الوجوه كالرياض أنيقة تخيطُ لها كفُّ الغمام وتنسج

رِقاقُ جلابيبِ النسيم أريجةٌ لها نكهةٌ كالمسك ابّانَ يمزج

وقال رُؤبة وأحسن فى ذلك :

كرّ الجديدانِ بنا وانطلقا ولا يجدّانِ إذا ما أخلقا

---

(١) شاعر فصيح اسلامى صاحب قصيد ورجز كان معاصراً لجرير والفرزدق ؛ وكانت الشعراء تقرظه ؛ روى أن الفرزدق دخل على عبد الملك بن مروان فقال له أتعرف أحداً أشعر منك ؟ قال لا إلا أن غلاماً من بنى عقيل يركب أعجاز الابل وينعت الفلوات فيجيد ؛ ثم جاء جرير فسأله فأجابه بجوابه ؛ ثم جاء ذو الرمة فسأله كذلك فأجاب بمثل جوابيهما وقال : غلام يقال له مزاحم يسكن الروضات يقول وحشياً من الشعر لا يقدر على مثله .

(٢) أى تقبض جلده .

ولو بيبيان الشباب أنفقا والشيب لاسوق له ان سُوِّقا

وقال المقنع أظنه :

وذادت عن هواه البيض بيضٌ لها في مَفرِق الرأس انتشار
جديدٌ والليس[1] أعزُّ منه وأحرَى أن ينافسهُ التجار

وقد أحسن الفرزدق فى قوله :

وفى الشيب لذاتٌ لخادع نفسه ومن قبله عيشٌ تعالل جادبه

ومن الشعر الجزل السهل المطبع الممتع القريب البعيد الممكن المتعذر قول النمرى:

ومنازل لك بالحمى وبها الخليطُ نزولُ
أيامهنَّ قصيرةٌ وسُرورهُنَّ طويل
وسعودهُنَّ طوالع ونحوسهُنَّ أفول
والمالكية والشبا ب وقينةٌ وشمول

ومن أبلغ ماقيل في كراهة الشيب قول البحترى :

وددتُ بياضَ السيف يومَ لقيتنى مكانَ بياضِ الشيبِ حلَّ بمفرقي

وقد أحسن أبو تمام الاحتجاج للشيب فى قوله :

فأصغرى أنَّ شيباً لاحَ بى حدثاً وأكبرى أننى فى المهدِ لم أشب
لاتنكرى منه تجديداً تجلله[2] فالسيف لايزدرَى ان كان ذاشطب
ولايروعنك ايماض القتير به فانَّ ذاك ابتسامُ الرأى والأدب

ووجدت بيتاً فاسد السبك فأصلحته وقلت :

نجومُ مَشيبٍ في ظلام شبيبةٍ وماحسنُ ليلٍ ليسَ فيهِ نجوم

وقال أبو عبد الله الاسباطى :

لايَرُعْكِ المشيبُ يابنةَ عبد الله فالشيبُ زينةٌ ووَقار
أنما تحسنُ الرياضُ إذا ما ضحكت في خلالها الأنوار

وقال الخوارزمى ـ متأخر :

---

(١) أى الذى ليس كثيراً . (٢) فى ديوان أبى تمام «تخديداً تخلله» .

وقالوا أفق من سكرة اللهو والصبا فقد لاحَ صبحٌ في دجاك عجيب
فقلت لهم كفُّوا الملامَ وأقصروا فانَّ الكرى عندَ الصباح يطيب

وهذا معنى مليح أظنه ماسبق اليه . وأول من تهاون بالشيب جرير في قوله :

يقولُ العاذلاتُ عَلاكَ شَيبٌ أهذا الشيبُ يمنعني مراحي

وتبعه الناس فمن أحسنهم قولاً فيه ابن الرومي حيث يقول :

لاحَ شيبي فرحتُ أمرحُ فيهِ مَرَحَ الطرفِ في العذارِ المحلى
وتولى الشبابُ فازددت غيّاً في ميادينِ باطلي اذ تولّى
إنَّ من ساءَهُ الزمانُ بشيءٍ لأحقُّ امرىءٍ بأن يتسلى

وهذا من قول أحمد بن زياد الكاتب :

ولما رأيتُ الشيبَ حلّ بياضه بمفرقِ رأسي قلتُ للشيب مرحبا
ولوخلتُ أني إن كففتُ تحيتي تنكبَ عني رمتُ أن يتنكّبا
ولكنْ إذا ماالكرهُ حلَّ تسامحتْ به النفس يوماً كان للكرهِ أذهبا

وفي ألفاظ هذه الأبيات زيادة على معناها ، وأبيات ابن الرومي متوازنة اللفظ والمعنى مع اصابة تشبيهه في قوله * مرح الطرفِ في العذار المحلى *

وقد بالغ في ذم الشيب أبو تمام فقال :

دقةٌ في الحياة تدعى جمالاً [1] مثل ماسمّيَ الدبيغُ سلما
غرّةٌ مرّةٌ [2] ألا إنما كنـــت أغراً أيامَ كنت بهـــما

وقال ابن المعتز :

لقد أبغضتُ نفسي في مشيبي فكيفَ تحبني الخودُ الكعابُ
وقلت : فلا تعجبا أن يبغضَ المشيب فما عبنَ من ذاك إلا معيبا
إذا كانَ شيبي بغيضاً إليَّ فكيفَ يكون إليها حبيبا
وقد كنت أرفُل بردَ الشباب فشيباً وأرفُل وشياً قشيبا

(١) في ديوان أبي تمام (جلالاً) . (٢) في الديوان (غرة بهمة) .

إذا ملتُ ملتُ قضيباً رطيبا وان صلت صلت قضيباً قضوبا

ومن مليح ماقيل فى الشيب وهزء النساء من صاحبه قول كشاجم :

ضحكتْ من شيبة ضحكتْ في سواد اللّمة الرجله
ثم قالتْ وهى هازلةٌ جاءَ هذا الشيبُ بالعجله
قلتُ من حبيك لا كبر شابَ رأسى فانثنتْ خجله
وثنتْ جفناً على كحلٍ هى منه الدهرَ مُكتحله
أكثرتْ منهُ تعجُّبها وهي تجنيه وتضحكُ له

ومن مليح ماقيل فى ذلك وغريبه قول الآخر :

فظلتُ أطالبُ وصلها بتعطفٍ والشيبُ يغمزُها بأن لا تفعلى

وذكر مسلم بنُ الوليد كراهة الشيب وكراهة مفارقته إذا جاء فأحسن حيث يقول :

الشيب كُرهٌ وكُرهٌ أن يُفارقنى أحبب بشيءٍ على البغضاءِ مودُودُ

فتبعه على بن محمد الكوفي فقال :

بكى للشيبِ ثم بكى عليهِ فكانَ أعزّ فقداً من شباب
فقلْ للشيبِ لاتبرح حميداً إذا نادَى شبابُك بالذهاب

ونقله الى موضع آخر فقال :

لعمرك المشيبُ علىَّ مما فقدتُ من الشبابِ أشدّ فوتا

هذا البيتُ مُضطربُ اللفظ والرصف والصنعة فاعتبره :

تمليتُ الشبابَ فكانَ شيباً وأبليت المشيبَ فصارَ موتا

وكان من تمام الصنعة أن يقول «أشدّ فقدا» لقوله «فقدت من الشباب». وقلت :

والشيب زورٌ يجتوى وقربُه لا يرتضى وفقدُهُ لا يُشتهى
قد يشتهى كلُّ امرىءٍ بُلوغه وقلَّ من يبلغه إلا شكا
كأنما الشبابُ كانَ فرقةً له من الأنفسِ حبٌّ وقلى

وقد أجاد الأعرابى فى قوله في صفة الشيب : أكره ضيف وأبغض طيف أحب

نائب وأفجع آيب . وقلت :

تكلف مدحَ الشيبِ عندى مُعمَّرٌ ... وهل يمدحنَّ الشيبُ إلا تكلفا
فقلت انظرنى أولاً منه مؤملاً ... تقلب فتًى أو آخراً منه مُتلفا
تصرَّم من عمرى ثلاثونَ حِجةً ... لبستُ بها ثوبَ الشبابِ مُطرَّفا
شبابٌ أطارَ الوجدَ عنى غيابُهُ ... وصرفُ زمانٍ لم أجد عنه مَصرِفا
أقمت به صدرَ السرورِ فلم يَزَلْ ... به الشيبُ حتى ردَّه مُتحنفا
فطار بجناحِ اللهوِ فى زمن الصبا ... فأخلق به إن شئت أن يتحيفا
تناولَ وَخطُ الشيبِ أطرافَ عارضى ... فأصبحَ ليلاً بالصباح مُشنَّفا

ومن المشهور قول دعبل الخزاعى [1] :

لاتعجبى ياسلم من رجلٍ ... ضحك المشيب برأسه فبكى

ومما يحتج به المشيب على الشباب أن الشباب قلما يبقى أكثر من أربعين سنة وقد يعيش المرء في الشيب الخمسين والمائة ، وقال امرؤ القيس فى ذلك :

ألا إنّ بعدَ الفقرِ للمرء قدوةً ... وبعد المشيبِ طولَ عمرٍ ولهوا

وقال أعرابى : مابال شيخ قد تخدد لحمه ... أبلى ثلاثَ عمائمٍ ألوانا
سوداء داجية وسحق مفوف ... وأجدّ لوناً بعد ذاك هجانا
قصر الليالى خطوهُ فتدانى ... وحنونَ قائمَ ظهره فتحانى [2]
والموت يأتى بعد ذلك كلّه ... وكأنما يعنى بذاك سوانا

لاأعرف فى وصف الشيب من أول مابتدىء إلى أن ينتهى أحسن من هذا ، وقوله (وكأنما يعنى بذاك سوانا) من أبلغ مايكون من الموعظة . وقلت :

وشبابٍ خفَّ نازله ... ليته عادَ كما كانا
ومشيبٍ آبَ نازله ... ليته إذ كان ما بانا

---

(١) شاعر متقدم مطبوع ، هجا الخلفاء ومن دونهم وهرب منهم لكيلا ينتقموا منه . (٢) في الاصل « فتدانا ، فتحانا » .

خانني دهرٌ وثقت به ... ربَّ موثوقٍ به خانا

وأنشدنا أبو أحمد :

وأنكرتُ شمسَ الشيبِ في ليلِ لمتي ... لعمري لليلي كانَ أحسنَ من شمسي
كأنَّ الصبا والسمت يطمسُ نورهُ ... عروس أناس ماتَ في ليلة العُرس

ومن بديع الاستعارة في الشيب قول البحتري :

في الشيبِ زجرٌ لهُ لوكانَ ينزجرُ ... وبالغٍ منهُ لولا أنه حجرُ
إبيض ماسودَّ من فوديه وارتجمت [1] ... جلية الصبح ماقد أغفلَ السحر
وللفتى مُهلةٌ في الحبِّ واسعةٌ ... مالم يمتْ في نواحي رأسهِ الشعر

ولا أعرف في الشيب أجمع من قول أبي تمام :

غدا الشيبُ [2] مختطّاً بفودي خُطةً ... سبيلٌ [3] الرَّدى منها إلى النفسِ مهيع
هو الزورُ يجفى والمعاشرُ يجتوى ... وذو الأنف يُقلى والجديدُ يُرقَّعُ
لهُ منظرٌ في العينِ أبيضُ ناصع ... ولكنهُ في القلبِ أسودُ أسفعُ
ونحن نريهِ على الكرهِ والرضا ... وأنف الفتى في [4] وجههِ وهوأجدع

ومن أعجب ماسمعتُ في الخضاب قول بعضهم :

عجبتْ لما رأتني ... غادةٌ مابين غيدِ
ضحكتْ إذ أبصرتني ... قد تزينتُ لعيد
ثم نادينَ جميعاً ... ياعتيقاً في جديد
غرَّنا منكَ خضابٌ ... قد تراءى من بعيد
لاتغالطنا فما ... تصلحُ إلا للصُّدود

وقال ابن الرومي :

فدعتْهُ إلى الخضابِ وقالتْ ... إنَّ دفنَ المعيبِ غيرُ معيب

---

(١) في الأصل (إرتجست) . (٢) في ديوان أبي تمام (غدا الهمّ) .
(٣) في الديوان (طريق) . (٤) في الديوان « من وجهه » .

وقال : عذارٌ كمثل الآتحى مطرّزٌ وفرعٌ كلون العبقريّ محبرُ
وقد كانَ من صبغ الشباب ممسكا فأصبحَ فى كفّ المشيب مكفرِ
فقلْ للعذول أقصر الآن إننى على الرغم من أنف الصبابة مقصرُ
كفاك تـكاليفَ الملام كواكبٌ من الشيب فى ليل الشبيبة تزهر
لوائح من تحت الخضاب كأنما سنى الصبح فى وجه الدُّجنّة يكشر

وأول من ذكر أنه شاب من غير كبر ابن مقبل [1] فى قوله :

ماشبتُ من كبرٍ ولـكنى امرؤٌ عالجت قرعَ نوائب الدهرِ
فرأيتها عضلا موقحة عزت فما تُستطاع بالـكسرِ
فاذاك صرت معَ الشبيبة نازلا فى غير منزلتى من العمر

ومن أجود ما قيل فى تقارب الخطو قول أبى الطمحان :

حنتنى حادثاتُ الدّهرِ حتى كأنى خاتلٌ أدنو لصيدِ
قريب الخطو يحسبُ من رآنى ولستُ مقيداً أنى بقيد

وقد أحسن الآخر فى قوله أيضا :

الدّهر أبلانى وما أبليتهُ والدّهرُ غيرنى وما يتغير
والدّهرُ قيدنى بقيدٍ مُبرم فمشيت فيه وكل يوم يقصر

وقوله « وكل يوم يقصر » من أحسن العبارة عن ازدياد الضعف وتقاصر الخطو فى كل يوم . ومن أعجب ماقيل فى الصلع قول الاعرابى :

قد ترك الدهر عصاتى صفصفا فصار رأسى جبهةً الى القفا
كأنما قد كان ربعاً فعفا يمسى ويضحى للمنايا هدفا

ومثله قول الآخر :

ثم حسرت عن صفاة تلمع فأقبلتْ قائلةً تسترجع
مارأس ذا إلا جبيناً أجمع

---

(١) هو تميم بن مقبل من بنى العجلان ، مخضرم معدود فى الفحول .

ومثله أيضاً :

جلاه عن أهلِ الهوى قبح الجلا جبين وجه وجبينٌ في القفا

وقال ابن الرومي في معناه يهجو رجلاً يجذب طرّته من قفاه الى وجهه :

يجذبُ من نقرته طُرَّةً إلى مدًى تقصرُ عن نيله
فوجهُهُ يأخذ من رأسه أخذَ نهارِ الصيفِ من ليله

وأنشدنا أبو أحمد عن الصولي لخلف بن خليفة :

وقام إلى رأسهِ حاذقٌ فصيرَ من رأسهِ قرعه
يُريكَ بريقاً كطست الجلا بيض كما نصب الطلمه
فما شوق عيني إلى قرة كشوق يميني للصلمه
يكادُ وإن لم يردها الضمير تشوقُ الحليم إلى صفعه
فعلنا عليهِ بأيماننا نسائله عن خبرِ الوقعه

وقال مالك بن أسماء :

أوارى بذيّال على العقبِ جُنّتي إذا الصلعُ واروا هامهم بالقلانس
تودُّ النساء المبصراتي أنّهُ يعار فيستأجرنه للعرائس

وقلت في مدح الحلق :

قُتل الشعر من خفيفٍ ثقيل وكثيرٍ على الرؤوس قليل
ضيّق الشعر حينَ طال قليلا ضامه اللهُ من قصيرٍ طويل
إنما الحلقُ راحةٌ وجمالٌ فاشدُد الكفَّ بالمريح الجميل
ما أرى للحسام يصدأ حُسناً إنما الحسنُ للحسام الصقيل

ويشبهون الرأس المحلوق بالصخرة أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دُريد عن عبد الرحمن عن عمه قال كان يزيد بن الطثرية زير نساء يتحدث إليهن فتحدث إلى امرأة من بني أسد فهويها وهويته فخطبها إلى أبيها فرده ، وخطبها ابن عم له فزوجه فدخل عليها ابن عمها وهي تقول :

لم يبق إلا شبحاً بوعظها وأدمعاً تنهلُّ منها سجما
علمت مابي فجفوت عامداً من شمَّ الوصل تجنى الجرما

فنهاها زوجها أن تتمثل فأنشأت تقول :

تمثلتُ بيتاً ثم أذريتُ دمعةً فمن لامني فيه فبدل مابيا
فما أشرف الايفاع إلا صبابةً وما أضربُ الأمثال الاتداويا

فأتى الزوج أباها فأخبره فأتاها أبوها فقال والله لأن تمثلت لأضربن ظهرك وبطنك ؛ فدخل عليها زوجها وهي تقول :

فان تضربوا ظهري وبطني كلاهما فليس لقلب بين جنبيَّ ضارب

فاشتد ذلك على زوجها وهم بطلاقها وخرج مغضبا وإذا يزيد بفنائه وهو يقول :

تراءتْ وأستارٌ من البيت دونها الينا وحانت غفلة المتفقد
بعيني مهاةٍ تحدرُ الدمع منهما بريمين شتى من دموع وأثمد

فجمع أهل بيته واخوته وأتى أخاه واستعداه عليه فضربه أخوه وحلقه . فقال وهو يحلق :

أقول لثورٍ وهو يحلقُ لمتي بمقفاةَ مردُودٌ عليها نصابها
ترفقْ بها ياثورُ ليس ثوابها بهذا ولكن غير هذا ثوابها
فيارُبَّ يوم قد تغالى وسطها أناملَ رخصات حديثٌ خضابها
تولى بها (١) ثورٌ تزفُّ كأنها سلاسل درعٍ لينها (٢) وانسكابها
وأصبح رأسي كالصخيرة أشرفتْ عليها عقابٌ ثم طارت عقابها

وقد أحسن الفرزدقُ الاستعارة في وصف الشيب وهو قوله :

والشيب ينهض بالشباب كأنه ليلٌ يصيح بجانبيه نهار

ولأبي إسحق الصابي أبيات في الصلع لم يسبق إلى معناها قالها على وجه المجون :

لما رماني الزمان بالصلع وقلَّ مالي وضاقَ متسعي

---

(١) رواية الاغاني « فراح بها » (٢) في الأغاني «خيوطها» .

حاسبت عن لمتى مزينها حسابَ شيخ للحقّ متبع
قلتُ له اقنع من أصلٍ واجبها بالثلثِ مما به عملتَ معى
واعملْ على أنها مُزارَعةٌ شكوتُ فيها شكاةَ مُتضع
فاحطط خراجَ الذى أصبتَ به واستوفِ منى خراجَ مُزدرع

ومما جاء فى مدح الصلع ماأخبرنا به أبو أحمد عن ابن الانبارى عن ثعلب عن ابن الأعرابى قال ألحّ رجلٌ النظر الى أمير المؤمنين علىّ عليه السلام فقال له الى أىّ شىء تنظر ؟ قال الى بطن مندح وهامةٍ صلعاء فقال عليه السلام أما البطن فأسفله طعم وأعلاه علم وأما الهامةُ فكما قال الشاعر :

بنى ابنا المجدَ آباءٌ لهم شرفٌ صُلعُ الرؤوسِ وسيما السؤددِ الصلعُ

وقال آخر : كفى حزناً انى أدبُّ على العصا فيأمنُ أعدائى ويبغضنى أهلى
ويوصى بى الوَغدُ الضعيفُ مخافةً علىَّ وما قام الحواضنُ عن مثلى
أقيمُ العصا بالرجلِ والرجلَ بالعصا فما عدّلت ميلى عصاىَ ولا رجلى

وقال محمود الوراقُ فى ذمّ الخضاب :

يشيبُ الناسُ فى زمنٍ طويلٍ ولى فى كلّ ثالثةٍ مشيبُ
وأخفى الشيبَ جهدى وهو يبدو كما غطى على الريب المريبُ

وقلت : جريت لعارض غيث الليالى تحالك لونه فابيضّ جُلّه
وصرت تنقصّ مابيضّ منه أتحلقه إذا ماابيضّ كلّه
تعزّ عن الشبيبةِ والهَ عنها فان الليلَ ليسَ يدوم ظله
وخلّ الشيبَ يضحكُ ناجذاه فانّ الصبح لا يخفى مطله
وان حلت عرى اللذاتِ فيه فلستَ بعاقدٍ ماجذ حبله

الفصل الثانى من الباب الحادى عشر

(فى ذكر العلل والأمراض والمراثى والتعازى والزهد)

أحسن ماقيل فى الرمد قول الواثق أنشدناه أبو أحمد عن الصولى قال وجدتُ مع هرون بن محمد بن عبد الملك الزيات من شعر الواثق بالله فى خادم له قد اشتكت عينه :

لى حبيبٌ قد طال شوقى اليه ... لا أسميه من حذارى عليه
لم تكن عينهُ لتجحدَ قتلى ... ودمى شاهدٌ على جفنيه

ومن ههنا أخذ هذا المعنى فتداول قال ابن الرومى أو الناجم :

قالوا اشتكتْ عينهُ فقلتُ لهم ... من كثرة القتل مسها الوَصَب
حُمرتها من دماء من قتلت ... والدم فى النصل شاهدٌ عجب

ومن بديع ذلك وغريبه ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولى أيضاً :

يكسر لى طرفاً به حمرةٌ ... قد خلط النرجس فى وردهِ
ماحرت العينُ ولكنه ... يكحلها من وردتىْ خدّهِ

أخذه من بعض أهل زمانه :

قالوا بدت فى عينه حمرةٌ ... قد حازها من وردة الخدّ
فقلت لم يرمدْ ولكنه ... يصافح النرجس بالورد

ومن مليح ماقيل فى شكاية الحبيب قول العباس بن الأحنف [1]

زعموا انى أنها صارتْ تحم ... ابتلى الله بهذا من زعمْ
اشتكتْ أكل ما كانت كما ... يكسف البدر إذا ما قيل تم

ومما قيل فى اصفرار اللون من العلة قول أبى تمام :

معدن الحسنِ والملاحة قد أصـ ... ـبح للسقم معدناً وقراراً

---

(١) شاعر غزل شريف مطبوع من شعراء الدولة العباسية ، قدمه المبرد على نظرائه وأطنب فى وصفه وقال رأيت جماعة من الرواة يقدمونه .

لم تشنْ وجههُ الجميلَ ولكنْ جمعتْ وَرْدَ وجنتيهِ بهارا

ونحوه قول أحمد بن إسحق الطالقانى :

اقد حلت الحمى بساحةِ خدّيه فأبدلت التفاحَ بالسوسن الغضّ

والأصل فى ذلك قول عبد بنى الحسحاس أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو اسحق الشطبي قال حدثنا ابن أبى سعيد قال حدثنا الخزامى قال حدثنا عبد الملك الماجشون عن يوسف بن عبد العزيز الماجشون قال كتب عبد الله بن عامر إلى عثمان بن عفان : انى اشتريت لك عبداً حبشياً شاعراً . فكتب اليه عثمان لا حاجة لى فيه فان قصارى الشاعر منهم أن يهجو أعراضهم ويشبب بكريماتهم فاشتراه بنو الحسحاس وكان يكسرُ فى كلامه فقال يوسف فحدثنى من رآه فى شجرة واضعاً احدى رجليه على الأخرى يقرض الشعر وينسب بأخبث نسيب ويقول :

ماذا يُريدُ السقامُ من قمرٍ كلُّ جمالٍ لوجههِ تبعُ

ما يبتغى خابَ من محاسنها أمالهُ فى القباح متسع

لو كانَ يبغى الفداءَ قلتُ له ها أنا دونَ الحبيبِ ياوجع

ثم يقول لنفسه « أحسنك والله » يُريدُ أحسنت . وكان كما حدث عثمان رضى الله عنه فانه ما زال يهجو مواليه ويشبب بفتياتهم حتى قتلوه فضحكت منه امرأةٌ وقد ذهبوا ليقتلوه فقال فيها :

فان تضحكى منى فيارُبَّ ليلةٍ جعلتكِ فيها كالقباء المفرّج

وقال أيضاً :

ولقد تحدَّرَ من جبينِ فتاتكم عَرَقٌ على وجهِ الفراشِ وطيبُ

ومن عجيب ما يُروى له قولهُ يمدح نفسه :

إن كنتُ عبداً ففى نفسى حُرِّيَّةٌ كرماً أو أسودَ اللونِ انى أبيضُ الخلقِ

وهذا أحسن ما مدح به أسود .

ومن أحسن ما وصف به نحول العليل قول أبى نواس الحسن بن هانىء :

ياقمراً للنصفِ من شهرِهِ أبدى ضياءً لثمان بقين

ومن أحسن ماقيل في تهوين الحمى على المحموم قول محمد بن زياد الكاتب :

قالوا محمدٌ المحمد مُوجعٌ والشمسُ تكسفُ ساعةً وتعودُ

فلئن حُممت فلا حُممت فانها داءُ الاسودِ وفي الرجالِ أسودُ

وهذا عندى أحسن من قول البحترى :

وما الكلبُ محموماً وإن طال عُمرهُ ألا إنما الحمى على الأسدِ الورد

على أنه معنى مولد وشيء تدعيه العامة ولا تعرف صحته . وقلت :

وقد سرَّنى انى رأيتك واطئاً على عقبي داء تراخى فأدبرا

وقد ظلّ يبغى رائد البرء مورداً لديك ويبغى فارط السقم مصدرا

ولا غروَ أن يغشاك عارضُ علةٍ فانى رأيتُ الورد يغشى الغضنفرا

ولو كنتَ نجماً ما كسفتَ وإنما كسوفك أن أمسيتَ بدراً مُنوّرا

ومن ذلك قول على بن العباس النوبختى :

لئنْ تخطتْ اليك نائبةٌ سطتْ بقلبى ثقلاً من الألمِ

فالدهرُ لا بُدّ محدثٌ طبعاً في صفحتىْ كلّ صارم خذم (١)

وفي ألفاظ هذا البيت زيادة على معناه . وقال أيضاً فى رجل اعتل :

طالَ فكرى تعجباً لمصوغ ذهباً كان يقبلُ الاقذاءَ

والحسامُ الهذاذ (٢) يزدادُ حسناً كلما زادَهُ الصقالُ جلاءَ

والرغبة من هذين البيتين فى معناهما وأما سبكهما ووصفهما فلا خير فيه والبيت الثانى أصلح والبيت الأول متكلف جداً . وقال عبد الصمد بن المعذل (٣) يذكر الحمى :

فطوراً ألقيها سُخنةً وطوراً ألقيها فتره

---

(١) سيف خذم : أى قاطع . (٢) أى القطاع .

(٣) من شعراء الدولة العباسية بصرى المولد والمنشأ . كان هجاءً شديد العارضة ، أبوه وجده وأخوه من الشعراء .

وقد أعقبتْ خلفي حِدَّةً وأورثني الفها ضجره
فللعبد ان غاظني لطمةٌ وللحرِّ ان ساءني زجره
ويربو الطحالُ إذا ماشبعت فتعلو الترائب والصدره
وأمسي كأني من معدتي لبستُ ثيابي على ذُكره
أسائلُ أهلي عن سحنتي وأمنحهم نظرةً نظره
وأجزع إن قيل بي صفرةٌ وأشفقُ إن قيلَ بي حُمره

ومن أجود ماقيل في الفصد قول ابن الرومي :

أيها البدرُ لم تزلْ في كمال الأمرِ بدراً وفي السماءِ هلالا
كيفَ كانت عقبى افتصادك كانت صحةً مستفادةً واندمالا
واعتدالاً بينَ المزاج كما أو تيتَ في الخلقِ والخلاقِ اعتدالا
فعل الله ذاك انك مازلتَ لمرضى ماارتضى فعّالا

وفي الفصد شعرٌ كثيرٌ ليس في أكثر مامرَّ بي مختارٌ إلا ماأنشدنهُ لعلي بن عبد العزيز الجرجاني :

ياليتَ عيني تحملتْ ألمك وليتَ نفسي تقسمتْ سقمك
أوليتَ كفَّ الطبيب إذفصدتْ عرقكأجرى من ناظريَّ دمك
أعرتهُ حسنَ وجنتيك كما تعيره ان لثمتَ من لثمك
طرفك أمضى من حدِّ مبضعهِ فالحظ بهِ العرقَ واغتنم ألمك

ومن مليح ماقيل في الزكام ماأخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن أبي ذكوان الجرمي قال دعا عيسى بن علي عبد الله بن المقفع الى الغداء فقال : أعزّك اللهُ لستُ بومي هذا للكرام باكيل . قال ولم ؟ قال لأني مزكومٌ والزكمة قبيحة الجوار مانعة من عشرة الاحرار . قال وكانت عجوز من بني عجل تقول : حُقر من يحقرُ الزكام . ولم يمر بي في الصداع شيء مليح أثبته لك غير أني سمعت لبعضهم أبياتاً في صفر العمامة حتى أشبهت عصابةً بمصاب بها الصداع وهي هذه الابيات:

وقدّمتَ لي وعداً بأنك مُلبسي ثياباً اليهنَّ المحاسنُ تُنسبُ
فلا تكسني منهنَّ إلا عمامةً بأمثالها الامثالُ في النقص تضرَبُ
يقول أناسٌ لي إذا ما لبستها أرأسك هذا من صداع مُعصَّبُ

على أن رصفها ليس بمختار . ولبشار بيت حسنٌ فيه ذكر الصداع وهو قوله :

حلَّ من قلبه مَحَلَّ شرابٍ يشتهي شربهُ ويخشى صُداعه

وقد قارب الآخر :

لطيرتي بالصداع نالتْ فَوْقَ منال الصداع مِني
وجدتُ فيه اتفاقَ سوءٍ صدَّعني مثل صدّعني

وقفت في المعنى الأول :

يقومُ بقامةٍ كنواةِ قسبٍ وينشر لحية مثلَ الشراع
عليه عمامةٌ قصرَتْ ودقّتْ فنحسبهُ نعصبَ من صُداع

وقال بعضهم في الجدري :

وجههُ للحسنِ معدنٌ فتأمّلْ وتبيّنْ
نقطٌ من جُدَرِيّ كدباقي معيَّنْ

وأما النقرس فقد مرَّ بي فيه أبياتٌ جيادٌ أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن سوار بن أبي شراعة عن عبد الله بن محمد الدمشقي الكاتب عن محمد بن الفضل ابن اسماعيل بن علي بن عبد الله أن أبا الفضل ناله نقرس في رجله فدخل اليه أبوه اسماعيل يعوده فقال له كيف أنت يا بني ؟ فقال :

أشكو الى الله ما أُصبتُ به من ألمٍ في أنامل القدم
كأنني لم أطأ بها كبداً من حاسدٍ سرَّ قلبهُ ألمي
والحمد لله لاشريكَ لهُ لحمى الارضِ بعدها ودمي
مامن صحيح إلا سننقله الا يامُ من صحة إلى سقم

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن المبرد وأبي العيناء. قال كان أبو علي الحرمازي

فى ناحية عمرو بن مسعدة وكان يجرى عليه فخرج عمرو الى الشام مع المأمون وتخلف الحرمازى ببغداد لتقرس ناله فقال :

أقامَ بأرض الشامِ فاختلَّ جانبي ومطلبهُ بالشام غيرُ قريب
ولاسيما من مفلسٍ حلف نقرس أما نقرسٌ في مفلس بعجيب

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن زكريا قال ذكر اعرابىٌ رجلاً قد أثرى فقال قد تنقرس ؛ وذلك لقول الناس إن النقرس يعرض لذوى النعمة والترفه ؛ ومنه قول الاعرابى :

فصرتُ بعدَ الفقرِ والتأيس يخشى علىَّ القومُ داءَ النقرسِ

ويقال للرجل العالم نقرس وللداهية نقرس قال المتلمس * يخشى عليك من الحباء النقرس

ومن مليح النوادر ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولى عن يموت بن المزرع قال حضر الجماز عند أبى يوماً ودخل رجلٌ فقال له ما أخرك عنا فقال أصابتنى خلفه أما ترى وجهى فقال الجماز ما أبين الاختلاف على وجهك . وقال المتنبي فى الحمى :

وزائرتى كأنَّ بها حياءً فليسَ تزورُ إلا في الظلام
جعلتُ لها المطارفَ والحشايا فعافتها وباتتْ فى عظامى
اذا ما فارقتنى غسلتنى كأنا عاكفانِ على حرام

وهذا البيت معيب لان الغسل غير مقصور على الحرام وحده بل هو من الحلال والحرام جميعا فليس لتخصيص الحرام به وجه . وقلت فى حمّى نالتنى :

وأخبر أنى رحتُ في حلة الضنى ليالىَ عشراً ضامها اللهُ من عشر
تنفضنى الحمّى ضحى وعشيةً كما انتفضتْ فى الدجنِ قادمتى نسر
تذرُّ علىّ الورس في وضح الضحى وتبدله بالزعفرانِ لدَى العصر
اذا انصرفتْ جاء الصداع مشمراً فأربى عليها فى الأذيةِ والشرّ
وتجعلُ أعضائى عيوناً دوامعا تواصل بين السكب والسجم والهمر
فتحسبه طلاً على أقحوانةٍ وعهدى به يحكى حباباً على خمر

ولما تمادتْ عذتُ منها بحيلة كمنْ ترك الرمضاء والنار في الجمر
وما منهما إلا بلاءٌ وفتنةٌ وضرٌّ على الأحرار يالك من ضر

من مرض لمرض الجنون : أنشدني أبو أحمد عن الصولي قال أنشدني أبو عبيد الله ابن عبد الله لنفسه :

تمارضتَ لما لمْ تكنْ لك علةٌ وقلتَ شهيدي مابطرفي من السقم
فلا تجعلنْ سقماً بطرفك علةً فقد كانَ ذاك السقم في صحة الجسم

وقال غيره :

أحببتُ من أجلهِ منْ كان يشبهه وكلُّ شيء من المعشوقِ معشوق
وقد جلبتُ بجسمي سُقْم مقلته كأنَّ جسمي من عينيهِ مسروق

وقال الأخيطل : كيف يضنى بعد ما كا ن الضنى عوناً لعينه

وقال ابن الرومي وقد مرض فتخلفَ اخوانه عن عيادته :

عليلكم لايعادُ من علله وضيفكم لايسدّ من خلله
لا ان جفوتم دنا المماتُ ولا ان زُرتمُ تنسونَ في أجله
ما ضرَّ مجفوَّكم جفاؤكمُ بالامس في جسمه ولا أمله

وأنشدني أبو أحمد عن الصولي لمحمد بن محمد بن ابراهيم اليزيدي :

مالي مرضتُ فلم تعدْ ورغبتُ فيك فلم تجُد
الحبُّ يُذهبُه الأذى فاحذرْ عليه ولا تعد

وهذا شعرٌ مطبوعٌ مختار ، والبيت الأخيرُ مأخوذٌ من قول الأعرابي :

فاني رأيتُ الحبَّ في القلبِ والاذى إذا اجتمعا لم يلبث الحبُّ يذهبُ

وقلتُ : وقد عادني الاخوانُ من كلِّ جانب وما قصروا في العرف والفضل والبرّ
فلمْ لم تكنْ فيهم فيكمل حسنهم أياظالماً أخلى النجومَ من البدر
وإذ كنتَ لم تنهضْ اليَّ ولم تكد فلمْ لمْ تسلْ عني فتخبر عن أمري
ومالك لم تبعثْ اليَّ بأسطرٍ تمجمجها إحدى يمينك في ظهر

نضنّ بتسليم وزرة ساعة فكيف يُرجّى جودُ كفيك بالوفر
فإن كنتَ لا تبقى على الحال بيننا فهلا تخاف سوءَ بادرةِ الشعر
إذا لمْ تكونوا للحقوقِ فمنْ لها وأنتم كرامُ الناس فى البدو والحضر
وأنتَ إذا أنحيت تفرى أديمها فما ذنب ذى جملٍ فرَى مثل ماتفرى
وما لعداةِ العلم تذكرُ عيبهمْ وأنت على أمثالِ غايرهم تجرى

ومن الغريب البديع مدح الموت وهو قول ابن الرومى :

قد قلت إذْ مدحوا الحياةَ فأكثروا للموتِ ألفُ فضيلةٍ لا تعرفُ
فيها أمانٌ لقائه بلقائه وفراق كل معاشرٍ لا ينصفُ

ومن أحسن ما قيل فى مكابدة النفس عند الموت قوله أيضا :

بات الأميرُ وباتَ بدرُ سمائنا هذا يُودّعنا وهذا يكسفُ

ولعل ذلك مأخوذٌ من قول الأوّل :

ألمْ يبلغك والأنباء تنمى وللدنيا بأهليها صروف
صريعٌ لم يُوسّدهُ قريب ولم يشركه فى الشكوى أليفُ
يظلُّ كأنه قمرٌ مُنيرٌ يجول على محاسنهِ كسوف

ولهذا البيت رونقٌ عجيبٌ وطلاوة حسنة . ومن عجيب ماجاء فى وصف المصيبة قول حذيفة بن اليمان : إن الله تعالى لم يخلق شيئاً إلا صغيراً ثم يكبر إلا المصيبة فانها خلقت كبيرة ثم تصغر . وهذا قول مصيبٌ لا يُتمارى به ومنه أخذ قوله :

وكما تبلى وجوهٌ فى الثرى فكذا يبلى عليهنّ الحزن

ولا أعرف فى التعزى عن المصيبة كلاماً أحسن تقسيماً من قول الأعرابى ومات له ثلاثة بنين فى يوم واحد فدفنهم وعاد الى مجلسه فجعل يتحدث كأن لم يفقد واحداً فلامَ على ذلك فقال : ليسوا فى الموت ببدع[1] ولا أنا فى المصيبة بأوحد ولا جدوى للجزع فعلامَ تلومونى . فهذه الثلاثة الأقسام لا رابع لها

(١) فى الأصل « ببديع » .

وعزّى رجل رجلاً وقد ولدت امرأته ابناً وماتت في نفاسها فقال أعظم الله أجرك فيما أبادو أجزل حظك فيما أفاد .

ولا أعرف أحداً أجاد هذا المعنى كما أجاده عبد الملك بن صالح الكاتب : أخبرنا أبو أحمد عن الصولى قال قيل للرشيد ان عبد الملك بن صالح يُعِدّ كلامه ويفكر فيه فلذلك بانت بلاغته فأنكر ذلك الرشيد وقال هو طبع فيه ثم أمسك حتى جاء يوماً ودخل عبدُ الملك فقال للفضل بن الربيع إذا قرب من سريرى فقل له وُلد لأمير المؤمنين فى هذه الليلة ابنٌ ومات له ابنٌ فقال له الفضل ذلك فدنا عبد الملك فقال : ياأمير المؤمنين سرك الله فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجعلها واحدةً بواحدةٍ ثواب الشاكرين وأجر الصابرين . فلما خرج قال الرشيد أهذا الذى زعموا أنه يتصنع للكلام ما رأى الناس أطبع من عبد الملك في الفصاحة قط [1] . وعزى اعرابى رجلاً فقال لا أراك الله بعد مصيبتك ما يناسيكها .

أحسن ما قيل فى مدفون قول ابن الرومى فى بستان جارية أم على بنت الراس :

لله ما ضمنتْ حفيرتها ... من حُسنِ مرأى وطُهرِ مُختبر
أضحتْ من الساكنى حفائرهمْ ... سُكنى الغوالى مداهنَ السررِ
لو علم القبرُ منْ أتيحَ لهُ ... لانخفضَ القبرُ غير محتفرِ

وهذا البيت مأخوذ من قول الأوّل :

لو علم القبرُ من يوارى ... تاهَ على كلّ مَنْ يليه

وقالوا أحسن مرثية للعرب ابتداءً قول أوس بن حجر :

أيتها النفسُ أجملى جزعاً ... ان الذى تحذرينَ قد وقعا

وأحسن مرثية لمحدث ابتداءً قول أبى تمام الطائى :

أصمم بك الداعى [2] وإن كانَ أسمعا ... وأصبحَ مغنى الجودِ بعدك بلقعا

فقال فيها : فتىً كان شرباً للعفاةِ ومرتعى ... فأصبحَ للهنديةِ البيضِ مرتعا

---

(١) تقدمت هذه القصة . (٢) فى ديوان أبى تمام « الناعي » .

إذا ساءَ يوماً في الكريهةِ منظراً تصلاهُ علماً ان سيحسنُ مسمعا
فان ترم عن عُمرٍ تدانى به المدى فخانك حتى لم يجدْ فيك منزعا
فما كنتَ إلا السيف لاقى ضريبةً فقطعها ثم انثنى فتقطعا

وقالوا أرثى بيت قالته العرب قول متمم بن نويرة فى أخيه مالك قتل فى الردة قتله خالد بن الوليد : أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد عن أبى حاتم عن الأصمعي قال كان متمم بن نويرة قدم العراق فأقبل لا يرى قبراً إلا بكى عنده فقيل له يموت أخوك بالملا وتبكي على قبره بالعراق ! فقال :

لقد لامنى عندَ القبورِ على البكا رفيقى لتذرافِ الدموعِ السوافكُ

هذا البيت غير مختار الوصف عندى وفى ألفاظه زيادة على معناه :

أمنْ أجلِ قبرٍ بالملا أنت نائحٌ على كلِّ قبرٍ أو على كلِّ هالكُ
فقلت له انَّ الشجي يبعثُ الشجى فدعنى فهذا كلهُ قبرُ مالكُ

يقول قد ملأ الأرض مصابه عظماً فكأنه مدفون بكل مكان . وهذا أبلغ ما قيل في تعظيم الميت .

ومنه أخذ القائل قوله أخبرنا به أبو أحمد عن ابن الأنبارى عن ثعلب عن الرياشي لرجل يرثى عمر بن عبد العزيز وهو عندى من أرثى ماقيل :

لهفى عليك للهفة من خائف كنتَ المجيرَ لهُ وليسَ مجيرُ
عمتْ صنائعهُ فعمَّ مُصابهُ فالناسُ فيه كلهم مأجورُ
فالناسُ مأتمهمْ عليهِ واحدٌ فى كلِّ وادٍ رنَّةٌ وزفيرُ
يثنى عليك لسان من لم تولِه خيراً لأنك بالثناءِ جديرُ
ردَّتْ صنائعه اليه حياتَه فكأنه من نشرها منشورُ

والصحيح أن يقول «منشرٌ» لأنه يقال انشر الله الموتى فنشروا هم .

وقالوا أرثى بيت قالته العرب قول المحدث :

على قبرِهِ بينَ القبورِ مَهابةٌ كما قبلها كانتْ على صاحبِ القبرِ

وقالوا بل قول الآخر :

أرادوا ليخفوا قبرَهُ عن عَدُوِّهِ ... فطيبُ تُرابِ القبرِ دَلَّ على القبرِ

وقالوا أرثاه قول ابن مُنادِر :

أنعي فتى الجودِ الى الجود ... مامثل من أنعى بموجودِ

أنعى فتى مصَّ الثرى بعده ... بقيّة الماءِ من العودِ

وأخبرنا أبو أحمد قال سمعت محمد بن يحيى قال سمعت محمد بن يزيد يقول لو سُئلتُ عن أحسن أبيات تعرف في المراثي لم أختر على أبيات الخزيمي :

ألم ترني أبني على الليث بنيةً ... وأحثي عليهِ الترب لاأتخشعُ

وأعددته ذُخراً لكلِّ مُلِمَّةٍ ... وسهمُ المنايا بالذخائرِ مُولعُ

وانى وان أظهرتُ منى جلادةً ... وصانعتُ أعدائى عليه لموجعُ

ولو شئتُ أن أبكى دماً لبكيتُه ... عليهِ ولكن ساحةُ الصبرِ أوسعُ

وقال أبو عمرو بن العلاء أرثى بيت قول عبدة :

فما كانَ قيسٌ هُلكهُ هُلكُ واحدٍ ... ولكنه بُنيانُ قوم تهدَّما

وقال خلف الأحمر أرثى بيت :

الآن لما كنتَ أكمل من مشى ... وافترّ نابُك عن شباه القارح

وتكاملت فيك المروءةُ كلها ... وأعنتَ ذلك بالفعالِ الصالح

وقال الأصمعى أرثى بيت للعرب :

ومن عجب أن بتَّ مستشعر الثرى ... وردن [1] بما روّدتنى مُتمتعا

ولو أننى أنصفتك الوُدَّ لم أبت ... خلافك حتى نتطوى فى الثرى معا

ومن أحسن ماقيل فى بقايا آثار الميت قول الحسين بن مطير [2] :

فتى عِيشَ فى معروفهِ بعدَ موتهِ ... كما كانَ بعدَ السيلِ مجراه مرتعا

---

(١) لعله (وبت) . (٢) فى الاصل (الحسن) وهو شاعر من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية مقدم في القصيد والرجز فصيح .

وفى هذه القصيدة :

أيا قبرَ معنٍ كنت أولَ حفرةٍ من الأرض خطتْ للسماحة مضجعا
ويا قبرَ معنٍ كيفَ واريتَ شخصه ولو كان حياً ضاقَ حتى تصدعا
فلما مضى معنٌ مضى الجودُ والندى وأصبحَ عرنينُ المكارم أجدعا

وأنا أقول إن هذه الأبيات أرثى ماقيل في الجاهلية والاسلام .

وقالوا أرثى بيت قيل قول مهلهل فى كليب :

نبئتُ أنَّ النارَ بعدك أوقدتْ واستبَّ بعدك يا كليبُ المجلسُ
وتكلموا فى أمر كلِّ عظيمة لو كنتَ شاهدهم إذاً لم ينبسوا

وكان كليب اذا أوقد ناراً لم يوقد أحدٌ ناراً ولم ينزل ضيفٌ الا عليه واذا جلس مجلساً لم يتكلم فيه أحد إلا هو .

وقالوا أحسن ماقيل فى المراثى قول متمم بن نويرة فى أخيه مالك :

وكنا كندمانى جذيمةَ حقبةً من الدهرِ حتى قيلَ لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكا لطولِ اجتماعٍ لم نبت ليلة معا

وليس في المحدثين أحسن مراثى من أبى تمام فمن ذلك قوله :

غدا غدوة والمجد[1] نسج ردائه فلم ينصرفْ إلا وأكفانهُ الأجر[2]
فأثبتَ فى مستنقع الموتِ رجلهُ وقالَ لها من تحتِ أخصك الحشر
فتى ماتَ بينَ الضرب والطعن ميتة تقومُ مقام النصرِ ان فاته النصرُ
فتى سابته الخيل وهو لها حمى ويزّنهُ نارُ الحربِ وهو لها جمر
كأنَّ بنى نبهان يومَ وفاته نجوم سماءٍ خرَّ من بينها البدرُ
مضى طاهرَ الاثوابِ لم تبقَ روضةٌ غداةَ ثوى إلا اشتهتْ انها قبرُ
وكيف احتمالى للسحاب[3] صنيعة بأسقائه قبراً وفى لحده البحرُ

ولولا كراهة الاطالة لاوردت القصيدة كلها إذ ليس فيها الا مختارٌ .

---

(١) فى ديوان أبى تمام «والحمد» . (٢) فى الاصل (أجر) . (٣) فى الديوان (للغيوث) .

وقوله [١] في ادريس بن بدر السامي :

أإدريسُ ضاع المجدُ بعدك كله ... ورأى الذى يرجوهُ بعدك أضيع
وضلَّ بك المرتادُ من حيث يهتدى ... وضرَّتْ بك الأيام من حيث تنفع
وتبسطُ كفّاً فى الخطوب [٢] كأنما ... أناملها فى البأس والجود أذرعُ
ولم أنسَ سعىَ الجودِ حولَ سريره ... باكسف بال يستقيم ويظلع
وقد كانَ يدعى لابس الصبر حازماً ... فقد صارَ يُدعى [٣] حازماً حين يجزع

وقوله فى بنى حميد :

عهدى بهم تستنيرُ الأرضُ ان نزلوا ... فيها وتجتمعُ الدُّنيا إذا اجتمعوا
ويضحكُ الدَّهرُ منهم عن غطارفة ... كأنَّ أيامهم من أنسها جُمَع
فيا الثمانة إعسلاناً بأسد وغى ... أفناهمُ الصبر إذْ أبقاهم الجزع

وقوله أيضا : إذا فقدَ المفقودُ من آل مالك ... تقطّعَ قلبى رحمةً للمكارم
خليلىَّ من بعد الأسى والجوَى قفا ... ولا تقفا فيضَ الدُّموع السواجم
ألمّا فهذا مصرعُ البأس والندى ... وحسبكما ان قلتُ [٤] مصرع هاشم
ألمْ تريا الأيامَ كيفَ فجعننا ... به ثمَّ قد شاركننا في المآتم
خطوبٌ اليه من نداهُ وبأسه ... خلائق أوقى من سبور التمائم

وقد كثرت على محاسنه فى هذا الباب فما أدرى ما أُوردُ وما أترك . وقد أحسن القائل :

وسميته يحيى ليحيا ولم يكنْ ... الى ردِّ أمر اللهِ فيه سبيلُ
تيمنتُ فيه الفالَ حين رُزقته ... ولم أدرِ أنَّ الفالَ فيه يفيل

وأخذ أبو تمام قول الفرزدق فى جارية له ماتت وفى بطنها غلام :

* وجفن سلاح من معدٍّ رُزئته : والبيت :
وفي جوفه من دارم ذو حفيظة ... لو أنَّ الليالى انسأته لياليا

---

(١) أى قول أبى تمام . (٢) فى ديوان أبى تمام « فى الحقوق »
(٣) فى الديوان (فأصبح يدعى) . (٤) فى الديوان « وحسب البكا ان قلت » .

وكان وجه الكلام أن يقول « وفى جوفه ذو حفيظة من دارم » فقال أبو تمام وزاد زيادةً أسقط بها بيت الفرزدق حتى صار لا قيمة له معها وهو قوله في ابنين لعبد الله بن طاهر قد ماتا صغيرين فى يوم واحد :

نجلان شاءَ اللهُ أن لا يظاما ... إلا ارتدادَ الطرفِ حتى يأفلا
انَّ الفجيعةَ بالرِّياضِ نواضراً ... لأجلِّ منها بالرياض ذوابلا
لو ينسيان لكان هذا غاربا ... للمكرُمات وكان هذا كاهلا
لنهى على تلك الشواهدِ فيهما ... لو أمهلت[1] حتى تكونَ شمائلا
لغدا سكونهما حجا وصباهما ... حِلماً ونلك الأريحيّةُ نائلا
انَّ الهلالَ إذا رأيتَ نموَّهُ ... أيقنتَ أن سيكونَ[2] بدراً كاملا

ثم قال يوسيه :

ان ترزَ في طرَفي نهارٍ واحدٍ ... رُزءين هاجا لوعةً وبلابلا
فالثقل ليس مضاعفاً لمطيّة ... إلا إذا ماكان وهناً بازلا

ثم قال أيضاً :

شمخت[3] خلالك أن يُوسيك امرءٌ ... أو أن تذكر[4] ناسياً أو غافلا
إلا مواعظ قادها لك سمحة ... اسجاح لبك سامعاً أو قائلا
هل تكلفُ الأيدى بهزّ مُهنّدٍ ... إلا إذا كان الحسام الفاصلا

وقالوا ليس للعرب مرثية أجود من قصيدة كعب بن سعد التى يرثى فيها أخاه أبا المغوار ويقول فيها :

أنى دونَ حلو العيش حتى أمرَّهُ ... نُكوبٌ على آثارهنَّ نُكوب
هوتْ أمهُ ما يبعثُ الصبح غاديا ... وماذا يؤدى الليل حينَ يؤوب
حليمٌ إذا ماالحلم زيّن أهله ... مع العلم في عين العدوِّ مهيب

---

(١) في الاصل « قد أمهلت » .
(٢) في ديوان أبى تمام «سيعودَ» .
(٣) فى الأصل (سمحت) .
(٤) فى الأصل (أو كان يذكر) .

هوتْ أمهُ ماذا تضمنَ رحلهُ من الجودِ والمعروفِ حينَ يغوبُ
فتى أريحيٌّ كيفَ يهتزُّ للندى كما اهتزَّ من ماءِ الحديدِ قضيبُ
حليفُ الندى يدعو الندى فيجيبه قريباً ويدعوه الندى فيجيبُ
فانْ تكنِ الأيامُ أحسنَّ مرَّةً الىَّ فقد عادتْ لهنَّ ذنوبُ
وحدَّثتماني انما الموتُ بالقرى فكيفَ وهذى هضبةٌ وكثيبُ

وقال فيها: وداعٍ دعانا من يجيبُ الى الندى فلما يجبه عند ذاك مجيبُ

فقلتُ ادعُ أخرى وارفضِ[1] الصوتَ مسعداً لعلَّ أبا المغوارِ منكَ قريبُ

ومن عجيبِ المراثى قول الرقاشى فى البرامكة :

الآنَ استرحنا واستراحتْ ركابنا وقلَّ الذى يجدى ومن كانَ يجتدى
فقلْ للمطايا قد أمنتِ من السُّرَى وطىِّ الفيافي فدفداً بعد فدفدِ
وقلْ للمنايا قد ظفرتِ بجعفرٍ وان تظفرى منى بعدهِ بمسوَّدِ
وقلْ للعطايا بعدَ فضلِ تعطلى وقل للرزايا كلَّ يومٍ تجدَّدى
ودونكِ سيفاً برمكياً مُهنَّداً أصيبَ بسيفِ الهاشميِّ المهندِ

ومن جيدِ المراثى قول الآخر :

سأبكيكَ للدُّنيا وللدِّينِ انني رأيتُ يدَ المعروفِ بعدكَ شُلَّتِ
ربيعٌ إذا ضنَّ الغمامُ بمائهِ وليثٌ إذا ما المشرفيةُ سُلَّتِ

وقد أحسن أبو الحسن بن الانبارى القول فى ابن بقية[2] حين صُلب :

عُلوٌّ في الحياةِ وفى المماتِ بحقٍّ أنتَ[3] احدى المعجزاتِ
كأنَّ الناسَ بعدكَ حينَ قاموا وفودُ ندالكَ أيامَ الصِّلاتِ

وهذا البيت مأخوذٌ من قول ابن المعتز في عبد الله بن سليمان حين توفي :

وصلوا عليه خاشعين كأنهم قيامٌ خضوعٌ للسلام عليه

---

(١) المعروف «وارفع الصوت» . (٢) كان براً جواداً ، نقم عليه عز الدولة أمراً فقبض عليه وسمل عينيه ، ولما ملك عضد الدولة صلبه (٣) وفى رواية (لحقٌّ تلك) .

كأنك قائمٌ فيهم خطيباً ... وكلهمُ قيامٌ للصلاتِ
مددتَ يديك نحوهمُ جميعا ... كدٍّ كما اليهمْ بالهباتِ
ولما ضاقَ بطنُ الأرض عن أن ... يضمَّ علاكَ من بعدِ المماتِ
أصاروا الجوَّ قبرَكَ واستنابوا[1] ... عن الأكفانِ ثوبَ السافياتِ
فلم أرَ قبلَ جذعك قطُّ جذعاً ... تمكنَ من عناقِ المكرُماتِ

ومن جيد ماقيل فى عظم شأن الميت قول ابن المعتز:

هذا أبو القاسم فى نعشه ... قوموا انظروا كيف تزولُ الجبال

وقول أبى تمام :

بني مالك قد نيهت خاملَ الثرى ... قبورٌ لكم مستشرفات[2] المعالم
رواكد قيد[3] الكفِّ من متناول ... وفيها علاً لا يُرتقى بالسلالم

وقلت: سائل القبرَ كيفَ أضمرتَ قدساً ... وأباناً وبذبلاً وحراءَ
من رأى البدرَ بالترابِ توارَى ... أوعلى ذروةِ النعوشِ تراءَى

وقال ابن المعتز وأحسن :

تعالوا نَزُرْ قبرَ السماحة والنَّدى ... ولانعتذرْ من دمع عينٍ على خدِّ
لقد عشتَ لم يعلقْ بفعلك ذِمَّةٌ ... ومُتَّ على رغم المحامدِ والمجدِ

وقال أيضا :

ألستَ ترى موتَ العلى والمحامد ... وكيفَ دفنَّا الخلقَ فى قبر واحد
وللدَّهرِ أيامٌ يُسئنَ عوامداً ... ويحسنَّ ان أحسنَّ غيرَ عوامدِ

وقال دعبل بن على الخُزاعى :

حنَّطتَهُ يا نَصرُ بالكافور ... ورفعتهُ للمنزلِ المهجور
هلا ببعض خلالهِ حنَّطته ... فيضوعُ أفق منازلٍ وقبورِ

---

(١) فى رواية (واستعاضوا) . (٢) في الأصل (وذا كم مشرفات) .
(٣) فى الأصل (رواكد قيس) .

وقلت: على الرغم من أنف المكارم والعلى غدتْ داره قفراً ومغناه بلقعا
ألم ترَ أن البأسَ أصبحَ بعدَهُ أشلَّ وأنَّ الجودَ أصبحَ أجدعا
فمرا على قبرِ المسوّدِ وانظرا الى المجدِ والعلياءِ كيف تخشعا
فان يكُ واراه التراب فكبّرا على الجودِ والمعروفِ والفضلِ أربعا
ولا تسأما نَوْحاً عليهِ مُكرَّراً ونوحاً لفقدِ العارفاتِ مُرجّعا
فما كان قيسٌ هلكهُ هلكَ واحد ولكنه بنيانُ قوم تضعضعا
ولا تحسبا أني أواريهِ وحدَهُ ولكنني واريتهُ والندى معا

ومن بارع المراثي قول ديك الجن الحمصي:

ماتَ حبيبٌ فماتَ ليثٌ وغاضَ بحرٌ وباخَ نجمُ
سَمَتْ عيونُ الرَّدَى إليهِ وهي إلى المكرُماتِ تسمو
ماأمكَ اجتاحتِ المنايا كلُّ فؤاد عليكَ أمُّ

ومما جاءَ في صفة القبر قول الشاعر:

ورسمُ دار مُقفر الجنابِ يزدادُ عمراناً على الخراب

وقالوا أصدق ماقيل في صفة الدنيا قول أبي نواس:

إذا امتحنَ الدنيا لبيبٌ تكشفتْ له عن عدوٍّ في ثيابِ صديق

وهو مأخوذٌ من قول جرير في وصف النساء:

دعينَ الهوى ثم ارتمينَ قلوبنا بأسهم أعداءٍ وهنَّ صديق

وقالوا بل أصدق ماقيل في صفة الدنيا قول الأول:

حُتوفها رصدٌ وعيشها نكدٌ وصفوها رنقٌ وملكها دول

وقلت: مابالُ نفسك لاتهوى سلامتها فأنت في عَرَضِ الدنيا ترغبها
دارٌ إذا أتت الآمالُ تعمرها جاءت مقدمةُ الآجالِ تخربها
أصبحتَ تطلبُ دنيا لستَ تدركها فكيفَ تُدركُ أخرى لستَ تطلبها

ومن جيد ماقيل في الزهد قول ابن المعتز:

نسيرُ إلى الآجال في كلِّ لحظةٍ ... وأيامُنا تطوى وهُنَّ مراحلُ
ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً كأنه ... إذا ما تخطته الأمانيُّ باطلُ

وقلت: ألستَ ترى موتَ العلا والفضائل ... وكيفَ غروبُ النجم بين الجنادل
فما للمنايا أغفلتْ كلَّ ناقص ... وتقبلَ في الآفاقِ عن كلِّ فاضل
على الرَّغم من أنفِ العلا سبقَ الرَّدى ... بكلِّ كريم الفعل حرِّ الشمائل
على أنَّ من أبقتهُ ليسَ بخالدٍ ... وليسَ امرؤٌ يرجو الخلودَ بعاقل
رأيتُ المنايا بينَ غادٍ ورائح ... فما للبرايا بينَ ساهٍ وغافل
ولم أرَ كالدنيا حبيباً مُضرَّةً ... ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً كباطل

وقال ابن المعتز:

كم بدارِ الموتِ من ذي إربة ... عجزت منهُ على الموتِ الحيلْ
وملوكٍ بلبيتْ أيدبهم ... ولقد كانتْ مطايا للقبلْ

وقلت: فتعجبتُ كيفَ لا تحذرُ الموتَ ... وأنفاسنا خطانا اليه

وقرأت للجاحظ كلاماً مفقود النظير معدوم الشبيه لا أعرف لأحد مثله وهو: أيها المستدل على أمور الدنيا كفاك بها على نفسها دليلاً وبومها لك من غدها تشبيهاً وتمثيلاً تالله لقد أطلعتك بمؤتلفاتها على حدوث تأليفها وأثبتت لك الصانع بآثار صنعته فيها ووقفتك على معرفة كلها بما توافى فيك من أجزائها ودلتك بتحليل المركبات فيها على انحلال تركيبها. ووقفتك بقطع الشمس والقمر قطرها على إدبارها وانقطاعها فكشف لك انتهاء حدودها عن تناهي أمدها وأبان لك دُؤوبُ اطراد نهارها وليلها وتتابع دوران بروجها ونجومها وتعاقب أزمنة بردها وحرها واعتدالها وحركات نيرانها ورياحها ومياهها أنها مسوقة محثوثة إلى أمدها كما تحث برايا بالأوقات الجارية إلى آجالها. ثم قال وتحدث ما تخوفك به طوارق أحداثها وتوطنك على إبطان جثمانها حدثا من أحداثها لا تمسك منها بعروة إلا شهدت على أشكالها فأية نصيحة أصدق لك من نصيحتها أو عظة أشفى

وأبلغ من عظتها أو شهادة أصح وأعدل من شهادتها بالفناء على نفسها ؟ ألم تر أجزاءها مؤتلفة بالاجتماع مختلفة بالطباع يهلك بعضها بعضاً ويعود إبراميها انقضاً ، فيانا سياً للصخر وتهدمه وللحديد وتثلمه وانثاً ببقاء لحمه ودمه ومساعفاً لشيقه وقرمه اذكر أن جسدك وشيكا مفارقك وأنه وإن جددته مخالقك وأنك تطلقه في شهواته ويوثمك وتبقى عليه من التعب ويوبقك ففيم تشتغل به عن مصلحتك وعلام تتكل في عقبيك — إلى أن قال وتقوى على الزهد فيما يتنافسه الجهال بذكر الموت وفجأته وبغتاته ووضوح آياته وغموض ميقاته وانخذال المحالة عن دفعه ويأس النفوس من منعه عند غوصه عليها في الابدان وتخليله لها من الأعظم والأعصاب والعروق واللحم والاهاب حتى يسوقها من الاغماض والأوصال سياق رهاق مضيق للخناق محقق للفراق مؤيس من التلاق عند إحساسه بموت جسده عضواً فعضوا وفقدان قوته جزءاً جزءاً وهي تمرح في الصدر حشرجة وفي الجوانح رجرجة وفي اللهوات غرغرة وفي الحلقوم خرخرة بالنزع الجاذب والعلق الكاذب والغُواق الذائب والانفاس الذواهب فهناك تنفس الصعداء وتوقد البرحاء وفي سمعه وبصره بقية يرمق بها أولاده يتامى وساءه أيامى وأمواله نهبى وجموعه شتى ووجوه الشامتين به مشرقة والدموع من أحبته مستبقة والجيوب عليه مشققة والشعور مقطعة والخدود باللطم مبقعة وذلك غير عائد عليه ولا عليهم بمنفعة في كلام طويل .

ومن جيد ماقيل في إفضاء السلامة بصاحبها الى الهلاك قول النمر بن تولب :

تدارك ماقبل الشباب وبعدهُ حوادث أيام تمرُّ وتغفلُ
يودُّ الفتى طولَ السلامةِ والغنى فكيفَ ترى طولَ السلامة تفعل
يرد الفتى بعد اعتدال وصحة يئوءُ اذا دام القيام ويحملُ

وقيل لرجل من الاوائل : ما كان سبب موت أخيك ؟ قال كونه فأحسن ماشاء .

وقال بعضهم في معناه :

مابالُ من آفته بقاؤهُ نقصَ عيشي كلهُ فناؤهُ

وقال آخر فى نحوه :

فانَّ الداء أكثر ماتراهُ من الأشياء تحلو فى الحلوق

ومن جيد ماقيل في موت الولد قول ابن الرُّومى :

بكاؤكما يشفى وإنْ كانَ لايجدى فجودا فقداً وُدَّى نظيرُكما عندى
توفى حمامُ الموتِ أوسطَ صبيتى فلله كيفَ اختارَ واسطةَ العقدِ
طواهُ الرَّدَى عنى فأضحى مَزَاره بعيداً على قرب قريباً على البعدِ
عجبت لقلبى كيفَ لم ينفطرْ له ولو أنه أقسى من الحجر الصَّلد
وماسرَّنى أن بعته بثوابه ولو أنه التخليد فى جنة الخلد
ولا بعته طوعاً ولكنْ غصبته وليسَ على ظلم الحوادثِ من مُعدى

وأما موت الأخ فقد روينا فيه خبراً مليحاً أخبرنا به أبو طاهر محمد بن يوسف قال أخبرنا أبو الحسن على بن محمد بن بكر قال حدثنا أيوب بن سليمان قال حدثنى يوسف قال حدثنا صهيب بن محمد قال حدثنا إسماعيل بن عمرو قال حدثنا إسماعيل ابن عياش عن عبد الله بن دينار قال قدم لقمان من سفرٍ فلقى غلاماً له فقال له مافعل أبى؟ قال مات قال ملكت أمرى فما فعلت أمى؟ قال ماتت قال ذهب همى قال فما فعلت أختى ؟ قال ماتت قال سترت عورتى قال فما فعلت امرأتى ؟ قال ماتت قال جدد فراشى قال فما فعل أخى ؟ قال مات قال: أوه انقطع ظهرى انتهى .

وذكر قدامة بن جعفر أن أباجعفر المنصور لما دفن ابنه جعفر الاصغر قال للربيع كيف قال مطيع بن إياس فأنشده :

ياأهل بكوا لقلبيَ القرح وللدُّموع الذوارفِ السفح
راحوا بيحبى ولو تطاوعنى الأ قدار لم تبتكر ولم ترح
ياخبر من يحسن البكاء له اليومَ ومنْ كانَ أمس للمدح
قد شمت الحزن بالسرور وقد أدبل مكروهه من الفرح

فبكى المنصور ثم قال : صاحب هذا القبر أحق بهذا الشعر ؛ ثم أذن للناس فدخلوا ونصبت الموائد فلم يقدر أن يمدّ يده من الجزع الذى كان خامره فقام شبيب بن شيبة فأنشده قول الثقفى في ابنه على وكان شرطة عبيد الله بن العباس باليمن فقتله بشر بن أرطاة فقال يرثيه :

لعمرى لقد أوْدَى ابنُ أرطاةَ فارساً ... بصنعاءَ والليث الهزبر أبى الأجر
تأملْ فان كانَ البكا رَدَّ هالكاً ... على أحدٍ فاجهدْ بُكاك على عمرو

فسرّى عنه وأكل مع الناس ورفع الحزن مع رفع الطعام .

ومن عجيب المراثى قول الأشجع :

مضى ابن سعيد حين لم يبقَ مَشرقٌ ... ولا مغربٌ إلا لهُ فيهِ مادحُ
وما كنتُ أدرى ما فواضلُ كفه ... على الناسِ حتى غيبتهُ الصفائحُ
فأصبحَ فى لحدٍ من الأرضِ ميتاً ... وكانَ بهِ حياً تضيقُ الأباطحُ
سأبكيك ما فاضت دُموعى وإن تغض ... فحسبك منى ما تحنُّ الجوانحُ
كأنْ لم يمتْ حيٌّ سِواكَ ولم تقمْ ... على أحدٍ إلا عليك النوائحُ
لئن حسنتْ فيك المراثى وقيلها ... لقد حسنتْ من قبلُ فيك المدائحُ
وما أنا من رزءٍ وإن جلّ جازعٌ ... ولا بسرورٍ بعدَ موتك فرحُ

وأنشدنا أبو القاسم عبد الوهاب بن ابراهيم قال أنشدنا العقدى قال أنشدنا أبو جعفر عن المدائنى لعرفجة بن شريك يرثى أوساً :

رأيتُ المنايا تصطفى سَرَواتنا ... كأنَّ المنايا تبتغى من تفاخره
فما كانَ قيسٌ هاجزاً غير انهُ ... حمى أنفه من أن يضيعَ مجاورُه
وطابَ لوردِ الموتِ نفساً ولم يخمْ ... وقد ضاقَ بالنكس اللئيم مصادرُه
فصادفَ رق الموت حراً سميدعاً ... إذا سئلَ المعروفَ لانت مكاسره
حمى أنفه أوس ولم يثن وجهَهُ ... ويفنى الحياةُ المرءَ والرمح شاجره

ومن ههنا أخذ أبو تمام قوله :

وقد كان فوت الموت سهلاً فردّهُ عليهِ الحفاظ المرُّ والخلقُ الوعر

وعزى ابن السماك الرشيد عن ابن له مات فقال : أما بعد فان استطعت أن يكون شكرك لله حين أخذه أكثر من شكرك لله حين وهبه فافعل فانه حين قبضه أحرز لك هبته ولو بقى لم تسلم من فتنته ، عجباً لجزعك على ذهابه وتلهفك على فراقه أرضيت الدار لنفسك فترضاها لولدك أماهو فقد خلص من الكدر وبقيت معلقاً بالخطر والسلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً لا يحصى عدده ولا يبلغ أمده ، وصلواته على سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين المختارين وسلم .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(فى صفة أشياء مختلفة يختم بها كتاب ديوان المعانى وهو :)

﴿ الباب الثانى عشر منه فأول ذلك ﴾

﴿ القول فى الحنين إلى الأوطان ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عمر بن ذكوان قال قال أبو سرح سمعنى أبو دُلف أنشد :

لا يمتعنك خفض العيش فى دعة نزوع نفس إلى أهل وأوطان

تلق بكلّ بلادٍ أنتَ ساكنها أهلاً بأهل وجيراناً بجيران

فقال : هذا ألأم بيت قالته العرب . قال أبو هلال رحمه الله : النزوع ههنا ردىء والجيد النزاع، وإنما جعل أبو دلف هذا البيت ألأم بيت لأنه يدل على قلة رعاية وشدة قساوة وحنين الرجل إلى أوطانه منقبة من علامات الرشد لما فيه من الدلائل على كرم الطينة وتمام العقل. وقالت الحكماء: حنين الرجل إلى وطنه من علامات الرشد. وقال بزرجمهر: من أمارات العاقل بره بأخوانه وحنينه إلى أوطانه ومدارانته لأهل زمانه . وقال أعرابي : لا تنشك بلداً فيه قبائلك ولا تجف أرضاً فيه قوابلك . وقالت العرب : أكرم الخيل أشدها خوفا [1] من السوط وأكيس الصبيان أشدهم بغضاً للمكتب وأكرم الصفايا أشدها حنيناً إلى أوطانها وأكرم المهارة أشدها ملازمة لأمهاتها وأكرم الناس آلفهم للناس . وقد بين الله تعالى فضل الوطن وكأنف النفوس به في قوله تعالى (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ) فجعل خروجهم من ديارهم كقتل قتلهم لأنفسهم ومنه قوله تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ) وقوله تعالى (وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا) فجعل إخراجه إياهم من ديارهم بدلاً من العذاب المستأصل لهم لشبهه به عندهم . وقال بعض الحكماء : الخروج من الوطن أحد السبابين والجلاء أحد القتلين . وقال يحيى بن أبي طالب :

إذا ارتحلتْ نحو اليمامة رفقةٌ دعاني الهوى وارتاح قلبي إلى الذكر
يقولونَ إنَّ الهجرَ يشفي من الهوى ومازددتُ إلا ضعف ما بي على الهجر

وكان كثيرٌ من العرب ممن ينتزى الى فضل كرم لا ينتجعون وكذلك كانت قريش . وقال الحارث بن ظالم :

رفعتُ الرُّمح [2] اذ قالوا قُريشٌ وشبهت الشمائل والقبابا [3]

---

(١) سقط من الأصل « خوفا » أو ما بمعناها . (٢) في الأغاني « السيف » .
(٣) في الأغاني « وبينت الشمائل والعتابا »

ولو انى أطاوعُ كنتُ فيهم وما سيرتُ أتبع السحابا

وقال الحويدرة [1] .

وتقيمُ فى دار الحفاظ بيوتنا زمناً ويظعنُ غيرنا للأمرع

والأمرع جمع لاواحد له من لفظه ، وكانوا يسمون منزلهم دار الحفاظ لأنهم كانوا يقيمون فيه لقرى الأضياف وإعطاء الفقير وصلة المسكين وابن السبيل .

وقال أبو تمام : كم منزل فى الارض يألفهُ الفتى وحنينهُ أبداً لاوّل منزل

وقد قالت الهند : حرمة بلدك عليك مثل حرمة أبويك لان غذاءك منهما وغذاءهما منك . وقال آخر : أرض الرجل ظئره ودار مهده . وقال آخر : الحنين الى الوطن من رقة القلب ورقة القلب من الرعاية والرعاية من الرحمة والرحمة من كرم الفطرة وكرم الفطرة من طهارة الرشدة وطهارة الرشدة من كرم المحتد قال الشاعر :

لقربُ الدّار في الاقتار خيرٌ من العيش المُوسّع في اغتراب

وقال جالينوس : يتروح العليل بنسيم أهله كما تنقوت الحبة ببل المطر إذا أصاب الارض . وقال أفلاطن : غذاء الطبيعة من أنجع أدويتها . وقال : يداوى كل عليل بمقاقير أرضه فان الطبيعة تتطلع الى هوائها وتنزع الى غذائها . وقلنا : ليس الانسان أقنع بشىء منه بوطنه لانه يتبرم بكل شىء ردىء ويتذمم من كل شىء كريه إلا من وطنه وان كان ردىء التربة كريه الغذاء ولولا حب الناس للاوطان لخرب أخابث الارض والبلدان ، قال الشاعر :

ألا ليت شعرى هل تحنّ ناقتى بصحراء من نجران ذات ثرى جعد

وهل تنفضنّ الريحُ أفنانَ لمتى على لاحقِ الاطلين مطمر ورد

وهل أردن الدهر حسى مزاحم وقد ضربتْهُ نفحةٌ من صبا نجد

وذكر ابن الرومى العلة التى يحب الوطن لاجلها وليس له فى ذلك امام إلا

---

(١) فى الاصل «الخويدرة» بإلخاء المعجمة وهو غلط ، ويقال له الحادرة لقب غلب عليه ، والحويدرة تصغيره (والحادرة الضخم) واسمه قطبة الثعلبى وهو شاعر جاهلى مقل .

أحمد بن اسحق الموصلي فانه قال :

أحبُّ الارضَ تسكنها سليمى ... وان كانتْ بواديها الجدوب

وما دهري بحب تراب أرض ... ولكنّ من يحلُّ بها حبيبُ

وقال ابن الرومي :

ولي وطنٌ آليتُ أن لاأبيعهُ ... وألا أرى غيري له الدهرَ مالكا

عهدتُ به شرخَ الشبابِ ونعمةً ... كنعمةِ قومٍ أصبحوا في ظلالكا

فقد ألفتهُ النفسُ حتى كأنهُ ... لها جسدٌ لولاهُ غودرتُ هالكا

وحبّبَ أوطانَ الرجالِ إليهمِ ... مآربُ قضاها الشباب هُنالكا

إذا ذكروا أوطانهمْ ذكرتهمُ ... عهودَ الصبا فيها فحنوا لذلكا

وقد ضامني فيها اللئيم وغرّني ... وها أنا منهُ معصمٌ بحبالكا

فان أخطأتني من يمينك نعمة ... فلا تخطئنه نقمةٌ من شمالكا

وقلت في نحو من ذلك :

ثوَى في حفرةِ العانات يمنٌ ... تغافل في المنازلِ والرّباع

وإن تهوَ البقاع فليس غرواً ... هوى أهل البقاع هوى البقاع

وقال ابن الرومي :

فاذا تصوّر في الضمير وجدتهُ ... وعليه أفنانُ الشباب تميدُ

وقيل لاعرابي كيف تصنع بالبادية إذا اشتدَّ القيظ وانتعل كل شيء ظلّه ؟ فقال وهل العيش إلا ذاك يمشي أحدُنا ميلا ويرفضّ عرقاً ثم ينصبُ عصاه ويلقي عليها كساءه ويجلس يكتال الريح فكأنّه في إيوان كسرى . وذكر أعرابيٌّ بلدهُ فقال رملةٌ كنتُ جنين ركامها ورضيع غمامها . وقالت أعرابيةٌ : إذا كنت في غير أهلك فلا تنس نصيبك من الذلّ . وقال الشاعر في معناه

* نصيبك من ذلّ إذا كنت خاليا * وقلت :

حسبتُ الخيرَ يكثر في التنائي ... فكانَ الخيرُ أكثر في التدانِي

ذكرتُ مقامنا بسراة حزوى ... فسرت مع الوساوس فى عنان
ألا لله حزمٌ واصطبارٌ ... تقاسمهُ بنياتُ الزّمان
عزيزٌ أضمرتهُ نوى شطون ... فظلّ من المهانةِ فى ضمان
يناطُ إلى العزيزِ إذا تبوّى ... بمنزل غربةٍ طرف الهوان

وقال آخر : يحنُّ اللبيبُ إلى وطنه كما يحنّ النجيب إلى عطنه . وقلت :

إذا أنا لا [1] أشتاقُ أرض عشيرتى ... فليسَ مكانى فى النهى بمكين
من العقل أن أشتاقَ أوّلَ منزلٍ ... عنيتُ بخفضٍ فى ذُراهُ ولين
ورَوْض رعاهُ بالاصائل ناظرى ... وغصنٍ نماهُ بالغداةِ يمينى

وقال ابن المولى :

سُررتُ بجمعٍ والقرب منه ... كما سُرّ المسافر بالاياب
كمطور ببلدتهِ فأضحى ... غنياً عنْ مطالعة السحاب

وهو من قول الآخر :

فكنتُ فيهمْ كمطور ببلدتهِ ... فسرّ أن جمعَ الاوطانَ والمطرا

وفضّل بعضُهم السفر على المقام واحتج بقول الله تعالى (عَلِمَ أنْ سَيَكُون مِنْكُمْ مَرْضَى وآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فى سَبِيلِ اللهِ) قال فقسم الحاجات فجعل أكثرها فى البُعد ، وقال تعالى (فَإذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانْتَشِرُوا فى الأَرْضِ وابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ) قال فأخرج الكلام مخرج العموم ولم يخص أرضاً دون أرض ولا قرباً دون بعد ، ويُنشد فى هذا المعنى قول أبى تمام :

وطولُ مُقام المرءِ في الحيّ مخلقٌ ... لديباجتيهِ فاغتربْ تتجددِ
فانى رأيتُ الشمسَ زِيدتْ محبةً ... إلى الناس اذ ليستْ عليهم بسرمد

وقال [2] فى الحث على الأسفار والطلب والتزهيد في المقام والدعة : الراحة

---

(١) في الأصل « لم » ويصح « لم أشتق لأرض » . (٢) كذا .

عقلةٌ والبركاتُ فى الحركات ومن غلى دماغه في الصيف غلت قِدره فى الشتاء .

وقال عبد الله بن وهب : حبُّ الهوينا يكسِب الضنى ، وقال أبو المعافى :

وانَّ التوانى أنكحَ العجزَ بنته ... وساقَ اليها حينَ أنكحها مهرا
فراشاً وطيئاً ثمَّ قال لها اتكى ... وقُصرا كلا بُدّ أن تلد الفقرا

وقال نُهيك بن أساف :

أأُمَّ نُهيك إرفعى الطرفَ صادقاً [1] ... ولا تيأسى أن يثرىَ الدهر بائس
سيغنيك سعيى [2] فى البلادِ وغربتى [3] ... وبعل التى لم تحظَ فى البيتِ [4] جالس

وأخبرنا أبو أحمد عن ابن دُريد عن أبى حاتم عن الأصمعى قال قال أكثم بن صيفى : مابودنى أنى مكفى وأنى أسمنت وألينت ، قيل ولِمَ ذاك قال مخافة عادة العجز .

وفي الحديث المرفوع « سافروا تغنموا [5] » وقال الشاعر وذمّ طول الضجعة :

فان تأتياني بالشتاء وتلمسا ... مكان فراشى فهو بالليل بارد
وقال آخر : أبيض بسّام بَرودٌ مضجعه ... واللقمةُ الفردُ مراراً تُشبعه

وقال الحطيئة يهجو القعود والراحة :

دع المكارمَ لا ترحلْ لبغيتها ... واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

وقال أبو عُبادة البحترى :

وقد سألتُ فما أُعطيتُ مرغبةً ... وكان حقىَ أن أُعطى ولم أسل
أرمى بظنى ولا أعدو [6] الخطاءَ به ... فاعجبْ لاخطاءِ رامٍ من بنى أمل
أسيرُ إذ كنت فى طولِ المقام بها ... أكدى لعلىَ أجدى عند مُرتحلى
شرق وغرب فمهد العاهدين بما ... طالبت في ذملان الأينق الذمل

---

(١) فى الأغانى (صاعدا) . (٢) فى الأغانى (سيرى) . (٣) فى الأغانى (ومطلبى) . (٤) فى الأغانى (فى الحى) . (٥) روى هذا الحديث بألفاظ مختلفة وزيادات لأحمد والطبرانى والحاكم وغيرهم .

(٦) فى ديوان البحترى « فما أعدو » .

ولا تقل أُمم شتّى ولا فرق (١) فالأرض من تربة والناس من رجل

وقال بشار بن بُرد :

تخاف المنايا إذ ترحّل صاحبي كأنّ المنايا في المقام يناسبه

أخذه من قول الأعشى : « وكم من رد أهله لم يرم والأول أجود سبكا وأفصحُ لفظاً . وأخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد قال قال أبو الحسن كان خالد بن عبد الله القسري يُطعم الأعراب في حطمة أصابتهم في كل يوم يُطعم ثلاثين ألف انسان خبزاً وسويقاً وتمراً فقيل لأعرابي لو أتيت خالداً فانه يُطعم الأعراب فقال :

يقولُ ابنُ حجاج تجهزْ ولا تمت هُزالا بحرّان تعاوى كِلابها
فقد خبرَ الركبان أنّ جديده تباح ورغفانا شباعاً رِغابُها
وماء فرات ما اشتهيت وقربة تدبُّ دبيب النمل فيك شرابها
فأقسم لا أبتاعُ رُغفان خالد بأرواح نجدٍ ما أقام نرابُها
إذا باحت بالسرمتين وصارةٌ رياح الظرامى حينَ تندى رِطابها

وأخبرنا أبو أحمد قال حدثنا أبو بكر بن دُريد قال حدثنا الفضل بن محمد العلاف قال لما قدم يُغابيني نمير كنت كثيراً ما آتيهم فلا أعدم أن ألقى منهم الفصيح فجئت يوماً اليهم في عقب مطر فاذا شابٌ جميلٌ قد نهكه المرض فليس به حراكٌ وإذا هو ينشد :

ألا ياسنى برقٍ على قلل الحمى ليهنك من برقٍ علىّ كريم
لمعتَ اقتداء الطرفِ والقومُ هُجّع فهيجت أسقاماً وأنت سقيم
فهل من مُعير طرفَ عينٍ خلية فانسانُ طرف العامريّ كليم
رمى قلبَه البرقُ اليمانيُّ رميةً بذكر الحمى وهناً فباتَ يهيم

قال فقلت ان فيابك لشغلاً عن الشعر قال صدقت ولكن البرق أنطقني .

---

(١) في الأصل (شقق) .

قال عبد الله بن محمد الفقعسي :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بسلع ولم تغلق علي دروبُ
وهل أحدٌ بادٍ لنا وكأنه ... حصان امام المقربات جنيب
يحول[1] السراب الطلح بيني وبينه ... فيبدو لعيني تارةً ويغيب
فاني لأرعى النجمَ حتى كأنني ... على كلِّ نجم في السماء رقيبُ
وأشتاقُ للبرقِ اليماني إذا بدا ... وأزدادُ شوقاً إن تهبَّ جنوب

وله أيضاً :

ومنْ حاجتي لولا الحياءُ وأنني ... أرى الناسَ قد أغروا بعيب صبا الكهل
مسيري مع الفتيان في طلقِ الهوى ... أباري مطاياهم على سلسلٍ رسلِ
فلم يبقَ من تلك[2] اللذاذةِ عندهم ... وعندي غيرُ الذكر للعهدِ والأهل

وقال أعرابيٌّ :

أمغتربٌ أصبحتَ في رأمهرمزٍ ... ألا كلُّ كعبيٍّ هنالك غريبُ
إذا راحَ كعبٌ مصعداً انَّ قلبهُ ... مع الرائحينَ المصعدينَ جنيبُ
وانَّ الكثيبَ الفردَ من أيمن الحمى ... ليحلو بسمعي ذكرهُ ويطيبُ
تفوقتُ ذرات الصبا في ظلالهِ ... إلى أن أتاني بالفطام مشيبُ
إذا هبَّ علوى الرياحِ استمالني ... كانيَ لعلوى الرياحِ نسيبُ

ومما يجري مع ذلك قول الآخر :

إذا عقدَ القضاءُ عليك أمراً ... فليسَ يحلهُ غيرُ القضاءِ
فمالكَ قد أقمتَ بدارِ ذُلٍّ ... ودارُ العزِّ واسعةُ الفضاءِ
تبلغُ بالكفافِ فكلُّ شيءٍ ... من الدنيا يؤولُ إلى انقضاءِ

وقال امرؤ القيس :

وقد طوّفتُ في الآفاقِ حتى ... رضيتُ من السلامةِ بالاياب

---

(١) في الأصل (يحب) . (٢) في الأصل «ذاك» .

وقال البحترى :

وكانَ رجائى أن أؤوبَ مُمَـلَّكاً فصارَ رجائى أن أؤوب سليما

فصل فى مدح الاخوان

من أحسن التشبيه فى مدح الأخ ما[1] أنشدنى أبو على بن أبى حفص عن جعفر بن محمد :

أخٌ لى كأيام الحياة اخاؤهُ تلوّن ألواناً على خطوبها

إذا عبتُ منه خلةً فهجرتهُ دعتنى إليه خلةٌ لا أعيبُها

وقال البحترى :

قدمتَ فأقدمتَ الندى بحمل الرضا إلى كلّ غضبانٍ على الدّهرِ عاتبِ

وجئت كما جاء السحابُ[2] محرّكا بديك بأخلاف تنى بالسحائبِ

فعادتْ بك الأيامُ وهى كواكبٌ[3] جلا الدّهرُ منها عن خدود الكواعب

وما أنسَ لا أنسَ اجتذابك همّتى إليك وتزيينى بأعلى[4] المراتبِ

فياخيرَ مصحوب إذا أنا لم أقمْ بشكرك فاعلمْ أننى شرُّ صاحب

وكتب بعضهم : لست أذم من أيامنا إلا قصرها وطول الحسرة على أثرها .

وقريبٌ من المعنى الأول قول الآخر :

خليلٌ إذا ماجئتُ أبغيه حاجةً رجعت بما أبغى ووجهى بمائه

بلوت رجالاً بعده فى إخائهم فما ازددت إلا رغبة فى إخائه

وقال دعبل بن على :

أخٌ لى عاداه الزمانُ فأصبحتْ مذمّمة فيما لديه المطالبُ

متى متذوّقهُ التجاربُ صاحباً من الناس ردته اليك التجاربُ

وقال ابراهيم بن العباس :

---

(١) هما ساقطة من الأصل . (٢) فى ديوان البحترى (الربيع) .

(٣) فى الديوان هى الايام زهراً كأنها . (٤) فى الديوان (وتزييبى أخص المراتب) .

ومؤمل للنائبات إذا هبَّ الزمان باذره هبَّا
لما رآنى نهب حادثة جعل الذخائر دونها نهبا

وقال أيضا :

ولكنَّ الجوادَ أبا هشام وفيُّ العهد مأمونُ المغيب
بطيءُ العهد ما استغنيت عنهُ وطلاَّعٌ عليك مع الخطوب

والبيتُ الاخير يشير إلى قول جرير * وإنى لعف الفقر مشترك الغنى *

ونحوه قول إبراهيم أيضا :

أسدٌ ضارٍ إذا هيجتهُ وأبٌ برٌّ إذا ماقدرا
يعرفُ الأبعدُ إن أثرى ولا يعرفُ الأدنى إذا ما افتقرا

وقال أيضا :

ولكنَّ عبدَ الله لما حوى الغنى وصارَ له من بين اخوانه مالُ
رأى خلةً منهم تسدُّ بمالهِ فساهمهمْ حتى استوتْ بهمُ الحال

ونحوه قوله أيضاً :

بدا حينَ أثرَى باخوانهِ فقال عنهمْ شباه العدمْ
وذكره الحزمُ غِبَّ الأمور فبادرَ قبلَ انتقال النعمْ

ومما هو فى هذا السبيل ما كتب بعضهم : ماشخصتُ حتى شخص عقلى فصار عديلك واستقل ودى فأضحى زميلك ولا مطمع لى في مستقرهما حتى تستقر النوى بك وتحقق الأمانى فيك ولك . وقال أبو تمام :

ليالى نحنُ فى غفلات عيش[1] كأنَّ الدَّهرَ منها فى وثاقِ
وأياماً لنا وله لدانا عريناً[2] فى حواشيها الرِّقاقِ

وفى هذا الموضع أيضاً قوله :

---

(١) فى ديوان أبى تمام «سنبكى بعده غفلات عيش» . (٢) فى الأصل «ولهم»
(٣) فى الأصل «عريبا»

أأيامنا ما كنتِ إلا مواهباً ... وكنتِ بأسعافِ الحبيبِ حبائبا
ستغربُ تجديداً لعهدكِ في البكا ... فما كنتِ في الأيام إلا غرائبا

وقال في فضل الصديق على القريب :

رأيتُ بالودِّ عن القربى غنى ... وليسَ بالقربى عن الودِّ غنى
وصاحبُ الودِّ(١) حُسامٌ منتضى ... يزينُ في السلم ويكفي في الوغى

وقال أيضاً في قوله :

ليسَ حدُّ الحسام أكفى وأغنى ... من أخٍ ذي كفايةٍ وغناءِ
وأخُ المرءِ عصمةٌ في بلاءٍ ... بمقربهِ وزينةٌ في الرَّخاءِ

وقال شبيب بن البرصاء :

إذا المرءُ أغراهُ الصديقُ بدالهُ ... بأرضِ الأعادي بعضُ ألوانها الربد

ومن أجود ما قيل في الاغضاء عن الأخ قول النابغة :

ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تلمّهُ ... على شعثٍ أيُّ الرجالِ المهذبُ

وقال بشار بن برد :

إذا كنتَ في كلِّ الأمورِ معاتبا ... صديقكَ لم تلقَ الذي لا تعاتبه
فعشْ واحداً أو صِلْ أخاكَ فانهُ ... مُقارفُ ذنبٍ مرَّةً ومجانبه
إذا أنتَ لم تشرَبْ مراراً على القذى ... ظمئتَ وأيُّ الناسِ تصفو مشاربه

وقال آخر : إلبس أخاك على تصنُّعه ... فلربَّ مُفتضحٍ على النصِّ
ما ظلتُ أفحص عن أخي ثقة ... إلا ذممتُ عواقبَ الفحصِ

وقال آخر :

ومنْ ذا الذي ترضى سجاياهُ كلها ... كفى المرءَ نبلاً أن تُعدَّ معائبه

وكتب الصاحب في فصل : وتمثلت لي أخلاقك التي لولاها لم يسلس الما
ولم يرق الهواء ولم ترع الحقوقُ والذمم ولم يعرف المجد والكرم أخلاقٌ جددٌ غ

(١) في نسخة « الصدق » .

أخلاق لاتأخذ الأيام جدتها ولا تشهج الليالى بردتها .

ومن جيد ماقيل فى اظهار الرغبة فى الاخوان قول أبى فراس بن حمدان :

قل لاخواننا الجفاة رويداً ... إذ رجونا إلى احتمال الملال
ان ذاك الصدود من غير جرم ... لم يدع فيّ موضعاً للوصال
أحسنوا في وصالكم أو فسيئوا ... لا عدمناكم على كلّ حال

وقلت فى معناه :

كم قد منحتك حسناً ... وليس منك جزاءُ
نرى يضرّك أن لو ... يكون منك وفاءُ
لا تبلنا بصدود ... إنّ الصدودَ بلاءُ
بل مالنا منك بُدٌّ ... فاصنعْ بنا ماتشاءُ

وأنشدنا أبو أحمد :

اذكر أخانا تولى اللهُ صحبتهُ ... إنى وإن كنتُ لاألقاهُ ألقاهُ
اللهُ يعلمُ أنى لستُ أذكره ... وكيفَ يذكره من ليس ينساه

وقال الخريمي :

أخٌ لي كذوب الشهدِ طعمُ إخائه ... إذا اختلفتْ بيضُ الليالى وسودُها
كأمنيةِ الملهوفِ حزماً ونائلاً ... وعوناً على عمياءِ أمرٍ يكيدُها
له نِعمٌ عندى ضعفتُ بشكرها ... على أنهُ فى كلّ يوم يزيدُها
تحملَ عنى شكرها فأراحنى ... وللشكر مرقاةٌ كؤودٌ صعودها

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنى أبو إسحق الشطبي قال أنشدنا حماد الرّاوية[1] :

---

(١) هو حماد بن سابور بن المبارك ، كان عالماً بأيام العرب وأخبارها وأنسابها وأشعارها ولغاتها . ولد فى الكوفة وجال فى البادية ودخل الشام فحظى عند بنى أمية ، قال له الوليد الأموى : بم استحققت لقب الراوية ؟ قال بأنى أروى لكل شاعر تعرفه ياأمير المؤمنين أو سمعت به ، ثم لا ينشدنى أحد شعراً قديماً أو محدثاً إلا

تصفحتُ إخوانى بعينِ عنايةٍ فأصلحتُ منها كلَّ ما أفسدَ الدهرُ
وأرضاك عفو الشكر دونَ اجتهادهِ وفى دون ماأوليت ماالجتهد الشكر

ومن مليح ما قيل فى مدح الزمان :

رَقَّ الزَّمانُ لفاقتى ورثى لطولِ تحرُّقى
فأنالنى ما أشتهي وأراحَ مما أتقى
فلأُغفرنَّ له الكثيـــرَ من الذنوبِ الشُّنَّق
حتى جنايتهُ بما فعلَ المشيب بمفرقى

﴿ فى ذم الاخوان والرفقاء ومايجرى مع ذلك ﴾

من قديم ما يروى في ذلك قول لبيد بن ربيعة :

ذهبَ الذين يُعاشُ فى أكنافهمْ وبقيت فى خلفٍ كجلدِ الأجرب

وضمّنه جحظة البرمكى فقال :

قومٌ أحاولُ نيلهمْ فكأنّنى حاولتُ نتفَ الشعرِ من آنافهمْ
قمْ فاسقنيها بالكبيرِ وغنّنى ذَهبَ الذينَ يُعاشُ فى أكنافهمْ

وأنشدنا أبو القسم عن العُقدى عن أبى جعفر لأبى الشيص :

وصاحب كان لى وكنتُ له أشفق من والدٍ على ولدِ
كنا كساقٍ يمشى بها قدمٌ أو كذراعٍ نيطتْ إلى عضدِ
حتى إذا دانت الحوادثُ منْ خطوى وحلَّ الزمانُ من عقدى

ميزت القديم من المحدث ، قال فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال كثير ولكنى أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون الاسلام ، قال سأمتحنك فى هذا ، فأنشد حتى ضجر الوليد فوكل به من يثق بصدقه فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية ، وأخبر الوليد بذلك فأمر له بمائة ألف درهم ـ كما في الاغانى وغيره .

أحول غنى وكان ينظرُ منْ عينى ويرمى بساعدى ويدى
وكانَ لى مؤنساً وكنتُ له ليس بنا حاجةٌ الى أحدِ
حتى إذا استرفدتْ بدى يدَه كنت كمسترفدٍ يدَ الأسد

ومن جيد ماقيل فى ذى الوجهين :

تعاشرُنى ضحكاً كأنك ناصحٌ وعينك تُبدى أنَّ قلبك لى دوى
لسانك لى شهدٌ وقلبك علقمٌ وشرُّك مبسوطٌ وخيرك ملتوى
أراك إذا لم أهو شيئاً هويتَه ولستَ لما أهوى من الشىء بالهوى
عدوُّك يخشى صولتى إنْ لقيته وأنت عدوّي ليس ذاك بمستوى
وكم موطن لولاىَ طحتَ كما هوى باجرامه من قُلة النيقِ مُنهوى
كأنك ان قيل ابنُ عمك غانمٌ شج أو عميدٌ أو أخو مغلة جوى
بدا منك غشٌّ طالما قد كتمته كما كتمت داءَ ابنها أم مُدَّوِى

وقريبٌ من ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا الصولى قال أخبرنا أبو ذكوان عن الرياشى قال سمعت أبا عبيدة يقول دخل رجلٌ الكوفةَ فنزل بآل عُطارد فلم يضيفوه ورأى لهم أبنيةً عاليةً فقال ارتجالاً :

تناهوا برفع الدُّور حتى كأنها جبال وما شدى بخير شعابها
فليسوا بفتيان السماحة والنَّدَى ولكن فتيانا تسوَّى ثيابها
فقد أصبحتْ أضيافُ آلِ عُطاردٍ خِماصاً مطاياها خِفافاً عبابها

ومن ذلك قول الشاعر :

لعمرى لقد أعطيتَ بُرداً وحُلةً وعراك من ثوب السماحة سالبُه
فما يكُ من خيرٍ فما تستطيعه وما يك من شرٍّ فانك صاحبه

وقال يزيد المهلبى :

فاذا غنيت فكلهم لى خاتلٌ واذا افتقرت فكلهم لى جافى

وما أكثر أحدٌ فى ذم الزمان اكثار ابراهيم بن العباس فمن جيد قوله :

كم أخ كانَ منى فلما أن رأى الدَّهرَ جفانى جفانى
مُستعدٌّ لى بسهم فلما أن رأى الدَّهرَ رمانى رمانى

وقال غيره : إحذَرْ مودَّةَ ماذِقٍ شابَ المرارةَ بالحلاوَهْ
يُحصى العيوبَ عليك ايـــامَ الصـداقةِ للعـداوَهْ

وقال إبراهيم :

بلوتُ الزَّمانَ وأهـلَ الزَّمان وكلٌّ بلومٍ وذمٍّ حقيق
فأوحشنى من صديقِ الزمان وآنسنى بالعدوِّ الصديق

وقوله : أخٍ كنتُ آوى منهُ عندَ ادِّكارِه إلى ظلِّ آباءٍ من العزِّ باذخ
سعتْ نوَبُ الأيامِ بينى وبينه فأقلعنَ منا عن ظلوم وصارخ
وإنى وإعدادى لدهرى محمـداً كملتمس إطفاءَ نارٍ بنافخ

وقال بعضُ الجعفريين :

إنَّ الجديدينِ فى طول اختلافهما لا يفسدانِ ولـكن أفسد الناس
فلا يغرنك أضغانٌ مُزَمـنةٌ قد يُركبُ الدير الدامى بإحلاس

قالوا هو من قول زفر بن الحارث :

وقد ينبتُ المرعى على دِمَنِ الثرى وتبقى حزازاتُ النفوسِ كماهيا

قالوا يعنى الرجـل يظهر لك الود ويضمر خـلافه كالنبات الحسن ينبت على القـذر فيصير رائق الظاهر خبيث الباطن ، وقال آخرون : الدمنة حيثُ تنزلُ الابلُ فتدمن بالأبوال والأبعار فلا تنبت شيئاً فاذا طال عليه العهد وسفته الرياح وأصابته السماء نبت بعـد حين ؛ فيقول قد ينبت ذاك وهو مما لا ينبت ويتغير بالنبات وتبقى حزازات القلوب لا تتغير ، وهذا التفسير هو الصحيح لأن ألفاظ البيت تقتضيه والأول فاسدٌ لأنه ليس على مقتضاها .

وقال أبو فراس بن حمدان فى ذم الاخوان فأجاد :

تناسانى الأصحابُ إلا عُصيبة ستلحقُ بالأخرى غداً وتحولُ

فمن قبلُ كانَ الغدرُ في الناس سبةً ... وذم زمان واستلام خليل
وفارق عمرو بن الزبير شقيقه (١) ... وخلى أمير المؤمنين عقيلُ
ومن ذا الذى يبقى (٢) على الدهر إنهم ... وانْ كثرت دعواهمُ لقليلُ
وصرنا نرَى أنَّ المتاركَ محسنٌ ... وان خليلاً لايضرُّ وصولُ
أقلبُ طرفى لا أرى غير صاحبٍ ... يميلُ مع النعماءِ حيثُ تميل

وقلت : إلى كم تستمرُّ على الجفاء ... ولا ترعى حُقوقَ الاصدقاءِ
فمن لى أن أرَى لك مثلَ فعلى ... فنصبح في الوداد على استواءِ
ألا إنى لأعرفُ كلَّ شيء ... سوى خلقِ الرعايةِ والوفاءِ
عريتَ من الوفاءِ وليس بدعاً ... لأنك قد عريتَ من الحياءِ
فان ترجع إلى الحسنى وإلا ... فخيرُ سبيلنا تركُ اللقاءِ
وإن كانَ التقاربُ ليس يُجدى ... فما الاجداءُ إلا فى التنائى

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنى ابن لنكك البصرى لنفسه يذم الزمان :

يازماناً أنبسَ الاحـــرارَ ذلاً ومهانَهْ
لستَ عندى بزمانٍ إنما أنتَ زُمانَهْ

وقلت : زمانٌ كثوبِ القولِ فيه تلوُّنٌ ... فأوَّلهُ صفوٌ وآخرُهُ كدر

وقال آخر في خلاف ذلك :

أرى حُللاً تصانُ على رجال ... وأعراضاً تهانُ فلا تصانُ
يقولونَ الزَّمان به فسادٌ ... وهم فسدوا وما فسدَ الزَّمان

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا أبو بكر بن دريد :

مشى فوقه رجلاه والرأس تحته ... فكبَّ الأعالى بارتفاع الأسافلِ

وقال أبو السمر مومي بن سحيم :

متى ما تفكر فى الزَّمانِ وأهلهِ ... تقل لاعبٌ هذا وليسَ بلاعبِ

---

(١) فى ديوان أبى فراس « خليله ». (٢) في الديوان « وإن الذى يبقى » .

وأنشدنا الآخر أيضاً :

تبلدَ هذا الدَّهرفيما رَجوْته ... على انه فيما أحاذِره نَدب

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة لمحمد بن يعقوب بن داود :

لاتعجبنك عمامتي ... فالفقرُ من تحتِ العمامهْ

والفقرُ في زمنِ اللئا ... مِ لكلِّ ذى كرم علامه

وقلت فى قريب منه :

وليسَ ينفكُّ كشخانٌ يجاذبنا ... علامةُ الحرِّ أن يبلى بكشخان

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة البرمكى لنفسه :

ربِّ قد ضاقت النفو ... سُ وقد قلَّت الحِيلْ

فلكٌ لايدورُ إلا بما ... تشتهى السفلْ

وقال أبو تمام :

على أنها الأيامُ قد صرنَ كلها ... عجائب حتى ليسَ فيها عجائبُ

ومن عادةِ الأيام أنَّ سُروفَها ... إذا سرَّ منها جانبٌ ساء جانبُ

وقال قابوس بن وشمكير :

قلْ للذى بصروفِ الدَّهرِ عيَّرنا ... هل عاندَ الدَّهرُ إلا من له خطرُ

فانْ تكنْ نشبتْ أيدى الزمانِ بنا ... ومسَّنا من تمادى بُؤسهِ ضَررُ

ففى السماءِ نجومٌ غير ذى عدد[1] ... وليسَ يكسَفُ إلاالشمسُ والقمر

أما ترى البحرَ يعلو فوقه جيفٌ ... وتستقرُّ بأقصى قعره الدُّرَر

وقريبٌ من هذا ماقلته :

إن كنت تسلم من شغبِ الزمان ولا ... أعطى السلامة منه كلها شغبا

فالعاصفاتُ إذا مرَّتْ على شجرٍ ... حطمنه وتركن البقلَ والعشبا

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة البرمكى لنفسه في المعنى الأول :

---

(١) وفي رواية « لاعداد لها » .

يقولونَ زُرنا واقضِ واجبَ حقنا وقد أسقطتْ حالى حقوقهمُ عنى
إذا أبصروا حالى ولم يأنفوا لها ولا لهم منها أنفتُ لهم منّى

وأنشدنا أبو على بن أبى حفص قال أنشدنى أبوجعفر للعطوى [١] :

لىَ خمسونَ صديقاً بين قاضٍ وأمير
لبسوا الوفرَ فلم أخـلع بهمْ ثوبَ الفقير
كلهمْ كالَ لىَ الخر مانَ بالصاع الكبير

ومن ههنا أخذ ابن الرومى قوله :

سألتُ قفيزين من حنطة فجدتَ بكُرٍّ من المنع وافي

وقد تقدم . وقلت :

أليس صعباً أن ترى كاشحاً مالك بُدٌّ من مداراته
أصبحت في دار إساآته أعداد أنفاسى وساعاته

وأنشدنى عم أبى لأبى الأسد الدينورى [٢] :

ليسك أدَّبتنى بواحدة تقنعنى منك آخرَ الأبدِ
تحلفُ لى لاتبرُّنى [٣] أبداً فانّ فيها برداً على كبدى
اشف فؤادى منى فانّ به علىّ قرحاً [٤] نكأته بيدى
ان كانَ رزقى اليك فارم به فى ناظرى حيةٍ على رصدِ
فكيفَ أخطأت لاأصبت ولا نهضت من عشرة الى سدد

---

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بصرى المولد والمنشأ ، كان كاتباً شاعراً فى الدولة العباسية ، له فن من الشعر لم يسبق اليه ذهب فيه الى مذهب أهل الكلام ففارق جميع نظرائه وخف شعره وروى واستعمله الكتاب وجعلوه إماماً .

(٢) شاعر مطبوع من بنى شيبان متوسط الشعر من شعراء الدولة العباسية كان مداحاً هجاءً مليح النوادر . (٣) في الأغانى « تحلف أن لاتبرنى » .

(٤) فى الأغانى (منى جرحاً نكأته) .

لو كنت حُراً كما زعمت وقد ... كدتنى بالمطال لم أعد
لكننى عُدتُ ثم عُدت فان ... عدت إلى مثل هذه فعد
قد صرت من سوءِ ما بليت به ... أكنى أبا الكلب لا أبا الاسدِ

وقلت : العين تذرف والفؤاد يذوبُ ... والوجد يحضر والعزاء يغيبُ
ولقلة الكرماء أنت مُضيَّعٌ ... ولكثرة الجهالِ أنت غريب
تالله لم تخطئك أسباب الغنى ... إلا لأنك عاقلٌ وأديب
فاصبر فقد عزّاك عن درك الغنى ... أن ليسَ يدركه أغرُّ نجيبُ
عابوا قطوبى ان تعذرَ مطلبي ... أرأيتَ بدراً ليس فيه قطوب
وشحوب جسمى من مواصلة السرى ... هل من هلالٍ ليسَ فيهِ شحوب
ولقد يَدلُّ على كمال كرامتى ... أنى الى قلبِ الكريم حبيب
ولقد جلا حزنى وفرّج كربتى ... أنَّ النسيم لرؤيتى مكروب
لاتلمنَّ فمن ورائك طالبٌ ... ومن العجائبِ لاعبٌ مطلوب

وقال أبو تمام :

هبْ من له شيءٌ يريدُ حجابَهُ ... مابال لاشيء عليه حجابُ
مازالَ وسواسى لقلبي خادعا ... حتى رجا مطراً وليس سحاب
ما انْ سمعتُ ولا أراني سامعاً ... يوماً بصحراء عليها باب
ما كنت أدرى لادربت بأنه ... يجرى بأفنية البيوتِ سراب

﴿ فصل فيما قيل فى فضل الوعد ومدح الانجاز ﴾

أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الصولى قال حدثنا ابن زكريا عن ابن دينار قال حدثنا محمد بن عبيدالله العتبي قال كلم منصور بن زياد يحيى بن خالد بن برمك فى حاجة لرجل فقال عِده عنى قضاءها فقال وما يدعوك أعزك الله إلى العدة مع وجود القدرة ؟ فقال له يحيى هذا قول من لم يعرف موضع الصنائع من القلوب إن الحاجة اذ

لم يتقدمها موعد ينتظر به نجحها لم تتجاذب الأنفس بسرورها ولم تتلذذ بتناولها وإن الوعد تطعم والانجاز طعام . وليس من فاجأه طعام كمن وجد رائحته وتمطق له وتطعمه ثم طعمه فدع الحاجة تختم بالوعد ليكون لها عند المصطنع حسن موقع ولطف محل وحلاوة ذوق .

وأخبرنا أبو أحمد قال حدثنا الصولى قال حدثنا أحمد بن يزيد المهلبى قال أخبرنا البحترى عن خارجة بن مسلم بن الوليد عن أبيه قال سألت الفضل بن سهل حاجةً فقال أسوفك اليوم بالوعد وأحبوك غداً بالانجاز فانى سمعت يحيى بن خالد يقول المواعيد شباك الكرام يصطادون بها محامد الاخوان وان كان المعطي لايعد لارتفعت مفاخر انجاز المواعيد وبطل فضل صدق القول . وقال عيسى بن ماهان لجلسائه انى أحب أن أهب بلا وعد وأحب أن أعد لأخرج بالانجاز من جملة المخلفين وأدخل فى عداد الوافين وبؤثر عنى كرم المنجزين فان من سبق فعله وعده وصف بكرم فرد وسقط عنه جميع ماذكرت . وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى قال أخبرنى عون بن محمد قال ذكر العتابى المأمون فقال إنه ألقح معروفه عندى بالوعد ونتجه بالنجح وأرضعه بالزيادة وشيبه بالتمهد وهرمه باستتمامه من جهاته وهنأه بترك الامتنان به .

ومن عجيب ماجاء في الحث على الانجاز ماحدثنى به أبو أحمد عن الصولى عن يموت بن المزرع قال حدثنا عبد الصمد بن المعذل قال شكا رجلٌ جعفر بن يحيى الى أبيه بأنه وعده ومطله به . فوقّع : يابنى أنتم معاقل الاحرار ومظان المطالب ومعادن الشكوى فكونوا سواءً فى الأقوال والأفعال فان الحر يدخر وعد الحر ويعتقده وينفقه قبل ملكته فان أخفق أمله كان سبباً لذمه واتهامه وسوء ظنه حتى يوارى قبح ذلك وحسن تقيته فأنجز الوعد وإلا فقصر القول فانه أعذر والسلام .

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن يونس عن الحميدى عن سفيان قال سمعت الزهرى يقول : حقيق على من أزهر بالوعد أن يثمر بالفعل .

ومن جيد ما مدح به المنجز قول أبى تمام :

نؤمُّ أبا الحسين وكان قدما فتى أعمارُ موعده قصار
تحنُّ عدانه أثر التقاضى وتنتج مثل ماتنتج المشار

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن المغيرة بن محمد قال كلم المأمون فى الحسين ابن الضحاك الخليع أن يردَّ عليه رزقه فقال المأمون : أليس هو القائل فى الأمين :

فلا فرحَ المأمون بالملك بعدَه ولا زال فى الدُّنيا طريداً مشرَّدا

فما زالوا به حتى أذن له أن ينشده فأنشده :

أبن لى فانى قد ظمئتُ الى الوعدِ متى تُنجز الوعدَ المؤكد بالعهدِ
أعيذك من صَدِّ الملوك وقد ترَى تقطع أنفاسى عليك من الوجد
فما لى شفيعٌ عندَ حُسنك غيرهُ ولا سببٌ إلا التمسك بالودِّ
أيبخلُ فرد الحسنِ فردُ صفاتهِ علىّ وقد أفردته بهوى فرد

فاستحسن الناسُ هذا التشبيب فلما قال :

رأى اللهُ عبد الله خير عباده فما كهُ واللهُ أعلم بالعبد

قال هذه بتلك وقد عفونا عنك . فقال ياأمير المؤمنين فأتبع عفوك باحسانك فأمر بردّ أرزاقه عليه وكانت فى كل شهر خمسمائة دينار فقال المأمونُ لولا انى نويت العفو عنه وجعلت ذلك وعداً له من قبل مافعلته ، وانما ذكر العهد فى تشبيبه فذكرنيه . وماأحسن ماقاله بعضُ ملوك العجم : البخل بعد وعد يُضعف قبحه على البخل قبله فما قولك فى أمر البخل أحسن منه وأجمل .

﴿ ماقيل فى الضحك والبشر عند السؤال ﴾

أول من أتى بذلك زُهير فى قوله :

تراهُ إذا ماجئته مُتهلِّلاً كأنك مُعطيه الذى أنت سائله

ولو قال مكان « إذا ماجئتَهُ » « إذا ماسألته » لكان أجود .

ومن الجيد فى ذلك قول أبى نواس :

بشرهمُ قبلَ النوالِ اللاحقِ كالبرقِ يبدو قبل جودِ دافق
والغيثُ يخفى وقعهُ المرامق إن لم يجده بدليلِ البارق

وأخذ أبو تمام هذا فقال :

يستنزلُ الأمل البعيد ببشره بُشرى الخيلة بالغياث (١) المغدق
وكذا السحائبُ قلما تدعو الى معروفها الرُّوّاد مالم تبرق

وتبعه البحترى فقال :

كانت بشاشتك الأولى التى بدأت بالبشر ثم اقتبلنا بعدها النعما
كالمزنة استوفت أولى مخايلها ثمَّ استهلتْ بغزر تابعَ الديما

وقال أبو عبدالله القطربلى قلت للبحترى وقعت دون أبى تمام فى هذا المعنى فقال لعمرى ولكن سأرضيك فيه فقال فى أبى الصقر :

يوليك صدر اليوم قاصية الغنى بفوائد (٢) قد كنّ أمس مواعدا
سوم السحائب مابدأنَ بوارقا فى عارضٍ إلا تثنينَ رواعدا

والرعد لايكون إلا ومعه الغيثُ فكأنه قال إلاثنين مواطراً ثم ردّه فقال :

إنما البشرُ روضةٌ فاذا أعقب بذلاً فروضةٌ وغديرُ

وقال البحترى :

ملكٌ عندهُ على كلّ حال كرمٌ زائدٌ على التقدير
وكأنا من وعده وندا ه أبداً بين روضة وغدير

وقال : ضحكات في ثغرهنَّ العطايا وبروق السحاب قبل رُعوده

وله أيضاً :

مُتهلّلٌ طلقٌ إذا وعدَ الغنى بالبشر أنبع بشرَه بالنائل
كالمزن إن سطعتْ لوامعُ برقه أجلتْ لنا عن ديمة أو وابل

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا الصولى لنفسه :

---

(١) في ديوان أبى تمام (بالربيع). (٢) فى ديوان البحترى (بعوائد)

لست تلاقي سائلاً بردّ تعيد بشر سؤدد وتبدى
كالبرق يأتيك أمامَ الرَّعد بشرى الغيوث بجباب رغد
يلقى بك الطالبُ نجم السعدِ بلغت فى الاعمار أقصى المد

﴿ فصل فى تعمية الأشعار ﴾

عمّى عبد كان للاحول على أبى صالح محمد بن عبيد الله بيتاً غاط فيه ورسمه :

نظيف خفيف نظيف فايق نظيف مقبل بعلب نظيف
طريف مدل فايق نظيف فايق مقبل نظيف فايق
رشيق بدر معلب لمن نظيف مهذب معشوق نظيف

مهذب ملاحظ رشيق مغاضب نظيف . فأخرجه وكان البيت :

إذا قلتُ أسلو دامت العينُ بالبكا دماءً وحفتها مدامعُ حُفَّلُ

وكان الجواب الصادر :

ألا أيها الشخصُ الذى كان نزعة يحصّنهُ سترٌ من الله مسبلُ
لماذا هتكتَ الستر عنك تعمداً ولستَ بحمدِ اللهِ ممن يُجهَّلُ
رأيتك قد عميتَ بيتاً رسمتهُ بكلّ خطاءٍ فهو مثلك أحولُ
وكان لمتبول الفؤادِ معذبٌ أخى حسرة بالهجرِ والصدّ يُقتل
فقالَ وقد رامَ السلوَّ فلم يجد وبات كئيباً بالياً يتململ
إذا قلتُ أسلو دامت العينُ بالبكا دماءً وحفتها مدامعُ حُفَّلُ

وعمى حمزة الأصفهانى على أبى جعفر محمد بن أيوب بيتاً رسمه :

نرجس خيرى بنفسج حماحم شاهسفرم اقحوان نسرين
نسرين أقحوان نسرين مرزنجوش ورد ياسمين نسرين
زعفران نمام سوسن أفرنجمشك آس منثور مرزنجوش
بنفسج بلحية ياسمين مرزنجوش نسرين نمام منثور

خيري منشور اقحوان زعفران سيسنبر خزامي بنفسج مرزنجوش. فأخرجه وكان البيت:

كفى حزناً أنَّ الجوادَ مُقتَّرٌ عليهِ ولا مَعروفَ عند بخيل

فكان الجواب الصادر:

فِداك أبا يعلى أخٌ لك لم يَزَلْ يَعدُّك ذخراً عندَ كلِّ جابل

إلى أن قال:

فقالَ وقد جابَ البلادَ فلم يجد أخا ثروةٍ يسخى لهُ بفتيل

كفى حزناً أنَّ الجوادَ مُقترٌ عليهِ ولا معروفَ عندَ بخيل

ومن أحسن ماقيل فى هذا قول أبى سعيد الأصفهانى وقد عمى عليه زياد بن جعفر الهمدانى بيتاً فأخرجه وكان الجواب:

إذا العارضُ السحُّ بالويلِ جادا وأنزلَ غيثاً أغاثَ البلادا

وأسرجَ فيهِ وميضُ البروقِ مصابيحَ تزهرُ منه انقادا

ونجٍ[1] فما شكَّ ذو ناظرٍ رأى سيلهُ أنَّ فيهِ مزادا

فعمَّ بشربوبه سادتى وخصَّ بأغزرِ سقى زيادا

زياد بن جعفر المستجار لصرفِ الزَّمانِ إذا ماتعادى

فداؤك نفسى وإن سمتنى غناءً طويلاً حمانى الرُّقادا

أتتنى الطيورُ فباتزننى ببيتٍ تعمقتُ فيهِ عنادا

إلى أن تمكنتُ من صيدها وقد صدتها إذ عرفتُ المصادا

وقلتُ لها غرِّدى بالذى كتمتِ فأسرعنَ نحوى انقيادا

وأنشدتُ بيتاً مُعادَ الفصول ولستَ ترى فيه معنى مُعادا

ومن ذلَّ قلَّ ومن قلَّ ذلَّ ومن سادَ جادَ ومن جادَ سادا

أردتَ سقاطى فما نلتهُ فنلتُ المنى وبلغتُ المرادا

وأبقاك ربى بقاء النعيم عليك وملاك منه وزادا

---

(١) أى سال.

وكتب إلى أبي عبد الله جعفر بن القاسم الكرخي جواباً عن مُعمى :

دمعي على الخدّ سكبٌ ونارُ شوقي تشبُّ
وليس يبقى على ما يلقاه قلبي قلب
لله عهد الليالي إذ مورد العيش عذب
واذ شبابيَ لدْنٌ وغصنُ قدّي شطب
ياجعفر القوم ياءن يدعى اذا جلّ خطب
فداكَ عبدٌ مَشوقٌ الى لقائك صبُّ
أبعدتني وسواءٌ بعدٌ لديّ وقرب
أخلاط طيب أنتني منها يبيسٌ ورطب
قربتها نار طبع يدوم والنار تخبو
عودٌ ومسك ذكيٌّ وعنبرٌ مستحبُّ
أوردتها نار فكري ففاح شرقٌ وغرب
وهبَّ للفهم منها روائحٌ لا تهبُّ
فنلت بالشمّ منلم ينله عُجمٌ وعرب
بيتا كما اهتزّ روضٌ أو أكل الوشي عصب
شيبٌ وسنٌّ وجهل هذا لعمرك صعب
بجعفرٍ وأخيه نالَ الورى ما أحبوا
نفسي فداكم وما قد أهلَّ بالحج ركب
ذنبي انقطاعي اليكم ان عُدَّ للناس ذنب
فذاك للخلق كهف وذاك للمجد قطب
ليثٌ إذا عضَّ دهر غيثٌ إذا اشتدَّ جدب
لي منهما اليوم رأيٌ يُرى غداً وهو كسب

والتعمية أن تجعل مكان كل حرف من البيت اسماً على مثال ماتقدم فاذا

مضت الكلمة تدير دائرة على ذلك حتى تأتى على آخر البيت . ووجه استخراج المعمى أن تنظر الى الأسماء التى جعلت مكان الحرف فما تكرر منها وكثر في البيت فظن أنه للألف وربما لم يصدق هذا الظن ولكنه الأمر الأكثر فاطلب بعده اللامَ فانها تقع بعد الألف كثيراً وانظر الى ماطال في البيت من الكلمات فاذا رأيت الألف فى أولها فظن بالثانية أنها لام وربما تكرر ذلك في موضعين من البيت وثلاثة ، ومما يستدل به على معرفة اللام أيضا أن يقع بعد الاسم إذا ظننت أنه الألف حرفان على صورة واحدة في مثل اللبيب والليل والليث وفى قولك الله وما أشبه ذلك ، ومما يستدل به على معرفة اللام أيضا أن يقع فى البيت كلمة على حرفين وقد عرفت الألف واللام فتكون الكلمة تزداد يقيناً فى الألف واللام وإذا صحت لك الألف واللام رأيت فى البيت كلمة على حرفين والثانى منهما ألف فظن أنها « ما » أو « ذا » أو « يا » لأن ذلك أكثر ما يقع فاذا صحت الميم من (ما) ثم رأيت كلمة على حرفين فظن بها أنها (من) فان رأيت كلمة على حرفين وأولها ألف فظن بالثانى أنه نون أو واو أو ميم ، فاذا عرفت الألف فى أول كلمة ورأيت قبلها حرفاً فظن أنه واو أو فاء أو باء أو كاف فاذا عرفت الألف ورأيتها وقد وقعت آخر البيت فظن بالحرف الذى قبلها انه هاءٌ أو كاف لأن ذلك أكثر ما يقع فاذا تكررت لك هذه الحروف في البيت وقفت منه على أكثره ، ثم تعمد الى الحروف التى يقل تكرارها فى البيت فتنظر الى الكلمة الرباعية أو الخماسية فتظن أنها أبداً ان فيها أحد الحروف الستة اللام والراء والنون والفاء والتاء والميم لأنها لاتخلو من حرف منها أو حرفين . ولا ينفع مامثلناه من هذه الأمثلة إلا مع جودة القريحة وشدة الذكاء والفطنة ومع النشاط وصدق الشهوة .

وذكر بعض أهل العلم وأظنه أبا الحسن العروضى أنه عُمِّى له قول الشاعر :

وكن ذاكراً بيت النويغ إنهُ سيحلو على سمع اللبيب ويعذب

فكانت تعميته : زيد بكر عمرو سعد بدر بكر بدر سهل صقر فهد بدر شهر

عمروزيد صقرسهل رشد بدر عمرو حمدقصر عقر مكر شهر زيد بدر فخر شهر صقر قصر سلم فخر بدر شهر شهر سهل صقر سهل زيد صقرفخر سعد سهل صقر.

قال فأول ما استخرجت منه الألف لأنها أكثرماقيه من الحروف ثم عرفت بعدها اللام لأنهما واقعتان فى قوله (النويبغ) وفى قوله (اللبيب) فلما صحت الألف واللام رأيت اللام قد تكررفعلمت أنها لاتتكرر إلا فى مثل اللبيب واللطيف وكان أقربها فى ظنى اللبيب ، عمدت بعد ذلك إلى الكلمة الثالثة فرأيت الباء والياء فيهما وبقى الحرف الثالث فعرضته على الحروف فخرج لى بيت وبيد وبيش وبيض وبيع وبين فلم أجزم على شىء منها فتركتها موقوفة ثم قصدت إلى الكلمة السابعة فرأيت فيها اللام والباء فلم أشك أن الحرف الأول العين وأن الكلمة (على) ثم قصدت الكلمة الثامنة فرأيت العين فى آخرها فطابقت على هذا المثال ماآخره عين فجاءنى جمع ورجع ودمع وسمع فتركتها موقوفة ثم عمدت إلى الكلمة الأخيرة فرأيت فيها ما تبينته وعرفته الياء والعين والباء فعمدت إلى الياء والعين فوضعتهما مع سائر الحروف فخرج لى : يعنب ويعجب ويعذب ويعرب ويعطب وما شاكل ذلك فقابلت ماخرج من وجوه الكلمة الأخيرة على ما يقرب فى المعنى مع ادخال اللبيب بينهما فصح لى أن الثامنة (سمع) وأن الأخيرة يعذب وعلمت أن زيداً فى أول الكلمة الأخيرة واو فلما صح (على سمع اللبيب) لم أشك أن الكلمة السادسة (سيحلو) قدظهرت فيه السين والياء واللام والواو والألف فلما عرضت الكلمة مع سائر الحروف لم يطابق يعذب فى المعنى إلا يحلو فلما ظهر ذلك علمت بالمعنى والوزن جميعاً أن الذى ظهر من البيت يدل على أنه فى ذكر شىء فيه كناية في وسط البيت وأولها ألف والنون تليها كثيراً فأدى الوزن الى أن بعدها هاء وان الكلمة (إنه) فلما ظهرت النون وكنت قد عرفت الواو من الكلمة الأخيرة علمت أن أول كلمة فى البيت (وكن) بغير شك وان الثانية « ذاكراً » لأن الذال ظهرت فى يعذب والالف معروفة والكاف قد بانت من الكلمة الاولى والالف الثانى

معروفة بقيت الراء فلما عرضتها على سائر الحروف لم يجيء غير الراء ثم قصدت الى الكلمة الرابعة فلم أجد فيها حرفاً غير ظاهر قد عرفته إلا الغين فقط فلم أدر ماهو فلولا أن الوزن أدى اليه بعد طول تعب لم يكن يظهر فلما علمت أنها (النوبيغ) لم أشك أن الثالثة (بيت) وظهر البيت كله .

ومن المعمى بفامض الحساب قول ابن طباطبا :

ان رحت مافى يديه ماتماً وكنتُ أشكو اليهِ ضيقَ يدى
أحصيت ألوفا يسراهُ أربعة منقوصة سبعة من العدد

وفى هذا المعنى شيء كثيرٌ هذا أجود فاعرف ذلك . وقلت فى ضرب من المعمى:

وأصفرٌ تحمرُّ أطرافه يا حسنه منْ مطرف مُعلم
صدَّره الانسان في بيته وهو مُهانٌ ليسَ بالمكرم
والمرءُ قد يعلو على ظهره وهو سليم الدِّين لم يأثم
وهو على ما كان من ذلّة سُمِّى باسم الملك الأعظم

أعنى حصيراً والملك يُسمَّى حصيراً ، قال الشاعر :

ومقامه غاب الرِّقاب كأنهم جندٌ لدى باب الحصير قيام

وقلت: وميت لا يكاد المرء يدفنه إلا إذا عادَ حياً بعد ما ماتا
وميِّت غيبوا في الأرض جُثَّته عمداً لكى يجعلوا الأحياء أمواتا

الأول الذكر والثانى الفخ . ومن مليح المعمى ماأخبرنا به أبو أحمد قال حدثنا ابنُ عمار قال حدثنا يعقوب بن اسرائيل قال حدثنا عبد الحميد بن عقبة قال حدثنى أبو عثمان المازنى قال هجا أبو عيينة اسماعيل بن جعفر بن سليمان بشعر مُورَّى فلم يفهمه وكان كلما جاءه من يأنس به عرضه عليه حتى دخل رجلٌ فأقرأه إياه وهو قوله :

انى أحاجيك فاعلمنَّ فما لؤاؤةٌ منك قد ثقبناها
وكرمةٍ من أبيك منبتها حتى اذا أينعتْ قطفناها
تخبرنا ماهما وما سُبُلٌ تشعبت منك قد سلكناها

لم تمش فيها ريثاً ولا عجلاً ولم نطأها وقد وطئناها
فان تصبها فأنت ذو فطن وحاجتي أنْ تصيب معناها

فقال أيها الأمير انه كلام ردىء أكره أن أستقبلك به فقال هاته قال أما اللؤلؤة فالبنت وأما الكرمة من أبيك فالأخت وأما السُّبلُ التي تشعبت فالأم لم نطأها بالاقدام ووطئناها بالفعل. وقال الآخر يذكر دعوة يدعو بها على رجل:

وسارية لم تسر في الأرض تبتغي محلاً ولم يقطع بها البيدَ قاطعُ
سرت حيثُ لم تسر الركاب ولم تنخ لورد ولم يقصر لها القيد مانع
تكرّ وراءَ الليلِ والليلُ مظلمٌ إذا قرعَ الأبوابَ منهنّ قارعُ
اذا وفدت لم يردد اللهُ وفدها على أهلها واللهُ راءٍ وسامعُ
واني لأرجو اللهَ حتى كأنني أرى بجميلِ الظنّ ماللهُ صانعُ

﴿ أحسن ماقيل في تقبيل اليد ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن خالد عن أبي بكر بن محمد بن خلاد الباهلي عن محمد بن الفضل عن أبي الزناد عن عبد الرحمن عن ابن أبي ليلى عن عبد الله بن عمر قال كنت في غزوة في بعض مصالح رسول الله ﷺ فتلقانا العدو فخاص الناس حيصة [1] فكنت فيمن حاص ثم قلنا حين رجعنا إلى أنفسنا كيف ننظرُ في وجوه القوم وقد بوءنا بغضب من الله ثم قلنا نأتي المدينة فنبيت بها ثم نخرج فلا يرانا أحدٌ فلما أتينا المدينة قلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فأتيناه فلما خرج إلى الصلاة قلنا يارسول الله نحن الفرارون. قال « بلْ أنتم الكرّارونَ » فقبلنا يده قال ثم قلنا يارسول الله إنا هممنا بكذا فقال إنا فئة المسلمين ثم قرأ (إلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أوْ مُتَحَيِّزاً إلى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ الله).

وباسناد لنا أن ابن أبي ليلى قبل يد أبي مسلم فقال له رجلٌ أتقبل يد أبي مسلم؟ قال أوليس أبو عبيدة قبل يد عمر؟ قال أو تجعل أبا مسلم مثل عمر؟ قال أو تجعلني

(١) أي جالوا جولة يطلبون الفرار.

مثل أبي عبيدة . وحدثنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن زكريا عن محمد بن عبيد الله العتبي قال قبل رجلٌ يد المهدي فقال يد أمير المؤمنين أحق يد بتقبيل لعلوها في المكارم وطهارتها من المآثم وإنك ليوسفي العفو اسمعيلي الصدق شعبي الرفق فمن أرادك بريدة خوف أوسوء فجعله اللهُ طريد خوفك وحصيد سيفك .

ومن أجود ماقيل في ذلك من الشعر ما أنشدنا أبو أحمد عن الصولي لابراهيم بن العباس في الفضل بن سهل قال أنشدنا ثعلب وأبو ذكوان :

لفضلِ بنِ سهل يدٌ تقاصرَ عنها المثلْ
فبسطتها للغِنى وسطوتها للأجل
وباطنها للندَى وظاهرُها للقبل

فأخذه ابن الرومي فقال للقسم بن عبيد الله رحمه الله :

أصبحت بين خصاصة وتجمل والمرء بينهما يموتُ هزيلا
فامدد إليّ يداً تعوّد بطنها بذل النوال وظهرها التقبيلا

وقال أيضاً * له راحةٌ فيها الحطيم وزمزم * . وقلت :

فظاهرُها للناس ركنٌ مُقبَّلٌ وباطنها عينٌ من الجود عيلم
هو البحر لاعينٌ من الجود عيلمٌ عفاء على عين من الجود عيلم
يجلُّ عن تقبيلِ ظاهرِ كفه وباطنها عن أن تقاس بزمزم

ومما جاء في كراهة ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن الغلابي عن العتبي قال استأذن رجل هرون الجعدي في تقبيل يده فأبى وقال انها لمن العربي ذلة ومن العجمي خدعة فلا حاجة لي في أن تذل لي أو تخدع فاعفني من ذلك .

﴿ الحض على السلام ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن ابراهيم بن عبد الله النمري عن الضحاك بن مخلد عن ابن عجلان عن المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (إذا

جاء أحدكم المجلسَ فليسلمْ فانْ قام والقومُ جلوس فليسلم فانّ الأولى ليست بأحقّ من الآخرة) وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن ابراهيم بن فهد عن عبد الله بن رجاء عن سعيد بن سلمة عن أبى بكر عن نافع عن ابن عمر أن رجلا مرّ برسول الله ﷺ وهو يبرق الماء فسلم عليه الرجل فرد عليه فقال إنه ماحملنى على الرّد عليكَ إلا أنى خشيتُ أنْ تقولَ سلمتُ عليه فلم يَرُدَّ علىَّ فاذا رأيتنى هكذا فلا تسلمْ علىَّ فانك إن تفعل لا أردُّ عليكَ السلام » وعنه عليه السلام « تمامُ التحية أخذٌ باليد » وحدثنا أبو أحمد عن الصولى عن الغلابى عن العباس بن بكار عن المفضل الضبي عن جدته عن مكعب الأسدى قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

يقولُ أبو مُكعبٍ صادقاً عليك السلامُ أبا القاسم
سلام الاله وريحانهُ وروح المصلينَ والصائم

فقال رسول الله ﷺ « عليك السلامُ تحيَّةُ الموتى » قال المصنف تقول العرب للميت «عليك السلام» قال الشاعر :

عليك أبابشر سلامٌ ورحمةٌ وقد بنت منا كانا لك حامد
فلا يُبعدَنك اللهُ ميتاً فانما حياةُ الفتى سيراً الى الموتِ قاصدُ

وقال عبدة بن الطبيب :

عليك سلامُ الله قيس بن عاصم ورحمتهُ ماشاءَ أنْ يترحما

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن الغلابى عن ابن عائشة قال دخل الحسن بن الكنانى على عبد الله بن جعفر ذى الجناحين [1] فأنشده قوله فيه :

عليك السلامُ أبا جعفرٍ وسيد فهر لدى المحضر
فأنتَ المهذَّبُ من هاشم وخير قريشٍ إذا تذكر

---

(١) لقبه به النبى ﷺ لما قتل شهيداً في غزوة مؤتة وكانت قطعت فيها يداه وهما ممسكتان للراية فقال الرسول ﷺ « إنّ اللهَ تعالى قد أبدله بهما جناحين يطيرُ بهما فى الجنة حيثُ شاء » كما فى جنى الجنتين فى تمييز نوعى المثنيين للمحبي .

فقال له عبد الله أخطأت مرتين (عليك السلام) أكثر ما تستعمل هذه للاموات وقد أمكنك أن تقول * سلامٌ عليك أبا جعفر * ثم جعلت لى ما كان لرسول الله ﷺ ووصفتنى بصفته ، قل فاستمع البيت الذى سقت له ما سقت قال هاته فقال :

فهذى ثيابى قد أخلقتْ وقد عضَّنى زَمَنٌ منكر

فقال عبدالله هذى ثيابى لك بها ، ودعا بغيرها ودفعها اليه .

السلام على الكفار

حدثنا أبو أحمد عن الصولى عن الغلابى عن العباس بن بكار عن أبى بكر الهُذلى قال سلم نصرانىٌ على الشعبى فقال له الشعبى وعليك السلام ورحمة الله ، فقال له رجل سبحان الله تقول لهذا النصرانى ورحمة الله ! فقال الشعبى أليس في رحمة الله يعيش قال بلا قال فما وجه الانكار علىّ عافاك الله تعالى وإيانا برحمته .

رد السلام بالاشارة

حدثنا أبو أحمد عن الصولى عن العباس بن الفضل الاسفاطى عن ثابت عن عبد العزيز عن هشام بن سعد عن نافع عن عبد الله قال خرجنا مع رسول الله ﷺ الى البقيع فقام فصلى فجاءت الأنصارُ تسلم عليه قال فسألت بلالاً كيف كان يردُّ عليهم قال كان يشير اليهم بيده . وأنشدنا عنه عن محمد الأسدى عن أبى هنان عن أبى محلم لأبى طراد أسعد بن البكا البكرى :

مررنا فقلناها السلام عليكمُ فبلغها ضيق المحل غَيورُ

وما كنت أدرى أن في الطير ريبة ولا انّ رجعاً بالسلام يضير

ما جاء فى المصافحة

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن الأسفاطى عن يعقوب بن حُميد عن اسحق ابن ابراهيم بن سعيد عن صفوان بن سليم عن ابراهيم بن عبيد بن رفاعة عن ابن

أبي ليلى عن حذيفة قال قال النبي ﷺ « إذا لَقِيَ المؤمنُ المؤمنَ فصافحَ أحدُهما صاحبَه تناثرَتِ الخطايا بينهما كما يَتناثرُ وَرَقُ الشجرِ »

وقال الحسن : المصافحة تزيد المودة . وحدثنا عنه عن الغلابي عن ابن عائشة قال دخل سوار العنبري على المنصور فقال يا أمير المؤمنين على ما أحدث الناسُ اليوم أم على ما كان عليه الأوائل ؟ قال بل على ما كان عليه ، فدنا فصافحه .

وأخبرنا عنه قال سمعت ابراهيم بن المنذر يقول دخل الفقهاء على المتوكل ونحن وقوف بين يديه فاستدناهم فكلٌّ قبَّل يده إلا اسحق بن اسرائيل فانه قال يا أمير المؤمنين ما ينقصك أن أقبِّل يدك ـ ولم يُقبِّل يد المتوكل ـ وقد حدثني الفضل ابن عياض عن هشام بن حسّان عن الحسن قال المصافحةُ تزيد في المودة و سمى بها المؤمنين فبسط المتوكل يده فصافحه ، ووصله المتوكل بأكثر مما وصل به أصحابه .

وأنشدنا عنه عن أحمد بن إبراهيم الملازمي لبعض شعراء الشام :

تصافحت الأكفُّ وكان أشهى ... الينا لو تصافحت الخدودُ
نموت إذا التقى كفٌّ وكفٌّ ... فكيفَ إذا التقى جيدٌ وجيد

وقال آخر :

فصافحت من لاقيتُ في البيت غيرها ... وكلُّ الهوى مني لمنْ لم أصافح

وقال أبو العتاهية يهجو عبد الله بن معن بن زائدة :

أخت بني الشيبان مرَّتْ بنا ... مسوطةً كوراً على بغل
قد نقطت في كفها نقطةً ... مخافةَ العينِ من الكحل
لقيتُه يوماً فصافحتُه ... فقال دع كفي وخذ رجلي

﴿ حياك الله وبياك ﴾

معنى حياك الله سلام عليك ، والتحية أيضاً الملك فحياك الله على هذا التأويل ملكك الله ، والتحية البقاء ، وهو على هذا التأويل أبقاك الله ، قال الأصمعي بياك

أضحكك ، وقال على الأحمرى أرادوا بوّأك منزلاً فقال بياك للاتباع كما قالوا الغدايا والعشايا ، وقال ابن الاعرابى معناه قصدك بالتحية و بَيّت الشيء قصدته واعتمدته . وحدثنا عنه عن زياد بن خليل التُّستري عن ابراهيم بن بشار الرمادى عن سفيان عن محمد بن سوقة قال أتانا ميمون بن مهران فقلت له حياك الله فقال مه هذه تحية الشباب قل حياك الله بالسلام .

وحدثنا عنه عن المغيرة بن محمد عن إسحق الموصلى قال نزل الطماح العقيلى بقوم من بنى تميم فأحسنوا اليه فأراد الرحيل عنهم فقال :

حيّاكم اللهُ فانى مُنقلبْ ... بشكرِ إحسانكم كذا يجبْ
وإنما الشاعر كالكلب الكلب ... عِلكَ عند رغبٍ وان رهبْ
لايرعوى لمبغض ولا مُحبّ ... أكثر ماياتى على فيهِ الكذب

وأنشدنا عنه عن المبرد لعمارة :

حيّا الاله خيالها من دانِ ... لو كانَ زارَ زيارةَ اليقظان
لو كانَ عَرّجَ أو تمللَ ساعةً ... حتى نسائلهُ عن الأوطان
كفانِ شيدنا بناءَ مجامدٍ ... لمهذّب هشّ أخى إخوان
نلقى له دعة الكهولِ وحلمهم ... وتقاهمُ وحلاوةَ الفتيان

وأنشدنا عنه عن أحمد بن إبراهيم :

حيّاكَ من لم تكن ترجو تحيتهُ ... لولا الدراهمُ ما حياكَ إنسانُ

﴿ قولهم مرحباً ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن يزيد المبرد النحوى عن أبى عثمان المازنى قال لما أتى الرشيد الرقة تلقاه محمد بن ذؤيب العبانى فأنشده :

هرون يابن الأكرمينَ حسبا ... لما ترحّلتَ وكنتَ كثبا
من أرضِ بغدادَ تؤم المغربا ... طابتْ لنا ريحُ الجنوب والصبا

ونزلَ الغيثُ لنا حتى رَبا ما كانَ من نشرٍ وما تصوّبا
فمرحباً ومرحباً ومرحبا

فقال الرشيدُ وبك مرحباً وأهلا ، ووصله بصلة سنية . وحدثنا عنه عن عبيد الله بن عبد الله قال لما دخل أبو مضر أنشده سعيد بن الوليد المعروف بالبطين :

مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً بابن ذى الجودِ طاهرِ بن الحسينِ
مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً بابن ذى الغرّتينِ فى الدّولتينِ
مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً بابن ذى المحتدينِ فى المصرينِ
مرحباً مرحباً بمن كفُّهُ البحـــرُ إذا فاضَ مُزبد العبرينِ

فوصله وقدمه . وقديماً ما استعملوا مرحباً فى كلامهم ، (ومنه) قول طفيل الغنوى[1] :

وبالسهل ميمون النقيبةِ قوله لمن مس المعروفِ أهلٌ ومرحبُ

وأخبرنا عنه عن محمد بن العباس اليزيدى عن محمد بن الحسن الرزقى عن الحسين بن على العلوى المدينى عن بعض أصحابه عن المازنى قال كان اعرابى يلزمنا وكان فصيحاً فقال له على بن جعفر بن سليمان وكان جافياً لا يعطيه شيئاً إلا مرحباً فقال فيه الاعرابى :

وما مَرْحباً إلا كريح تنسمتْ إذا أنتَ لم تخلطْ نوالاً بمرحبِ

ومثل هذا قول جحظة البرمكى :

قائلٌ إن شدوتُ أحسنتَ زدنى وبأحسنتَ لا يباعُ دقيقُ

وأخبرنا عنه عن أبى العيناء قال استأذن رجل على الحسن بن سهل فقيل له من أنت قال رجل أمر له الأمير يوم كذا بعشرة آلاف درهم فأمر بادخاله فلما رآه قال مرحباً بمن توسل الينا بنا وشكر إحساننا الينا ، وأكرمه .

وأخبرنا عنه قال سمعت إبراهيم بن المدبر الكاتب الضبي يثنى على ابن الجهم فى

---

(١) هو طفيل بن عوف ، شاعر جاهلي من الفحول ، وهو أوصف العرب للخيل ، لذلك لقب بطفيل الخيل .

صداقته ومروءته فقال فى ذلك كنت واقفاً بين يدى المتوكل وقد جىء برأس إسحاق بن إسماعيل وجه به بغا ، فارتجل على بن الجهم شعراً وقال :

أهلاً وسهلاً بك من رسول ... جئتَ بما يشفى من الغليل
بجملة تغنى عن التفصيلِ ... برأس إسحقَ بن إسماعيل

ومر بأبيات فاستحسن ذلك المتوكل ووصله بصلة سنية ، قال وأنشدنى ثعلب:

فمالك نعمةٌ سافتْ الينا ... وكيفَ وأنتَ تبخلُ بالسلام
سوَى أن قلتَ لى أهلاً وسهلاً ... وكانت رَمية من غير رام

وقلتُ :تضنُّ بتسليم وزَوْرَةِ ساعةٍ ... فكيفَ يُرَجّى جودُ كفيك بالوفر

وأنشدنا عنه عن أبى موسى محمد بن موسى مولى بنى هاشم قال أنشدنى عبدالسلام ابن رغبان الحمصى المعروف بديك الجن لنفسه :

بأبى وإن قلتُ لهُ بأبى ... من ليسَ يعرفُ غيره أربى
قرطستُ عشراً فى مَوَدَّتِه ... لبلوغِ ما أمّلتُ من طلبي
ولقد أرانى لو مددتُ يدى ... شهرين أرمى الأرضَ لم أصب

أنشدنا عنه قال أنشدنا عبد الله بن المعتز لنفسه :

قلتُ يوماً لها وحرَّكتِ العو ... د بمضرابها فغنَّتْ وغنَّى
ليتنى كنتُ ظهرَ عودك يوماً ... فاذا ماأخذتِه صرتُ بطنا
فبكتْ ثم أعرضتْ ثم قالتْ ... من بهذا أنباك في النوم عنا
قلتُ لما رأيتُ ذلك منها ... بأبى ما عليك أن أتمنَّى

قال وسمعت محمد بن عبيد الله بن يحيى الوزير يقول دخل أبو العيناء إلى أبى فقال له كيف حالك فقال أبو العيناء أنت أعزك الله الحال فانظر كيف أنت لى . فوصله ووقّع له بأرزاقه . وحدثنا عنه عن عون بن محمد الكندى عن عبيد الله بن عمر قال قيل لرجل من قريش كيف حالك ؟ فقال كيف حالُ من يملك ببقائه ويسقم بصحته ويؤتى من مأمنه . ومثله :

ماحال من آفته بقاؤه نقصٌ عيشي كله فناؤه

وقال سعيد بن حميد :

لك عبدٌ فلو سألتَ به كيفَ حالهُ
ياقريباً مزارهُ وبعيداً نوالهُ
حاضراً لي صدوده حينَ يرجى وصاله
مسعدٌ لي مقاله فاتكٌ لي مطاله
محسنٌ في كلامه ومسيءٌ فعالهُ

ماجاء في أطال الله بقاك

أول من قاله عمر رضي الله عنه — روى عن رفاعة بن رافع قال شهدت نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم عمر وعثمان وعليٌّ وطلحة والزبير وسعدٌ يذكرون الموؤدة فاختلفوا فيها فقال عمر أنتم أصحاب رسول الله ﷺ تختلفون فكيف بمن بعدكم فقال عليٌّ عليه السلام إنها لاتكون موءودة حتى يأتي عليها الحالات السبع فقال له عمر صدقت أطال الله بقاك .

قال ابن هبيرة المعنى لا تكون موءودة حتى تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم لحماً ثم تظهر ثم تستهل فحينئذ إذا دُفنت فقد وُئدت وليس كما يقول بعض الناس إن المرأة إذا تداوت فأسقطت فقد وأدت . وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أحمد ابن يحيى عن عبد الله بن شبيب قال كتب إليّ بعض إخواني من البصرة إلى المدينة : أطال الله بقاك كما أطال جفاك وجعلني فداك إن كان فيّ فداؤك — شعر :

كتبت ولو قدرتُ هوًى وشوقاً اليك لكنتُ سطراً في الكتاب

قال الشيخ أبو هلال رحمه الله تعالى : والبيتُ لأبي تمام .

جعلت فداك

دخل الزبير على النبي ﷺ وهو عليلٌ فقال ما يعمدك جعلني الله فداك فقال

النبي ﷺ « يازُبيرُ أماتركَ أعرابيَّتكَ بعدُ » وحدثنا عنه عن يحيى بن علي عن أبي أيوب المدني عن إسحق قال حجبني خادمٌ لجعفر بن يحيى يُقال له نافذ فانقطعت عنه فسأل عني فعرفه سبب انقطاعي فقال قل له إن حجبك إنسانٌ فافعل به ـ لا يكنى ـ قال فجئت فحجبني فكتبت اليه ارتجالاً في الحال :

جُعلت فداءَك من كلِّ سوءٍ ... الى حُسنِ رأيك أشكو أُناسا
يحولونَ بيني وبينَ الدُّخولِ ... فما انْ أسلِّم إلا اختلاسا
وأنفذتُ أمرك في نافذٍ ... فما زاده ذاك إلا شماسا

فضحك لما قرأ الأبيات وأدخلني وقال أفهمت يا أبا إسحق فقلت بعض ذلك، وتقدم الى نافذ وغيره أن لا أحجبَ متى حضرت .

دعاء المكاتبة

حدثنا عنه عن أبي ذكوان قال سمعت إبراهيم بن العباس يقول ما أظن قول الكتاب : وقدّمني الله قبلك مأخوذ إلا من قول الأغر بن كامل في أخيه صقر :

أخي أنت في دينٍ ودُنيا كلاهما ... أُسَرُّ بأن تبقى سليماً وأفخرُ
إذا ما أتى يومٌ يفرِّقُ بيننا ... بموتٍ فكن أنت الذي يتأخر

فقيل له هذا يُروى لحاتم فقال وما على من لا يدري أن ينسب شيئاً إلى غير قائله . وأما قولهم (وأتم نعمته عليه وزاد في إحسانه إليه) فهو من قول عدي بن الرقاع :

صلّى الاله على امرىء ودّعته ... وأتمّ نعمته عليه وزادها

قالوا وأول من قال « وأسأله أن يُصلي على محمد » إسحق بن سليمان بن علي. وأنشد للسري في ضدّ قولهم مُتّ قبلك وان الحظ عنده أن يكون هو ومن يحبُّ يموتان في وقت واحد :

لا مُتُّ قبلك يا أخي لا باخلا ... بالنفس عنك ولا تمتّ قبلي
وبقيتَ لي وبقيتُ فيك مُمتّعاً ... بالبرّ والنعماء والفضل

حتى إذا قصد الحمامُ لنا ... من بعدِ عُمرٍ وارد الحبل
مُتنا جميعاً لا يُؤخَّرُ واحد ... عن واحدٍ لمرارةِ الثكل
وكفاك من نفسي شهيدٌ ناطقٌ ... ياصاحِ أنك عندها مِثلي

وفي نحو ذلك قول الآخر :

إني لأشفقُ أن أُؤخرها ... بعدي وأكره أن أقدّمها

وقال يعقوب بن الربيع :

فلو أنها إذْ حانَ وقتُ حِمامها ... أُحكِّمُ في أمري لشاطرتها عمري
فحلّ بنا المقدارُ في ساعة معاً ... فماتت ولا أدري ومتُّ ولا تدري

وقريب منه قول الآخر :

لامتَّ من قبلي ولا مُتُّ من ... قبلك بل عشنا الى الحشرِ
حتى نُوا في الموتَ في ساعةٍ ... لاأنتَ تدري بي ولا أدري

﴿ كيف أصبحت ﴾

حدثنا عنه عن أيوب بن سليمان بن داود المهلبي عن محمد بن عباد قال كان جرير ابن حازم يقول : العربُ تقولُ كيف أصبحتَ من نصف الليل إلى نصف النهار ، وكيف أمسيتَ من نصف الزوال إلى نصف الليل الأول ، وتقولُ في يومك كان الليلة كذا إلى الزوال فاذا زالت الشمس قلت البارحة ، هذا معروفٌ عندهم ، وحدثنا عنه عن الفضل بن الحُباب عن التنوخي قال العربُ تقول صبحتك الأنعمة بطيبات الأطعمة . وحدثنا عنه عن البلعي عن أبي حاتم عن الأصمعي قال قيل لأبي عمرو بن العلاء كيف أصبحت قال أصبحتُ كما قال الربيع بن ضبع الفزاري:

أصبحتُ لاأحملُ السلاحَ ولا ... أملكُ رأسَ البعير إن نفرا
والذئبُ أخشاهُ إن مررتُ بهِ ... وحدي وأخشى الرياحَ والمطرا

وحدثنا عنه عن أبي ذكوان عن التنوخي عن الفراء قال كنتُ عند الكسائي

فقال له رجل كيف أصبحت ؟ فقال أصبحتُ كما قال الصمة بن عبد الله بن طفيل القشيري [1] :

أصبحتُ مالى من عزّ ألوذ به ... إلا التعزّز بعد السيف والبدن
بعرَضية جانب الأدنون جانبها ... والأهلُ بالشام والاخوانُ باليمن

وأنشدنا عنه قال أنشدنا محمد بن يزيد المبرد النحوى قال أنشدنى المازنى عن أبى زيد :

كيف أصبحتَ كيف أمسيتَ مما ... يُنبتُ الوُدَّ في فؤادِ الكريم

وحدثنا عنه عن محمد بن الفضل بن الأسود عن عمر بن شبة عن الحسن ابن الضحاك الخليع قال كنت فى المسجد الجامع بالبصرة إذ دخل علينا أبو نواس وعليه جبة خز جديد فقلتُ له من أين لك هذه يا أبا على ؟ فلم يخبرنى فتوهمت أنه أخذها من مويس بن عمران لأنه دخل من باب بنى تميم فقمت فأجد مُويساً وقد لبس جُبة أخرى فقلت :

كيف أصبحتَ يا أبا عمرانِ ... يا كريمَ الاخاء والاخوانِ

فقال صبحك الله به وأسمعك خيراً. فقلتُ :

إنَّ لى حاجةً فرأيك فيها ... إننا فى قضائها سيّانِ

فقال هاتها على اسم الله تعالى فقلت :

جُبة من جبابك الخزّ حتى ... لا يرانى الثناءُ حيثُ يرانى

قال خذها ، ومد كمه فذرعتها وجئت فقال أبو نواس من أين لك هذه؟ قلت من حيثُ كانت لك تلك . وحدثنا عنه عن وكيع عن على بن عبد الله بن حمزة بن عتبة الليثي قال دخلت على محمد بن عبد الرحمن بن محمد المخزومى أعودُه فقلت له كيف أصبحت فقال كما قال الشاعرُ :

---

(١) شاعر إسلامي بدوى مقلّ ، من شعراء الدولة الأموية . وجده قرة بن هبيرة صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم .

إنَّ الليالى أسرعتْ فى نقضى أخذنَ بعضى وتركنَ بعضى
أقعدنى من بعد طول نهضى

وقيل لأعرابى كيف أصبحت ؟ فقال أصبحت والله كما قال الشاعر :

ياخيرُ إنى قد جعلتُ أشتمر أرفعُ من ثوبىَ ما كنت أُجرّ

وحدثنا عنه عن الفلابى عن محمد بن عبدالرحمن التيمى عن أبيه قال لقى بكر بن عبدالله المزنى أبا تميمة الهجيمى فقال كيف أصبحت أبا تميمة ؟ فقال أصبحت بين ذنوب قد سترها الله علىّ ما يقدر أحدٌ أن يعيرنى منها بذنب وبين محبة قد ألقاها اللهُ فى قلوب الناس لستُ لها بأهل وقد خفتُ أن أهلك بين هذين وأناضعيف الشكر . قال وقيل لقريبة الدبيرية كيف أصبحت ؟ فقالت :

بخير على أنَّ النوَى مطمئنةٌ بليلى وانَّ العينَ يجرى مَعينها

وقيل لأعرابى كيف أصبحت ؟ قال بخير أحتسب على الله بالحسنة ولا أحتسب على نفسى بالسيئة . وقال رجلٌ لأبى العيناء وقد كبر وضعف : كيف أصبحت ؟ فقال فى الداء الذى يتمناه الناس لأعدائهم .

وحدثنا عنه عن الفلابى عن ابراهيم عن عمر عن أبى عبيدة قال قيل للنمر بن تولب كيف أصبحت يا أبا ربيعة ؟ فقال ارتجالاً على البديه :

أصبحتُ لا يحملُ بعضى بعضا أشكو العروقَ النابيات نبضا
كما تشكى الأرجى الفرضا كأنما كان شبابى قرضا

وحدثنا عنه عن القاسم بن إسماعيل عن محمد بن سلام عن ابن داب قال قيل لمحارب بن دثار كيف أصبحت ؟ فقال أصبحت كما قال الشاعر الأعشى :

أرقتُ وما هذا السهادُ المؤرق ومالى من سقم ومالى تعشقُ
ولكنْ أرانى ما أزال بحادث أغادى بما لم يمس عندى وأطرقُ

وحدثنا عنه عن المقدمى عن أبى عمر بن خلاد قال قال الربيعُ الحاجبُ لأبى العتاهية كيف أصبحت فقال :

أصبحتُ والله فى مضيق هل من دليلٍ على الطريق
أفّ لدنيا تلاعبتْ بى تلاعبَ الموج بالغريق
أصبتُ فيها دُريهمات فبغضتنى إلى الصديق

وحدثنا عنه عن على بن الصباح عن بشر بن مسعود المازنى قال كان لسفيان بن عيينة جارٌ سيء الحال فحسنت حاله فقال له سفيان كيف أصبحت وكيف حالك لقد سُررتُ بما صِرتَ إليه بعد غم بما كنتَ فيه فدعا الرجل له ومضى ، فقال له بعض جلسائه كيف تكلم هذا؟ قال هو جارٌ قال إنه قد صار صراطاً لهؤلاء ، قال سفيان إن كان فى الناس أحدٌ طلب الدُّنيا من حيثُ يستحق فهذا . وحدثنا عنه عن المغيرة بن محمد المهلبي قال قدم أبو العتاهية البصرة إلى عيسى بن جعفر فأقام شهوراً ثم اعتل فقال :

أصبحتُ بالبصرة ذا غُربة أدفعُ من همّ إلى كربه
أطلبُ عُتبى من حبيب نأى وليسَ لى عُتبى ولا عُتبه

وحدثنا عمه عن المبرد قال قال الجماز لأبى العالية كيف أصبحتَ ؟ قال على غير مايحب اللهُ وغير ما أحب وغير مايحبُّ إبليس لأن الله تعالى يحب أن أطيعه ولا أعصيه ولست كذلك وإبليس يحب أن أعصى الله ولا أطيعه ولست كذلك وأنا أحب أن أكون على غاية الثروة والصحة ولست كذلك .

حدثنا عنه عن الحسن بن الحسين الازرق عن العباس بن محمد عن عمرو بن الحارث عن محمد بن سلام قال قال أبو حرائة وهو من بنى ربيعة بن حنظلة ليزيد بن المهلب : كيف أصبحت أصلح الله الأمير ؟ قال كما تحب يا أبا حُرائة قال لو كنت كذا لكنت قائماً مثلى وكنت أنا قاعداً فى مقعدك وكان قميص ابنى المرقوع على ابنك والتومتان اللتان فى أذن ابنك على ابنى . قال يزيد فالحمد لله الذى جعلك كذا وجعلنى كذا ، فقال إلا أنى فى ضيق أنتظر سعةً وأنت فى سعة تنتظر ضيقاً . وحدثنا عنه عن أبى الميناء عن العتبى قال قيل لأعرابى كيف

أصبحت قال أصبحت أعثر بالبسرة وأقيد بالشمرة وأفزع من النمرة . وحدثنا عنه عن الفلابى عن دماذ عن الهيثم بن عدى قال كان هرم بن سنان المزنى قد آلى على نفسه أن لايسلم عليه زهير إلا وهب له غرة من ماله فأشفق عليه زهير من ذلك وكان يمر بالمجالس وهرم فيهم فيقول أنعموا صباحاً غير هرم خيركم تركت ففخر عقبة بن كعب بن زهير بذلك في قوله :

إنى لاصرفُ نفسى وهى سادية ... عن مصعب ولقد بانت لىَ الطرق
رعوى عليه كما أرعو على هرم ... قبلى زهيرٌ وفينا ذلك الخلقُ
مدحُ الكرام وسعىٌ فى مـ ـرتهم ... ثم الغنى وبدُ الممدوح منطلقُ

ومثله قول حاجز الأزدى [1] :

وإنى لأستبقى إذا العسرُ مسنى ... بشاشةَ وجهى حينَ تبلى الطبائعُ
فأعفى ترى قومى ولو شئتُ نولوا ... إذا مانشكى الملحفُ المتضارع
مخافةَ أن أقلى إذا جئتُ زائراً ... وترجعنى نحوَ الرِّجالِ المطامع

ومن مليح ما قيل فى فديتك :

فدتك النفس وهى أقلُّ بذلٍ ... صلى حسن المقال بحسنِ فعلِ
أربنى منك فى أمرى نهوضاً ... يبين أن شغلك بى كشغلى

وأخبرنا عنه عن محمد بن خلف بن المرزبان قال اجتمع عندى أحمد بن أبى طاهر والناشى ومحمد بن عروس فدعوت لهم مغنية فجاءت ومعها رقيبة لم ير الناس أحسن منها قط فلما شربوا أخذ الناشى رقعة فكتب فيها :

فديتك لو أنهم أنصفوا ... لردُّوا النواظرَ عن ناظريك
تَردَّينَ أعيننا عن سواك ... وهل تنظرُ العينُ إلا اليك
ألا يقرؤا ويحهم مايرونَ ... من وحى حسنك فى وجنتيك
وقد جعلوك رقيباً علينا ... فمن ذا يكون رقيباً عليك

---

(١) هو حاجز بن عوف ، شاعر جاهلى مقلّ ، مشهور بالعدو .

قال فشغفنا بالابيات فقال ابن أبي طاهر أحسنت والله وأجملت قد والله حسدتك هذه الأبيات ووالله لاجلست وقام وخرج من ساعته ولم يعد الى الشرب بقية يومه .

﴿ ماجاء في الدعاء للخارج إلى السفر ﴾

أخبرنا عنه عن ابراهيم بن فهد الساجي عن نصر بن علي عن عبد الله بن داود عن مسعر عن ميسرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ودّع رسول الله ﷺ رجلا أراد سفراً فقال « أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك » وحدثنا عنه عن أبي علي العنابي قال رأيت أبا شراعة القيسي آخذاً بسفينة ابراهيم بن المدبر وقد عزل عن البصرة وهو يريد الخروج وأبو شراعة [1] ينشده :

ليت شعري أيّ قوم أجدبوا ... فأغيثوا بك من طول [2] العجف
نزل الرحب [3] من الله بهم ... وحرمناك لذنب قد سلف
انما أنت ربيع باكر ... حيثما صرّفه الله انصرف
يا أبا اسحق سر في دعة ... حيثما شئت [4] فما منك خلف

وأخبرنا عنه عن الغلابي عن الزبير قال ودع ابن المعافى صديقاً له أراد سفراً فأنشده عند وداعه :

خلف الله الذي خلفته ... ووقاك الله وعثاء السفر
إنني أشكر ما أوليتني ... لم يضع حسن بلاء من شكر
ردّك الله إلينا سالماً ... بعد غنم واغتباط وظفر

---

(١) هو أحمد بن محمد بن شراعة شاعر بصري من شعراء الدولة العباسية جيد الشعر جزله وكان فصيحاً يتعاطى الرسائل والخطب مع شعره .

(٢) رواية الأغاني « أي أرض أجدبت فأغيثت بك من جهد العجف » .

(٣) في الأغاني « الرحم » . (٤) في الأغاني « وامض مصحوبا » .

﴿ الدعاء للقادم من السفر ﴾

أنشدنا عنه لمحمد بن عبد الله الأخيطل :

أقدمْ قدمتَ قدوم عارضِ مُزنة ... يهتز بينَ أهابها الفضفاض
من كلّ مشيمة الرّياح نقيلة ... تمشي به مشيَ الوجى المنهاض
مُسودة مُبيضة فكأنها ... دُهمٌ مولوعة الشوى بياض

وقال ابن الرومي :

قدومُ سعادةٍ وقفولُ يمن ... هي السرّاء تمحقُ كلّ حزن
أظلتك السلامة ما تغنّت ... مُطوّقة على فنن تغنى

قوله (أظلتك السلامة) فى غاية الرشاقة وأحسن منه قوله : تمحق كل حزن .

﴿ الدعاء للمهزوم ﴾

حدثنا عنه عن الغلابى عن عبدالله بن الضحاك عن الهيثم بن عدى عن عوانة قال لما انهزم أسلم بن زُرعة الكلبي من مرداس بن أذينة بآسك[1] وكان فى ألفى رجل ، ومرداس الخارجي في أربعين رجلاً ، وفيهم يقول شاعرهم :

أألفا مؤمن[2] منكم زعمتم ... وبهزمكم بآسك أربعونا
كذبتم ليسَ ذاك كما زعمتم ... ولكنّ الخوارجَ مؤمنونا
هم الفئة القليلة قد علمتم[3] ... على الفئة الكثيرة ينصرونا

فدخل أسلم البصرة فقالت له امرأة من قومه والله لأن تعيش حميداً خيرٌ من أن تموت شهيداً ولأن تدوم عبادتك بحياتك أزلفُ لك من أن تنقطع بمماتك ،

---

(١) آسك : بلد من نواحى الأهواز قرب أرّجان .

(٢) فى معجم البلدان (أألفا مؤمن فيما زعمتم ويقتلكم) .

(٣) فى معجم البلدان (هم الفئة القليلة غير شكّ)

قال ودخل على ابن زياد فعنّفه واستعجزه فقال أيها الأمير كنت في ألفين جميعهم مثلي وقاتلت أربعين كل واحد منهم مثلي ويزيد عليّ ولأن يذمني الأمير حياً خيرٌ من أن يمدحني ميتاً . وحدثنا عنه عن القسم بن اسماعيل عن رفيع بن سلمة عن أبي عبيدة قال لما هزم أبو فديك أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بهجر قدم البصرة في ثلاثة أيام فدخل عليه الناس وفيهم صفوان بن عبد الله بن الأهتم المنقري أبو خالد بن صفوان والناسُ لا يدرون كيف يُدعى المهزوم حتى قال صفوان أم والله أيها الأمير لقد تعرّضت للشهادة جهدك وطلبتها طاقتك ووسعك فعلم الله فقرنا اليك وقلة عوضنا منك فاختار لنا عليك ببقائك ولم يختر لك علينا باستشهادك فالحمدلله الذي زيّن بك مصرنا وآنس ببقائك وحشنا وجلا بسلامتك غمّنا . فعلم الناس كيف يُدعى المهزوم فسلكوا هذا المسلك .

ومن أحسن الاعتذار للمهزوم قول فروة بن مُسيك المطيفي وأجاد :

فان نهزم فهزّامون[1] قدماً وان نهزم فغير مهزمينا
وما ان طبنا جبنٌ ولكنْ منايانا ودولة آخرينا

فقوله « ودولة آخرين » من أحسن الاعتذار الواقع من المهزوم .

الدعاء للمعزول

أنشدنا عنه عن عون بن محمد الكندي لأبي تمام الطائي :

ليهنك ان أصبحتَ مجتمعَ الشملِ وراعي المعالي والمحامي عن المجد
وانك صنتَ الأمرَ فيما وليتهُ . وفرّقتَ ما بينَ الغواية والرُّشدِ
فلا يحسب الأعداءُ عزلك مغنما فانّ إلى الاصدارِ ماغاية الورد
وما كنتَ إلا السيف جُرِّدَ للوغى وأخمد فيه ثم رُدَّ إلى الغمد

وأخبرنا عنه عن الحسين بن يحيى قال حدثنا إسحق قال عُزل هشام بن اسمعيل

(١) في الأغاني (فان نغلب فغلابون قدماً) .

المخزومى عن المدينة فاشتد العزل عليه فقال له عروةُ بنُ أذينة :

فان تكن الأمارة عنك زالت ... فانك للمغيرة والوليد
وقد مرَّ الذى أصبحتَ فيه ... على مروانَ ثمَّ على سعيد

وأخبرنا عنه قال دخلت يوماً مع أبى العباس محمد بن يزيد النحوى إلى عبد الله ابن الحسين القطربلى وقد صرف عن عمل فقال أقول لك ماقاله أبو عبادة البحترى :

شهدَ الخرجُ إذ توليتهُ أنـــك في جمعه الأمينُ الأعفُّ
حيثُ لا عندَ مجتبى منه إلظا ... ظ[1] ولا فى سياق جابيهِ عُنفُ
سيرةُ القصدِ لا الخشونةِ عنفٌ ... لتعدى المدى[2] ولا اللين ضعفُ
وعلى حالتيك يستصلحُ النا ... سُ[3] اباءً من جانبيك وعطفُ
ان يُولى تلك الطساسيج إلا ... خلف منك آخرَ الدهر خلفُ
إن تشكت رعيةٌ سوءَ قبضٍ ... بك أو أعقبَ الولايةَ صرفُ
فقديماً تداولَ العسرُ واليســـــرُ وكلٌّ قذى على الريح يطفو
يفسدُ الأمرُ ثم يصلحُ عن قرْ ... بٍ وللماءِ كدرةٌ ثم يصفو

ولما عُزل إبراهيم بن المدبر عن البصرة أنشده أبو صفوان الثقفى :

أبا إسحقَ إن تكن الليالى ... عطفنَ عليك بالعزلِ الأثيم
فلم أرَ صرفَ هذا الدهر يجرى ... بمكروهٍ على غيرِ الكريم

وقال أبو العتاهية فى محمد بن هشام السدرى :

لا يهنأ الأعداء عزل ابن هاشم ... فكلُّ مُولى قصرهُ الصرفُ والعزلُ
لقد كان ميمونَ الولايةِ قابضاً ... يَدَ الجورِ مبسوطاً به الحقُّ والعدلُ
يَرُومُ رجالٌ حطهُ وهو سابقٌ ... أبى اللهُ إلا أن يطولَ وأن يعلو

﴿ دعاء الأعياد ﴾

أخبرنا عنه عن جبلة بن محمد الكوفى عن أبيه قال قال ابن شبرمة لعيسى

---

(١) أى الحاح . (٢) فى الأصل « الندى » (٣) في ديوان البحترى « الأرض »

ابن موسى يوم أضحى : قبل الله منك الفرض والسنة واستقبل منك الخير والنعمة وقرن بالاقبال يومك .

﴿ ماقيل فى القيام للأجلاء ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى قال حدثنا محمد بن يزيد بن عبد الأكبر قال حضر بعض العرب مجلساً فجاء صديقٌ له فتلقاه من بعيد وقال :

لئن قمتُ مافى ذاك عندى غضاضةٌ ... علىَّ وإنى للشريف مُذلل
على أنه منى لغيرك ذِلةٌ ... ولكنه بينى وبينك يجمل

ومن مشهور ما قيل فى هذا المعنى :

فلما بصرنا به ماثلاً ... حلانا الحيى وابتدرنا القياما
فلا تنكرنَّ قيامى لهُ ... فان الكريمَ يجلُّ الكراما

وأنشدنا أبو أحمد عن الصولى عن يحيى البحترى لأبيه فى عبيد الله بن عبد الله من قصيدة طويلة :

ومُبجل وسطَ الرجالِ خُفوفهم ... لقيامه وقيامهم لقعوده
فالله يكلؤه لنا ويحوطُه ... ويُعزُّه ويزيدُ فى تأييده

وقال غيره :

أتعجبُ أن أقومَ إذا بدالى ... لأكرمهُ وأعظمهُ هشامُ
فلا تعجبْ لاسراعى إليه ... فانَّ لمثله خُلقَ القيامُ

وقال البحترى :

يقومونَ من بُعدٍ إذا بصروا به ... لأبلج موفور الكرامة[1] أروع
ويبتدرُ الراؤونَ منهُ إذا بدا ... سنى قمرٍ من سُدَّة الملكِ مَطلع
إذا سارَ كفَّ اللحظ عن كل منظر ... سواه وغضَّ السمعَ[2] عن كلِّ مسمع

---

(١) فى نسخة « الجلالة » . (٢) فى ديوان البحترى « الصوت » .

فلستَ ترى إلا إفاضة شاخصٍ إليهِ بعينٍ أو مشيراً بأصبع

﴿ ماقيل فى شعبان وشهر رمضان وشوال ﴾

فمنه قول الفرزدق وأجاد فى ذلك :

إذا ما مضى عشرونَ يوماً تحركت أراجيفُ بالشهرِ الذى أنا صائمه
وطارتْ رقاعٌ بالمواعيدِ بيننا لكىٌ يلتقى مظلومُ قومٍ وظالمه
فان شالَ شوّالٌ تُشل فى أكفنا كؤوسٌ تعادى العقلَ حينَ نسالمه

ومعانى هذه الأبيات كلها مبتكرة لم يسبق إليها الفرزدق .

وأنشدنا أبو أحمد عن الصولى عن الرياشى عن أبيه :

وقفنا فلولا اننا راضنا الهوى لهتكنا عندَ الرقيب نحيبُ
ومن دونِ مانلقاهُ من لوعةِ الهوى نُشقُّ جيوباً بل تُشَقُّ قلوبُ
على انَّ شوّالاً أشالَ بوصلنا ومرتعهُ للعاشقينَ خصيب

وأنشدنا أبو أحمد عن الصولى قال أنشدنا ابن بسام لنفسه :

سقيا لشهرِ الصوم من شهرِ عندى لهُ ماشاءَ من شُكرِ
كم من عزيزٍ فيهِ فُزنا به أنهضهُ الليلُ من الوكرِ
ومن إمامٍ كانَ لى وصلهُ إلى كحيلِ العينِ بالسحرِ
لو كانَ يدرى بالذى خلفهُ أعجلهُ ذاك عن الوترِ
وخلةٌ زارتك مُشتاقة فى ليلةِ القدرِ على قدرِ
فانصرفَ الناسُ بما أملوا وبُؤتَ بالآثامِ والوزرِ

وأنشد المُبرّد للحارثى :

شهرُ الصيام وإن عظّمت حرمتهُ شهرٌ طويلٌ بطىء السيرِ والحركه
يمشى الهوينا إذا ما رامَ فرقتنا كأنهُ بطةٌ تنجرُّ فى شبكه
لا يستقرُّ فأما حينَ يطلبنا فلا سُليكٌ بدانيهِ ولا سُلكه[1]

---

(١) من عدّائى العرب المشهورين .

كأنه طالبٌ ثأراً على فرس أجدّ في إثرِ مطلوبٍ على رمكه[1]
ياصدق من قالَ أيامٌ مباركةٌ إن كانَ يكنى عن اسم الطولِ بالبركه

وقال آخر :

مضى رمضانُ محموداً وأوفى علينا الفطرُ يقدمهُ السّرورُ
وفي مرّ الشهورِ لنا فناءٌ ونحنُ نحبُّ أن تفنى الشهورُ

وحدثنا أبو أحمد عن الصولى قال حدثنا الحسين بن يحيى قال كتب الحسين بن وهب إلى الحسن بن رجاء يوم شك وقد أفطر الواثق :

هَززْتَكَ للصبوح وقد نهانا أميرُ المؤمنينَ عن الصيام
وعندى من قِنان المصرِ عشرٌ تطيبُ بهنَّ دائرةُ المدام
فكنْ أنتَ الجوابَ فليسَ شيءٌ أحبَّ إلىَّ من حذفِ الكلام

وقال غيره :

أقول لصاحبيَّ وقد بدا لى هلالُ الفطر من تحتِ الغمام
سنسكرُ سكرةً شنعاءَ جهراً ونتمرُ في قفا شهرِ الصيام

وقال محمد بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله الجعفرى :

هل لك في صهباءَ مشمولةٍ ليست من الدبسِ الذى ينبذُ
فانَّ شعبانَ على طيبهِ درسٌ إذا فكرتَ لا ينفذُ

وقال أحمد بن يزيد :

ألا سقياني من معتّقةِ الخمرِ فلا عُذرَ لى في الصبرِ أكثرَ من شهر
وإنْ كنتما لم تعلما فتعلما بأنَّ زمانَ الصوم ليس من العمر

وحدثنا أبو أحمد عن الصولى قال حدثنا أبو الحسن محمد بن أبى الموج الرازى وقال حدثنى أبى قال كتب على بن جبلة الى أبى دلف يستسقيه نبيذاً في يوم عيد الفطر فوجّه اليه بما كفاه وبمائتى دينار فقال على بن جبلة :

---

(١) الرمكة : الفرس .

وأبيض عجلىٌّ رأيتُ عمامه وأسيافهُ تقضى على الحدثان
مَددتُ اليه ذمّتى فأجارها وأغنى يدى عن غيره ولسانى
شربتُ ورَوّيت النديمَ بماله وأدركت ثأرَ الراح من رمضان
وكانَ لشوّالٍ علىّ ضمانةٌ فكانت عطايا جوده بضمان

وحدثنا عن الصولى قال حدثنا أبو ذكوان القسم بن اسماعيل قال حدثنا التوزى عن أبى عبيدة قال أسلم اعرابى فى أول الاسلام فأدركه شهر رمضان فجاع وعطش فقال الاعرابى يذكر ذلك :

وجدنا دينكم سهلاً علينا شرائعهُ سوى شهرِ الصيام

﴿ فصل فى معان مختلفة ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن أبى بكر بن دريد عن عمه قال كانت عند رجل من بنى أسد ابنة عم له ورآها فدخل إليها يوماً وهى مُتغضبة فقال ماشأنك ؟ قالت إنك لا تشبب بى كما يشبب الرجال بنسائهم ، قال أفعل ثم أنشأ يقول :

تمتْ عُبيدةُ إلا في ملاحتها والحسنُ منها بحيثُ الشمسُ والقمرُ
ماخالفَ الظبيُ منها حينَ تُبصرها إلا سوالفهُ والجيدُ والنظر
قلْ للذى عابها من حاسد حَنق أقصر فرأسُ الذى قد عبتَ والحجر

وأنشدنا للعديل بن الفرج العجلى [1] :

هل تقضينّ لمستهام حاجةً نبطت إليك بها حبالُ رجائه
أفنى نجلدَهُ بقاءُ دموعه وأدامَ عبرتهُ فناءُ عزائه

وحدثنا أبو أحمد عن الصولى عن أحمد بن محمد الخراسانى قال كنت فى مجلس ابن ثوابة فناظره رجلٌ عن ضيعة له فاستقصى الحجة وأخذ بنفسه فقال ابن ثوابة

---

(١) شاعر مقلّ من شعراء الدولة الاموية وكان له ثمانية أخوة وأمهم جميعاً إمرأة من بنى شيبان .

يا مابون فوثب الرجل وهو يقول :

كلانا يرى الجوزاءَ يا جملِ إن بدت ونجم الثريا والمزارُ بعيدُ

فتحدث الناس بها مدةً . قال أبو بكر ويشبه هذا حديثاً حدثناه أبو الصباء قال خاصم يوماً جيلان القصى المقبول الزيادى فقال المقبول يادعي فأنشأ جيلان يقول :

بُثينةُ قالت يا جميلُ أربتني فقلت كلانا يا بثين مُريب

فبلغ هذا ابن عائشة التيمى فقال : جيلان في التمثل بهذا البيت في هذا الموضع أشعر من جميل قائله . أنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا أبو بكر بن دريد لنفسه يهجو بعض النحويين :

عِفظير إنا اختلفنا في الفعلِ من فاعلينِ
فقال قومٌ يثنى لجمعنا الهمزتين
وقال قومٌ يعدَّى بملتقى الساكنين
وأنتَ أعلم منا بذا وذاك وذين
لأنَّك الدهرَ فعلٌ يعتلُّ من جهتين

وأنشدنى عم أبى رحمه الله :

صحبتكم دهراً طويلاً لمسرتى أرجى نجاحاً والظنونُ فنون
فما نلتُ منكم طائلاً غيرَ انني تعلمتُ ذلَّ العيش كيفَ يكونُ

وأنشدنى أيضاً في مسجون :

لئن حجبتك الحجبُ عنا فربما رأينا جلابيبَ السحاب على الشمس

وأنشدنا أبو أحمد عن ابن المسيب عن ابن الرومي :

خيرُ مال موزونهُ لذوى الحمـــد كما خيرُ حمدهم موزونهْ
وأصحُّ[1] الآراءِ ما ظنَّ ذو الأفـــنِ بذى الرأيِ انهُ مأفونهْ

ومن ههنا أخذ المتنبي قوله :

وإذا أتتك مذمتى من ناقصٍ فهى الشهادةُ لى بأنى فاضلُ

---

(١) في الأصل «وأظن» وفى ديوان ابن الرومي المخطوط «وأصحّ» .

والمحلُّ انخلاءٌ من كلِّ ضيفٍ ومضيفٍ مُعطلٌ مسكونهْ
وأخسُّ الرجالِ من راحَ فيهمْ مُسلمَ العرضِ سالماً ماعونهُ
أنفقِ المالَ قبلَ انفاقكَ العمـــرَ ففي الدهرِ ربَّهُ ومنونهْ
لا تظنَّنَّ أنَّ مالكَ شيءٌ كقدم الجوفِ خيرهُ محقونهْ
قلما ينفعُ الثراءُ بخيلاً علقتْ في الثرى المهيلِ رهونهْ
كلْ وأطعمْ فربما راعَ ريعاً[1] زاكياً منْ تعولهُ وتمونهْ
وإذا ما ظننتَ شرّاً فخفهُ ربَّ شرٍّ يقينهُ مظنونهْ
كم ركونٍ جنى عليكَ حذاراً من أطالَ الركونَ قلَّ ركونهْ

وأنشدنا أبو أحمد عن ابن الأنباري عن أبيه :

يموتُ قومٌ فيحيي العلمُ ذكرَهمُ ويُلحقُ الجهلُ أحياءً بأمواتِ

ونحوه قول دعبل :

سأقضي ببيتٍ يحمدُ الناسُ أمرَهُ ويكثرُ من أهلِ الرِّوايةِ حامله
يموتُ رديءُ الشعرِ من قبلِ ربِّهِ وجيّدهُ يبقى وانْ ماتَ قائله

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي عثمان عن التوزي عن أبي عُبيدة عن خالد عن يونس : دخل الطرماحُ بن حكيم على خالد بن عبد الله القسري فقال له: أنشدني بعض شعرك فأنشده قوله :

وشينيَ أنْ لا أزالَ مُناهضاً بغيرِ غِنى أسمو بهِ وأبوعُ
وانَّ رجالَ المالِ أضحوا ومالهم لهم عندَ أبوابِ الملوكِ شفيع
أُمخترمي ريبُ المنونِ ولم أنلْ من المالِ ما أعصى بهِ وأطيع

فأمر له بعشرين ألفاً وقال له اعص بها الآن وأطع إذا شئت .

---

(١) في الأصل «فكل ماراع ريماً» والتصحيح من ديوان ابن الرومي المخطوط .

﴿ التفاضل بين الاخوان ﴾

أنشدنا أبو أحمد عن أبي بكر :

وبعضُ الأمرِ أصلحهُ ببعضٍ ... فانَّ الغثَّ يحملهُ السمينُ
ترى بينَ الرجالِ العينُ فضلا ... وفيما أضمروا الفضلُ المبينُ
كلونِ الماءِ مشتبهاً وليست ... تخبر عن مذاقتهِ العيونُ

﴿ الحث على موافقة الناس ﴾

من أحسن ماورد في ذلك قول الشاعر :

الناسُ ان وافقتهم عذبوا ... أولا فانَّ جناهمُ مُرُّ
كم منْ رياضٍ لانظيرَ لها ... تُركتْ لأنَّ طريقها وعرُ

وقلت : لما أدلَّ أمانى فلوته ... من ذا يدلُّ فلا يملُّ محبُّه
تاللهِ ما اتبعَ النبيُّ محمدٌ ... لو كانَ فظاً أو غليظاً قلبه

﴿ إغباب الزيارة ﴾

قال مسلم بن الوليد :

إنى كثرتُ عليهِ في زيارتهِ ... فلَّ والشيءُ مملولٌ إذا كثرا
قد رابنى منهُ أنى لا أزالُ أرى ... في عينهِ قصراً عنى إذا نظرا

وقال الكميتُ : * ولولم تغب شمس النهار لملَّت * فأخذه أبو تمام فقال :

فانى رأيتُ الشمسَ زيدتْ محبةً ... الى الناسِ اذ ليست عليهم بسرمدِ

ونقله آخر الى ذكر الغيث :

عليك باقلالِ (١) الزيارةِ إنها ... تكون متى دامت (٢) إلى الهجرِ مسلكا
فانى رأيتُ القطرَ (٣) يسأم دائبا (٤) ... ويُطلب بالأيدى (٥) إذا هو أمسكا

---

(١) وفى رواية « باغباب » (٢) وفي رواية (إذا كثرت كانت إلى) . (٣) فى رواية (الغيث) . (٤) فى الأصل (دائما) ؛ (٥) وفى رواية(ويسأل بالايدى) .

وقال آخر : وأغيبُ الزيارةَ لا ملالاً ولكنْ منْ مخافةِ الملالِ

وهذا كله من قول النبي ﷺ « زُرْ غِبّاً تَزْدَدْ حُبّاً »(١) .

وقلت : مازلتَ تلقاهُ فضاقَ صدْرُه وعادَ من بعدِ الوصالِ هجرُهُ

من أكثرِ الغشيانَ خسَّ قدْرُهُ لو كثرَ الياقوتُ هانَ أمرُه

ولم يعزَّ حُمرُهُ وصُفرُهُ ولا علا بين الأنامِ ذِكرُهُ

﴿ فى ذم العجائز قول الشاعر ﴾

رأيتُ البيضَ قد أعرضنَ عنى فمنْ لى أن تساعدَنى عجوزُ

كأنَّ مجامعَ اللحيينِ منها إذا حسرتْ عن اللحيينِ كوزُ

ومن المشهور قول الحرمازى :

لا تنكحنَّ عجوزاً إنْ دعيتَ لها واخلعْ ثيابكَ عنها ممعناً هربا

فان أتوكَ وقالوا إنها نصفٌ فانَّ أطيبَ نصفيها الذى ذهبا

وقال آخر : وماغرنى(٢) إلا خضابٌ بكفها وكحلٌ بعينيها وأثوابها الصفرُ

وجاءوا بها قبلَ المحاقِ بليلةٍ فكانَ محاقاً كلهُ ذلكَ الشهرُ

﴿ ما ورد فى فضل الحمام ﴾

قال السرى بن عبد الله الرفاء :

أسعيدُ هلْ لكَ في زيارةِ منزلٍ تثنى عليهِ جوارحُ الزُّوَّارِ

رحبٍ ترَى الجُدرانَ فيهِ ينابعاً(٣) وترَى السماءَ كثيرةَ الاقمارِ(٤)

ينضو حيىُّ الوجهِ ثوبَ حيائهِ فيهِ فيخطرُ كالحسامِ العارى

وترى على غدرانهِ(٥) بُهمَ الوغى يخطرنَ ما بينَ القنا الخطارِ

---

(١) رواه البزار وأبو نعيم والبيهقى فى الشعب وابن حبان فى صحيحه (٢) فى نسخة (وما راعنى) . (٣) فى ديوان السرى المخطوط . « رحب تلاقى الجدر منه ينابع » . (٤) فى الديوان (عليه كالأقمار) . (٥) فى الديوان « على جدرانه » .

سُلَّتْ سُيوفهمُ بغيرِ بوارقٍ وجرَتْ خُيولهمُ بغيرِ غبارِ

مع أبيات أخر غير مختارة الوصف. وقلت :

قُمْ بنا نَنزل في خَيْرِ دارِ وهيَ إن مَيَّزتَها شَرُّ دارِ
منزلٌ تخلعُ دينك فيه حينَ تأتيهِ خليعَ الازار
لانرَى فيهِ الشموس نهاراً ونرى الاقمار نصف النهار
وعلى حيطانهِ أسدُ حربٍ فوقَ امهارٍ وفوقَ مهار
شَهِدُوا الحربَ بأرْماحِ زورٍ وسيوفٍ نابياتِ الشفار
ونرَى الابدان حينَ أتته تكتسى الصحةَ وهى عوارى
يبنابيعَ كقضبانِ دُرٍّ تتكافا من وراء الجدار

وقال عبد الله بن المعتز فى ذم حمّام :

وحمّامُنا كالعجوز يشقى بها الواردُ
فبيتٌ لهُ مُنتنٌ وبيتٌ لهُ باردُ

ولقد أخذ هذا اللفظ بعينه بعض المحدثين وزاد فيه فقال :

وحمامنا هذه كالعجوز تلذُّ ويشقى بها الواردُ
فبيتٌ لها مُنتنٌ ضيقٌ وبيتٌ لها واسعٌ باردُ

ومن أجود ماقيل فى صفة الثّورة قول الآخر :

ومجرَّدٍ كالسيفِ أسلمَ نفسهُ لمجرِّدٍ يكسوهُ مالايُنسَجُ
ثوباً تمزِّقُهُ الأنامِلُ رقةً ويُذيبهُ الماءُ القَراحُ فيبهج
وكأنه لما التقى فى خَصرهِ نصفان ذاعاجٌ وذا فيروزجُ

الشطرنج ـ قلت فيه

اذا أُعفيت الصهبا ءُ من قدحٍ ومن شجِّ
وكانَ الكأسُ لايُجدى ومزجى الراحَ لا يزجى

وألفى اللاهوَ من يلفى وأرجى الشربَ من يرجى
لأيام أخاضتنا من الأحزانِ في لجّ
فمنها الجسمُ في نقصٍ ومنها القلبُ في وهج
فما أنفكّ في حرّ وإنْ أصبحتُ في ثلج
وما منْ شرّها ناجٍ وما منْ كيدها مُنجى
تمتعنا بمسموعٍ مليحِ النظم والنسج
ونتلو ذكرَ من نهوى على نردٍ وشطرنج
كأنا منهُ في هرج ولسنا منهُ في هرج
تمشّى الزنجُ للرُّوم وقامَ الرُّومُ للزنج
فما أحسنها بيضاً نمشّينَ إلى دعج
أقمنا بيننا حرباً بلا عجٍّ ولا ثجّ
شهدناها بلا طبلٍ ولا بوقٍ ولا صنج
وجئناها بلا سيفٍ ولا رُمحٍ ولا زج
ترى أفراسنا تعدو بلا لجم ولا سرج
مشى الفرزانُ مُعوجّاً لأمرٍ غيرِ مُعوجّ
ورُخٌّ ينتحي نهجاً فلا يعدو عن النهج
وفيلٌ ليسَ يحدوهُ يدا شلح ولا علج
وعند الشاةِ منصوبٌ لواءُ النصرِ والفلج
وحولي أوجهٌ غُرٌّ عليها سيمةُ السرج
إذا مادُوِّنَ الحسنُ تراهمْ أولَ الدّرج

﴿ ماورد فى النرد ﴾

وقال السرى بن عبد الله الرفاء :

ومحكمان على النفوسِ وربما لم يحكما فيهنَّ حُكماً عادلا

يلقاهما المرزوقُ سعداً طالعاً ويراهما المحرومُ سعداً آفلا
فاذا هما اصطحبا على كفِّ الفتى ضرّاه أو نفعاه نفعاً عاجلا

﴿ وأما القدح ﴾

فأجود ماقيل فيه قول ابن مقبل :

خُروجٌ من العمى إذا صكَّ صكةً بدا والعيونُ المستكفةُ تلمحُ
غدا وهو مجدولٌ وراحَ كأنَّهُ من المسِّ والتقليب بالكفِّ أوطحُ
إذا امتحنته من معدٍّ عصابةٌ غدا وبه قبل المفيضين مقدحُ

﴿ انتظار الفرج ﴾

أنشدنا أبو أحمد عن ابن دُريد :

إذا اشتملتْ على اليأسِ القلوبُ وضاقَ بما به الصدرُ الرَّحيبُ
وأوطنت المكارهُ واطمأنتْ وأرستْ في مطامنها الخطوبُ
أتاك على قنوطٍ منك غوثٌ يَمُنُّ به اللطيفُ المستجيبُ
وكلُّ الحادثاتِ إذا تناهتْ فمقرونٌ بها الفرجُ القريب

وقلت : لكلِّ مُلمةٍ فَرَجٌ قريبٌ كمثلِ الليلِ يتلوه الصباحُ
وإنَّ لكلِّ صالحةٍ فساداً كذاك لكلِّ فاسدةٍ صلاحُ
وللأيام أيدٍ باسطاتٌ وأفنيةٌ موسعةٌ فساحُ
وقد تأتي وأوجهها صباحٌ كما تأتي وأوجهها قباحُ
وللحالاتِ ضيقٌ واتساعٌ وللدُّنيا انفلاقٌ وانفتاحُ
فلا تجزعْ لها واصبرْ عليها فانَّ الصبرَ عُقباهُ النجاحُ
وكلُّ الحادثاتِ إذا تناهتْ فمقرونٌ بها الفرجُ المتاحُ

﴿ معنى آخر ﴾

قد ينفعُ الأدبُ الاحداثَ في مهلٍ وليسَ ينفعُ بعدَ الكبرةِ الأدبُ

إنّ الغصونَ إذا قوّمتها اعتدلتْ ولا يلينُ إذا قوّمتهُ الخشبُ

وأجود ما قيل في ازدحام المتحجمين على أبواب المفضلين البيت المشهور :

مَن أكثر الاحسانَ من فعلهِ وعَمّ بالفضلِ جميعَ الأنامْ
يَزْدَحمُ الناس على بابهِ والمشرَبُ العذبُ كثيرُ الزّحام

وقال أبو الهول :

إذا السماء أبتْ إلا محاذرَةً سحّتْ يد الفضل ياقوتاً وعقيانا
ترَى الرّفاق إلى أبوابهِ زمراً ورد القطا أقبلتْ مثنى ووحدانا

﴿ معنى آخر ﴾

ليسَ جودٌ أعطيتهُ بسؤال قد يهزّ السؤالُ غيرَ جوادِ
إنما الجودُ ما أتاك ابتداءً لم تذقْ فيهِ ذلةَ الترداد

﴿ ومن أجود التشبيهات فى المحجمة قول بعضهم ﴾

وخضراء لا من بنات الهذيل يُلفُّ بالسبر منقارها
كأنّ مشقّ عيونِ القطا إذا هنّ تومن آثارها

وقال أيضاً في الحجامة :

أما وأبيك لا أنساهُ تدمى مضاربُ سيفهِ البطلَ الكميا
وبَرقاً في أنامله إذا ما تألقَ فتّح الوردَ الجنيا
إذا ظمئتْ فراخُ أبيك يوماً سقاها من رقابِ الناس ريّا
وإن جرَحَ الأخادعَ مطمئناً كسا الوجناتِ ديباجاً بهيا
ولم أرَ مثلهُ يأتي عُقوقاً ويَدْعوهُ الورى براً تقيا

وقال آخر : أبوك أوهى النجادُ عاتقه كم من كميّ أدمى ومن بطلِ
يأخذنَ من مالهِ ومن دمهِ لم يمس من ثأرهِ على وجلِ

﴿ ومما قيل فى خطل الرأى قول الآخر ﴾

عُذرك عندى بك مبسوطُ والعتبُ عن مثلك محطوطُ
ليس بمسخوطٍ فعالُ امرىء كلُّ الذى يأتيه مسخوطُ

وقال آخر :

يا مَنْ يقاقله طنينُ ذبابِ ويغلُّ عزمتهُ صريرُ البابِ
ضربَ السرادقَ فى رُواقي بابهِ والدَّارُ تعجزُ عن مقيلِ ذبابِ
وأقامَ للبوابِ حاجبَ حاجبٍ أرأيتَ حاجبَ حاجبِ البوَّابِ

﴿ إفساد المعروف بالمن ﴾

قال بعضهم :

ألبانُ إبلِ نَعِمَّةَ بنِ مُساورٍ مادامَ يملكها عليَّ حرامُ
وطعام عمرو ابن أوفى مثله ما دامَ يسلك في البطونِ طعامُ
انَّ الذبابَ يسوغ في أحلاقهم زادٌ يمنُّ عليهم للئامُ
لعنَ الالهُ نَعِمَّةَ بنَ مُساورٍ لعناً يشنُّ عليهِ من قُدَّام

﴿ من يعيب غيره وهو معيب ﴾

من المشهور فى ذلك قول الشاعر :

أرَى كلَّ إنسانٍ يرى عيبَ غيرهِ ويعمى عن العيب الذى هو فيه
وما خيرُ من تخفى عليهِ عيوبُهُ ويبدو له العيبُ الذى لأخيه

ولأبى دلامة [1] فى معناه :

إذا الناسُ غطونى تغطيت عنهمُ وإن بحثوا عنى ففيهم مباحثُ

---

(١) هو زند بن الجون ، وأكثر الناس يصحف اسمه فيقول زبد ـ بالياء ـ وهو زيد بالنون . وهو كوفي ، نبغ فى أيام بنى العباس وانقطع الى أبى عباس والمنصور والمهدى فكانوا يصلونه .

وان حفروا بئرى حفرتُ بئارهم ليعلم قومٌ ماتضمّ النبائث[1]

﴿ معنى آخر ﴾

صديقك حينَ تستغنى كثيرٌ ومالك عندَ فقرك من صديق
فلا تغضبْ على أحد إذا ما طوَى عنكَ الزّيارةَ عند ضيق

فى مدح قوادة حاذقة :

تكادُ لو لم تك إنسيةً تجرى من الانسانِ مجرَى الدم
لا تعصم الحسناءُ من كيدها ولو ثوَتْ فى منزل الأعصم

وقول الآخر فى ذلك :

تُسهّلُ كلَّ ممتنع عسيرٍ وتأتى بالمرادِ على اقتصادِ
فلو كلفتها تحصيلَ طيفِ الـــخيالِ ضحى لزارَ بلا رُقادِ

وقريبٌ من ذلك قول الآخر :

مَن ذَمَّ إدريسَ فى قيادته فانى شاكرٌ لادريس
منّ بمستصعب فجاءَ بهِ أطوعَ من آدمٍ لابليس
وكانَ في سرعةِ المجىءِ بهِ آصف فى حملِ عرشِ بلقيس

﴿ معنى آخر ﴾

ماازددتُ فى أدبى حرفاً أُسرُّ بهِ إلا تزيّدتُ حرفاً تحتـه شوم
انّ المقدَّم في حـذقٍ بصنعتهِ أنى توجّـهَ منها فهو محروم

وقريب منه : ولربّما رُزِق الفتى بسكوته ولربما حُرِمَ الفتى ببيانه

ومن الجيّد فى ذلك قول الآخر :

إذا اجتمعت فى امرءَينِ صناعةٌ وأحببتَ أن تدرى الذى هو أحذق
فحيث يكون النقص فالمالُ واسعٌ وحيث يكون الحذق فالرّزق ضيق

(١) فى نسخة « النوابث » وفى الأغانى « ليعلم يوماً كيف تلك النبائث »

معنى آخر

إذا قلَّ مال المرء لانتْ قناته ... وهانَ على الأدنى فكيفَ الأباعد

ومثله قول الآخر : المرء يكرمُ للغنى ... ويهان للعدم العديم

وقال آخر : غضبان يعلم أن المالَ ساقَ له ... مالم يسقه له عِلمٌ ولا أدب

فمن يكنْ عن كرام الناس يسألني ... فأكرم الناسِ من كانت له نشب

وقال آخر : كفى حزناً أني أروح وأغتدي ... ومالي من مالٍ أصون به عرضي

وأكبر ما ألقى صديقي بمرحباً ... وذلك لا يغني الصديقَ ولا يرضي

وقال آخر في معناه :

أجلك قومٌ حين صرت الى الغنى ... وكلُّ غنيٍّ في القلوب جليل

وليس الغنى إلا غنى زيَّنَ الفتى ... عشيةَ يقرى أو غداةَ ينيل

ماورد في حظ الجاهل

فمن جملة ذلك قول الشاعر :

ومالبُّ اللبيب بغير حظٍّ ... بأغنى في المعيشة من فتيل

رأيت الحظَّ يستر كل عيب ... وهيهات الحظوظ من العقول

والعرب تقول إسم بجد أودع . وقال الحارث بن حلزة :

والعيش خيرٌ في ظلا ... ل النوك ممن عاش كدَّا

وقلت : لكلِّ حُرٍّ مبتلى ... يعيش في حال نكد

والنحسُ في طالعهِ ... أثبتُ من وصلٍ وتد

فكن رقيعاً ساقطاً ... تصدُرْ بحظٍّ وترِدْ

وكنْ رفيعاً ماجداً ... واصبرْ على مالم ترد

هيهاتَ أن يحظى الفتى ... بجدٍّ سعدٍ دونَ جد

وقال آخر : الجدُّ انهضُ بالفتى من عقله ... فانهضْ بجدٍّ في الحوادثِ أو ذر

وإذا تعسرتِ الأمورُ فارجها ... واستأنفِ الأمرَ الذي لم يعسر

ماأقربَ الأشياءَ حينَ يسوقها قَدَرٌ وأبعدها إذا لم يُقدر

﴿ الاستعانة بالجاهل فى وقت الحاجة ﴾

قال بعضهم: ولن يلبث الجهالُ أن يتهضموا أخا الحلم مالم يستعنْ بجهولِ

وقال الأحنف بن قيس:

وذى ضغنٍ أمتُّ القولَ منه بحلم واستمرّ على المقال
ومن يحلم وليسَ لهُ سفيهٌ يلاقِ المعضلاتِ من الرجال

وقال غيره: لابُدَّ للسيدِ من أرياحِ ومن عديدٍ يتقى بالرَّاح
ومن سفيهٍ دائم النباح

﴿ معنى آخر ﴾

وماالجودُ من فقرِ الرِّجالِ ولاالغنى ولكنهُ خيمُ النفوس وخيرُها
فنفسك أكرمْ عن أمورٍ كثيرةٍ فمالك نفسٌ بعدها تستعيرُها
وقد تخدعُ الدُّنيا فيمسى غنيها فقيراً ويغنى بعد بُؤس فقيرُها
وكم طامع فى حاجةٍ لاينالها وكم[1] آيسٍ منها أتاهُ بشيرها

﴿ الاقتداء بالقرين ﴾

أجودماقيل فيه قول رسول الله ﷺ «المَرْءُ على دِينِ خليله[2]»

ومن أقدم ماقيل فيه قول عدى بن زيد العبادى:

عن المرءِ لاتسألْ وأبصرْ قَرِينَهُ فانَّ القرينَ بالمقارنِ مُقتدى

---

(١) فى الأصل (ومن) . (٢) بقية الحديث «فلينظر أحدكم من يخالل» رواه أبو داود والترمذى وحسنه والبيهقى والقضاعى وغيرهم، قال الشاعر:

عن المرءِ لاتسألْ وسلْ عن قرينه فكلُّ قرينٍ بالمقارنِ يقتدى
فان كان ذا شرٍّ فجنبه سُرعةً وان كان ذا خيرٍ فقارنه تهتدى
اذا كنت فى قومٍ فصاحب خيارهم ولاتصحب الأردى فتردى مع الردى

وليس رصفه بالجيّد . وقال غيره :

ولا يسل الانسان إلا قرينهُ وإنْ لم يكونا من قبيلٍ ولا بلد

﴿ المأخوذ بذنب غيره ﴾

قال الشاعر فى ذلك :

جنى ابن عمك ذنباً فابتليتَ بهِ إنّ الفتى بابنِ عمّ السوءِ مأخوذ

ومن قديم ماقيل فى ذلك قول النابغة :

أحملتنى ذَنْبَ امرىء ونزكتهُ كذى العُرّ يكوى غيرهُ وهوراتع

وقال غيره : إنى وقتلى سُليكاً ثم أعقله كالثورِ يُضربُ لما عافتِ البقر

﴿ فى النهى عن الظلم قول الاول : ﴾

البغىُ يصرعُ أهله والظلم مرتعهُ وخيم

وقال النبى ﷺ « الظُّلْمُ ظُلماتٌ يومَ القيامة »(١) . وقال بعضهم :

ظُلمك من خُلقك مُستخرَجٌ والظلمُ مشتقٌ من الظُّلمة

وقلت فى عاملٍ سودر :

لو أنصفَ الظالمُ من نفسهِ لأنصفَ الظالمُ فى نفسه

إن كانَ لايرحمُ فى يومهِ لكانَ لايرحمُ فى أمسه

﴿ ماورد فى الجبن ﴾

وأفاتنا هجين بنى سُليم يُفدّى المُهر من حُبّ الاياب

فلولا اللهُ والمُهرُ المُفدّى لآبتَ وأنتَ غِربالُ الاهابِ

وقال آخر :

باتتْ تُشجّعنى هندٌ وقد علمتْ أن الشجاعةَ مقرونٌ بها العطبُ

---

(١) حديث متفق عليه عن ابن عمر مرفوعاً ؛ ورواه مسلم وغيره عن جابر بلفظ « إتّقُوا الظُّلْمَ فانّ الظُّلْمَ ظُلماتٌ يوم القيامة » .

ياهندُ لاوالذى حجَّ الحجيجُ لهُ ما يشتهى الموتَ عندى من له أدبُ

وقال آخر فى المعنى :

نجوتُ نجاءً لم يَرَ الناسُ مثله كأنّى عُقابٌ عندَ تيمن كاسرُ

وقال آخر :

يقولُ لىَ الأميرُ بغيرِ شكٍّ تقدَّمْ حينَ جدّ بنا المِراسُ
ومالى إن أطعتك من حياةٍ ومالى بعدَ هذا الرَّأسِ راس

﴿ ومن المضحكات قول الآخر ﴾

ألم ترنى وعمراً حينَ نغدو إلى الحاجاتِ ليس لنا نظيرُ
أسايرُه على يُمنَى يَديهِ وفيما بيننا رُجلٌ خريرُ

ومن المضحكات قول القاسانى في الجُبن والتطفيل :

أرَى فى النوم رُمحاً أوسِناناً فأسلحُ فى الفراشِ على مكانى
ولكنى المُبارزُ حينَ أدعى إلى أكل العصيدةِ والفرانى
وماعمرٌو هناك أشدّ منى ولا العبسىُّ عنترة الطعان
ولازيد الفوارسِ حينَ أدنو فألقى بالكلاكل والجران
ترانى عندها ليثاً نفيراً إذا ماالصطكّ منى المأضغان
أشُدُّ على الخبيصةِ لاأبالى بأىّ جنوبها وقعتْ بنانى
وكم طبق رَدَدْتُ وليسَ فيه من البقلِ المحصل حبتان

﴿ الخلق من الثياب ﴾

قال الحمدونى :

طالَ تردَادُهُ إلى الرَّفوحتى لو بعثناهُ وَحْدَهُ لتهدّى

وقال آخرُ : قال غسّالىَ لما جئته قولاً صحيحا
ياعزيزى أنا لا أغسلُ بالصابونِ ريحا

وأحسن من ذلك كله وأشهرُ قول الآخر :

يا ابن حربٍ كسوتنى طيلساناً ... ملَّ من صُحبةِ الزَّمان وصدَّا
إن تنحنحتُ فيه ينحز عيراً ... أو تحركتُ فيه ينقدُّ قدَّا

﴿ من أحب لبناته الموت ﴾

قال بعض الأعراب :

انى وإن سِيقَ إلىَّ المهرُ ... ألفٌ وعبدان وذودٌ عشرُ
أحبُّ أصهارى إلىَّ القبرُ

وقال عُبيدُ الله بن عبد الله بن طاهر :

لكلِّ أبى بنتٍ يُراعى شؤونها ... ثلاثةُ أصهارٍ إذا طُلبَ الصهرُ
فبعلٌ يُراعيها وخدرٌ يكنها ... وقبرٌ يُواريها وخيرُهما القبرُ

جعل القبر خير الثلاثة الأصهار فانه نعم الصهر فى الستر . كلام الملحدين لعنهم الله :

فمنهم ديك الجن عبد السلام بن رغبان الحمصى .

هى الدنيا وقد نعموا بأخرى ... وتسويفُ النفوس من السوافى
فان كذبوا أمنت وإن أصابوا ... فانَّ المبتلىك هو المُعافى
وأصدقُ ماأبثك ان قلبي ... بتصديقِ القيامةِ غير صافى

وقال ابن أبى البغل :

باحَ ضميرى بمُضْمرِ الأمرِ ... وذاك أنى أقولُ بالدهرِ
وليسَ بعد المماتِ حادثةٌ ... وإنما الموتُ بيضةُ العقرِ

وقال آخرُ :ياناظراً فى الدين ماالأمر ... لاقدرٌ صحَّ ولا جبرُ
ماصح عندى من جميع الورى ... يُذكرُ إلا الموتُ والقبر

قبحهم الله لقد أعظموا القول ولم يتفوهوا إلا بالفضيحة فى الدنيا والاثم فى الآخرة . وانما أورد مثل هذا لتعرف أهله ولأن تسمية الكتاب توجبه . ونحوه

يل ابن الرومي وأجاد :

أيارب إن سوّيتَ بيني وبينهُ لما كانَ عدلاً أن نكونَ سواءً
فكيفَ وقد أعليتَهُ وخفضتني فكنتُ له أرضاً وكانَ سماءً

﴿ فصل آخر ﴾

كتب أبو الشيص إلى رجل كان وعده مخدّة فأبطأت عليه :

ياصديقي وأخي في كلّ مايعرو ورشدّه
ليتَ شعري هلْ زَرَعتمْ بذرَ كتانِ المخدّه

وأخبرني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر قال أهدى بعض العمال إلى دعبل بن علي الخزاعي برذوناً زمناً فرده وكتب اليه :

وأهديتهُ زَمِناً فانيا فلا للرُّكوبِ ولا للثمنْ
حملتَ على زَمنٍ شاعراً فسوفَ يكافي بشعرٍ زمن
أبا الفضل ذمّاً وغرماً معاً فما كنتَ ترجو بهذا الغبن

ووعد رجل دعبلاً نعلاً يهديها اليه عند قدومه من الحج فأبطأت عليه فقال دعبل الخزاعي :

وعدتَ النعلَ ثمّ صدَفتَ عنها كأنكَ تشتهي شتماً وقذفا
فانْ لم تُهدِ لي نعلاً فكنها إذا أعجمتَ بعد النونِ حرفا

وأخبرني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر قال كتب إليّ أبو علي البصير يستهديني بخوراً كنتُ أهديتُ منه إلى بعض إخواني ، والأبيات :

ياشقيقي وياخليلي إباءً المرجّى لكلّ خيرٍ وميرِ
أنتَ من أطيبِ الأنام بخوراً غيرَ أني شممتهُ عندَ غيري
وهو جمٌّ لديكَ فابعثْ بدرجٍ منهُ إن لم أكنْ أعدّيتُ طوري

فكتبتُ اليه :

قد بعثنا اليكَ منهُ بدرجٍ وأزرناكَ منهُ أطيبَ زورِ

بين ندٍّ وبين عودٍ مطرٍّ ماله مشبهٌ بنجدٍ وغورِ
أنتَ منه أزكى وأطيب عرفاً وهو أزكى من كل طيبٍ ونورِ
ما تعدَّيتَ فيه طورَكَ عندى فتبخر منهُ بأيمنِ طيرِ

وحدثنى أبو أحمد عن أبيه عن أحمد قال حدثنى أبو دعامة الشاعرُ قال كتب العتابى إلى مالك بن طوق يستزيده ويستهديه ويدعوه إلى صلة الرحم والقرابة بينه وبينه وكان مما كتب : إن قرابتك من قرب منك خيره وإن ابن عمك من عمَّ نفعه وإن عشيرتك من أحسن معاشرتك وإن أحب الناس اليك أجداهم بالمنفعة عليك وإن أهداهم إلى مودتك من أهدى اليك ، ولذلك أقولُ :

ولقد بلوتُ الناسَ ثمَّ سبرتهم ووصلتُ ما قطعوا من الأسباب
فاذا القرابةُ لا تُقرِّبُ قاطعاً وإذا المودَّةُ أقربُ الانسابِ

قال أبو هلال رحمه الله : هذا آخر ما رأينا تضمينه هذا الكتاب وبالله التوفيق والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه آمين .

﴿ فهرس الجزء الثاني من ديوان المعاني ﴾

الصفحة

٣ الباب السابع : فى صفة السحاب والمطر والبرق والرعد وذكر المياه والرياض والنبات والأشجار والرياحين والثمار والنسيم .

٣ الفصل الأول : فى صفة السحاب والمطر والبرق والرعد والمياه ---

١٢ الفصل الثانى : فى ذكر الرياض والأنوار والبساتين والثمار وما يجرى مع ذلك .

٤٦ الفصل الثالث : فى ذكر النسيم .

٤٩ الباب الثامن : فى صفات الحرب والسلاح والطعن والضرب ، وما يجرى مع ذلك .

٧٤ الباب التاسع : فى صفة الخط والقلم والدواة والقرطاس وذكر البلاغة ، وما يجرى مع ذلك .

٧٤ الفصل الأول : فى ذكر الخط والقلم والدواة والقرطاس ، وما يسلك مع ذلك .

٨٧ الفصل الثانى : فى ذكر البلاغة .

٩٢ من كلام الفلاسفة وما يقاربه من شعر ونثر الأدباء .

٩٤ محاسن كلام العرب والاعراب والخطباء والكتاب .

٩٧ أمثلة فى البلاغة الكتابية .

٩٩ ومن جيد الأدعية .

١٠١ المديح عند الكتاب نثراً .

١٠٣ الذم والتهجين نثراً ، كلمات فى الشكر مأثورة عن البلغاء .

١٠٦ الباب العاشر : فى صفات الخيل والابل والسير والفلوات وذكر الوحوش والطيور والحشرات ، وما يجرى مع ذلك .

١٠٦ الفصل الأول : فى صفات الخيل .

١١٨ الفصل الثانى : فى ذكر الابل وسيرها ، وما يجرى مع ذلك من وصف أحوالها .

١٢٨ الفصل الثالث : فى ذكر الفلوات والظلال والسير والنعاس وما يجرى مع ذلك .

١٣١ الفصل الرابع :في ذكر الوحوش والسباع والكلاب والصيد وما يجرى مع ذلك .
١٣٥ الفصل الخامس : فى ذكر الطيور .
١٤٣ الفصل السادس : فى ذكر بقية الحيوان من السنور والقنفذ والفأرة والحية والعقرب والحرباء والضب والبق والبراغيث ، وما يجرى مع ذلك .
١٥٢ الباب الحادى عشر : فى صفة الشباب والشيب والخضاب والعلل والموت والمراثى والزهد ، وما يجرى مع ذلك .
١٥٢ الفصل الأول : فى الشباب والشيب والخضاب ، وما يتصل بها .
١٦٥ الفصل الثانى : فى ذكر العلل والأمراض والمراثى والتعازى والزهد .
١٨٦ الباب الثانى عشر : فى صفة أشياء مختلفة يختم بها ديوان المعانى .
١٨٦ القول فى الحنين إلى الأوطان .
١٩٤ فصل فى مدح الاخوان .
١٩٨ فى ذم الاخوان والرفقاء . وما يجرى مع ذلك .
٢٠٤ فصل فيما قيل فى فضل الوعد ومدح الانجاز .
٢٠٦ ماقيل فى الضحك والبشر عند السؤال .
٢٠٨ فصل فى تعمية الأشعار .
٢١٤ أحسن ماقيل فى تقبيل اليد .
٢١٥ الحض على السلام .
٢١٧ السلام على الكفار ، رد السلام على الكفار ، ماجاء فى المصافحة .
٢١٨ قولهم : حياك الله وبياك .
٢١٩ قولهم مرحباً .
٢٢٢ ماجاء فى : أطال الله بقاءك ـ جعلت فداك .
٢٢٣ دعاء المكاتبة .
٢٢٤ قولهم : كيف أصبحت .
٢٢٩ ماجاء فى الدعاء للخارج إلى السفر .

٢٣٠ الدعاء للقادم من السفر . الدعاء للهزوم .
٢٣١ الدعاء للعزول .
٢٣٢ دعاء الأعياد .
٢٣٣ ماقيل فى القيام للاجلاء .
٢٣٤ ماقيل فى شعبان وشهر رمضان وشوال .
٢٣٦ فصل فى معان مختلفة : نسيب ، هجو ؛ مدح . .
٢٣٩ التفاضل بين الاخوان . الحث على موافقة الناس . اغباب الزيارة .
٢٤٠ فى ذم العجائز . ماورد فى فضل الحمام .
٢٤١ الشطرنج وما قيل فيه .
٢٤٢ ما ورد فى النرد .
٢٤٣ القدح . انتظار الفرج . معان أخرى .
٢٤٤ العطاء بلا سؤال . ماقيل فى المحجمة والحجام .
٢٤٥ ماقيل فى خطل الرأى . إفساد المعروف بالمن . من يعيب غيره وهو معيب
٢٤٦ فرار الأصدقاء عند الضيق . سرقة الأدب .
٢٤٧ اغترار الناس بالغنى . حظ الجاهل .
٢٤٨ الاستعانة بالجاهل فى وقت الحاجة . عزة النفس . الاقتداء بالقرين .
٢٤٩ المأخوذ بذنب غيره . النهى عن الظلم . ماورد فى الجبن .
٢٥٠ ومن المضحكات . الخلق من الثياب .
٢٥١ من أحب لبناته الموت .
٢٥٢ أبو الشيص ورجل وعده بمخدة . نعل دعبل الخزاعى . استهداء بخور .
٢٥٣ المودة أقرب الانساب . منتهى الديوان .

﴿اختلافات نسخة المتحفة البريطانية وغيرها من الروايات والتصويبات في الجزء الثاني﴾

وأكثرها من استدراكات الأستاذ الدكتور كرنكو

الصفحة	السطر	
١	٤	عن نسختي
٤	٢٣	أتى بمطر
٦	٥	بمدامع لم
٦	١٠	دوالح ضمنت
٦	١١	حفل اللقاح
٦	١٢	سجم.. فواجم
٧	٨	لدمات
١٢	٢٢	بعميم النبت
١٣	٢٢،٩	وحوذان
١٥	٤	بن المعذل
١٥	٦	مغان
١٥	١٢	وشث
١٦	٢٢	الحاني
١٧	١٣	وجنى رباها
١٨	١٤	تزحف
١٩	١	لمسجد
٢٠	٦	جاسد
٢٠	٩	لؤلؤ كالاقحوان
٢٠	١٢	مجتاز
٢٣	١	المعذل
٢٣	٨	تباري..مغدا
٣٢	٢	ودستنبوى
٣٣	٨	على كرات
٣٧	٢٢	قرط

الصفحة	السطر	
٤٣	١٢	فى القدور
٤٩	١١	المفضل النكرى
٥١	١	سعد بن
٥٣	٤،٣	عمرو بن
٥٥	٧	الجرور
٦٤	١٨	السواء عدونا
٦٤	١٩	المؤنف
٦٤	٢٠	شهاب
٦٤	٢١	كالسيور
٦٥	١	أحمر عاتر
٦٦	١	تنحرى
٦٦	٦	جذل
٦٨	١٠	بن شهاب
٦٨	١١	وميض البيض
٧٠	٣	العضروط
٧١	٨	أخذ من
٧٢	٨	الدم
٧٣	٨	ومشلشلة: مفرقة
٧٧	٢	كأطباء
١٠٨	٥	عبدة بن الطبيب
١٠٨	٢٢	الأسعر
١٠٩	١٣	نارز
١٠٩	١٨	ثار عجاج
١٠٩	١٩	تنفش

الصفحة	السطر	
١٠٩	٢٠	زفته
١٠٩	٢٢	ضرار الغطافاني
١١٠	١٥	كالقدن
١١١	٢	على سواد
١١١	٤	عارضت
١١٢	١٩	تعلق بزى
١١٤	٧	نهارش عنده
١١٤	١٨	نوادى.. تدفق
١١٥	١	بقارح
١١٦	١٧	دكدك
١١٨	٦	مناذر
١١٩	١	زهواً
١٢١	٦	مضرسيات
١٢١	١٢	بخت مخيسة
١٢٢	١٧	حسبان
١٢٣	١١	البيت جون
١٢٤	١٨	أودى السفار
١٢٥	٩	السباب
١٢٥	١١	بباشرق
١٢٧	٢١	جفار
١٢٨	٢٢	وفد الريح
١٣٢	٢٠	أظلافه نسق
١٢٤	١٦،٢٠	فعساء
١٣٥	٤	مثل الشراع

الصفحة	السطر	
١٤٠	١٣	فيه شنج
١٤٢	١٣	يتقيد
١٤٢	١٤	شنج
١٤٤	٤	كتحوط
١٤٥	٩	لهازمه ... فلطح
١٤٦	١٧	بالعظاءة.التنضبة
١٤٧	١٠	لجرة
١٤٧	١١	على الجذل
١٥٠	١	تفازت
١٥١	١٩	الشدق
١٥٢	٤	بعد شبيبة
١٥٥	٣	سواد اللمة
١٥٥	٦	بخطمة
١٧٢	١٠	بان الأمير وبان
١٧٥	٣	ابن مناذر
١٧٥	٧	الخريمى
١٧٥	١٥	عن شباة
١٧٥	١٨	وزدت بما زودتنى
٢٤١	٢٣	مجتاب شملة برجد بسراته

الصفحة	السطر	
١٧٩	٢٢	معز الدولة
١٨٣	١٨	تمر وأغفل
١٨٣	١٩	يفعل
١٨٣	٢٠	رام
١٨٥	٤	بسر بن ارطاة
١٨٧	٦	أرضا فيها
١٨٧	١٦	يحيى بن طالب
١٩٣	١٣	راح ركب
١٩٤	٩	بأخلاق
١٩٩	١٧	عيابها
٢٠١	٢١	أبو الشعر
٢٠٨	٢١	أفرنجمشك
٢٠٩	١٣	بشؤبوبه
٢١٥	١٨	مروان الجعدى
٢١٦	٨ ، ٩	مكمت
٢٢٠	١١	الزرقى
٢٢٦	١٧	الارحبى
٢٢٦	٢٠	معشق

الصفحة	السطر	
٢٤٢	١٧	يداشلج
٢٤٢	١٨	وعند الشاه
٢٤٣	٥	من الغمى
٢٤٣	٦	بالكف أفطح
٢٤٣	٧	أبه .. يقدح
٢٤٤	١٢	الهديل
١٦	٢٣	دَيْم
٥٧	٥	يتأكّل
٨٥	٩	ونواقدُ
٩٢	٦	الهَزار
٩٦	١٦	ومودّةٌ
٩٦	١٧	وعدوّنا
١٣٧	١٢	وآباته
١٦٤	١٠	أدِبُّ
١٧٦	١٢	جَذِيمة

قذراً وأسلم ماسواه البرجد

BIBLIOTHEQUE EGYPTIENNE
EGYPTIAN LIBRARY

﴿ فهرس لأسماء الشعراء مرتبة على الحروف ﴾

باعتبار الشهرة فى الأكثر

(ا)

ابراهيم بن اسماعيل النسائى ١٨٢
ابراهيم بن العباس ٦٦ : ٩٠ : ١٧٨ : ١٨٣ ؛ ٢٧٤ ؛ ٢٨٣ ؛ ٣٥١ ؛ ٣٥٣ ؛ ج ٢ : ١٩٤ : ١٩٥ ؛ ١٩٧ ؛ ٢٠٠ . ٢١٥
ابن أبى أمية ج ٢ : ٣٤
ابن الأعرابى ٣٥٩
ابن أمية الكاتب ٥٩
ابن الأنبارى ١٤٨ ؛ ج ٢ : ٢٣٨ : ١٧٩
أبو الأسد الديئورى ٣٠ : ٦٣ ؛ ج ٢ : ٢٠٣
أحمد بن ابراهيم ٢٣٢ ؛ ج ٢ : ٢١٩
أحمد بن أبى طاهر ٤٨ : ٩٤ : ج ٢ : ١١٨ : ٢٥٢
أحمد بن اسحق الطالقانى ج ٢ : ١٦٦
أحمد بن اسحق الموصلى ج ٢ : ١٨٩
أحمد بن اسماعيل الخطيب ١٣٠
أحمد بن اسماعيل ج ٢ : ٧٥ ؛ ٧٩ ؛ ٨٣
أحمد بن زياد الكاتب ج ٢ : ١٥٧
أحمد بن محمد بن اسحق ج ٢ : ٧٩
أحمد بن يزيد ج ٢ : ٢٣٥
أحمد بن يوسف ٩٥
أحمد المادرائى ٣١٦
الأحمر ج ٢ : ١٣٤
الأخطل ٢١ ؛ ٢٧ . ٥٨ : ٦٢ ؛ ٨٣ ؛ ١٧٥ ؛ ٣١٣ ؛ ٣١٤
الأخنس بن شهاب ٦٨
الاخيطل ج ٢ : ٢٥ ؛ ١٧١ ؛ ٢٣٠
ادريس بن أبى حفصة ٦٣
اسحق بن خلف ج ٢ : ٥٧
اسحق الموصلى ٣٤٧
الأسدى ٣٥
أسعد بن البكاء البكرى ج ٢ : ٢١٧
الأسعر الجعفى ج ٢ : ٥٠ : ١٠٦ ؛ ١٠٨
الأسود بن يعفر ٢٥٤
أشجع ١٧ ؛ ٦٣ ؛ ٦٤ : ٩٢ ؛ ١٤٥ ؛ ج ٢ : ١٨٥
الأعشى ٢٤ ؛ ٤٤ ؛ ٧٩ : ١٠٩ ؛ ١٤٣ ؛ ١٧١ ؛ ١٧٢ ؛ ١٧٤ ؛ ٢٤٣ ؛ ٢٤٤ ؛ ٢٥٠ ؛ ٢٥٨ ؛ ٣١٩ ؛ ٣٢٨ ؛ ج ٢ : ١٢ ؛ ٢٢٦
الأغر بن كاسر ج ٢ : ٢٢٣
الأفوه الأودى ج ٢ : ٩٠
الاقيل القينى ٨٨
أمامة بنت الجلاح ٦١
امرؤ القيس ٨١ ؛ ٢٢٢ : ٢٢٥ ؛ ٢٦١ ؛ ٣٢٢ . ٣٣٤ ؛ ٣٤٥ ؛ ج ٢ : ٣ : ٥٧ ؛ ٦٢ ؛ ١٠٩ . ١١٤ : ١٤٢ . ١٥٩ : ١٩٣
أمية بن أبى الصلت ٢٦ ؛ ٤٦ . ١١٠
أوس بن حجر ١٢٤ ؛ ١٣٩ : ١٧٦ ؛ ج ٢ : ٤ ؛ ٧ ؛ ٥٧ . ٥٩ : ٦٨ : ١٧٣
أيمن بن خريم ج ٢ : ١٤٤

(ب)

البحترى ٢١ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٦ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٩٩ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٤٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٧ ، ٢٠٠ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٥٦ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٧٨ ، ٢٨٢ ، ٣٠٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٧ ، ٣٢٩ ، ٣٤٤ ، ٣٤٨ ، ج ٢ : ١٧ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٨ ، ٩٩ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١٢٦ ، ١٥٦ ، ١٦٠ ، ١٦٧ ، ١٩١ ، ١٩٤ ، ٢٠٧ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣

ابن بسام ٣١٦ ، ٣٤٨ ؛ ج ٢ : ٢٣ ، ٢٣٤

بشار ٣٣ ، ٤٢ ، ٥٩ ، ١٣٦ ، ١٤٣ ، ١٨٩ ، ٢٠٣ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٤١ ، ٢٥٧ ، ٢٧٩ ، ٣١١ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ج ٢ : ٤٧ ، ٥٥ ، ٦٧ ، ١٦٩ ، ١٩٢ ، ١٩٦

بشامة بن الغدير ج ٢ : ١٣١

بشر بن أبى خازم ١٣٩ ، ٢٣٨ ؛ ج ٢ : ١٢ ، ١٣ ، ٧٢

البصير ١٢١

البعيث ٢٧٧

بكر بن خارجة ٢٤٣

بلعاء بن قيس ١١٤

(ت)

تأبط شراً ١١٢ ؛ ج ٢ : ١٢٩

أبو تمام ٨ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٩-٣١ ، ٣٣ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ : ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٥ ، ٦٨ - ٧٢ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١١٥ - ١١٧ ، ١٣٠ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٦١ - ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٩٥ ، ١٩٨ ، ٢٠٥ ، ٢١٣ ، ٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٥٥ ، ٢٦٥ ، ٢٧٧ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٣١٦ ، ٣٢٥ ، ٣٤٣ ، ٣٥٣ ؛ ج ٢ : ١٩ ، ٥٦ ، ٦٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٩١ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٥ ، ١٧٣ ، ١٧٦ - ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ١٩٠ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٢٢ ، ٢٣١ ، ٢٣٩

التنوخى ٣٢ ، ٧٠ ، ٢٤٤ ، ٣٤٧ ، ٣٥٨ ؛ ج ٢ : ١٦ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٣٢ ، ٥٤

التوزى ١٢٢

(ث)

ثابت قطنة ١٣٨

الثقفى ج ٢ : ١٨٥

(ج)

جبياء الأشجعى ج ٢ : ١٢٧

الجحاف ٨١

جحظة البرمكى ٣١ ، ١٦٣ ، ٢٠٦ ،

BIBLIOTHEQUE EGYPTIENNE

٣٠٠ ، ج ٢ : ١٩٨ ، ٢٠٢
جذل الطعان ج ٢ : ٦٦
جران العود ٣٣٨
جرير ٣١ ، ٦٦ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٩ ،
١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨١ ،
٢٠٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ،
ج ٢ : ٦٣ ، ١٠٧ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ،
١٥٧ ، ١٨١
جعفر بن محمد ج ٢ : ١٩٤
جميل ٧٨ ، ١٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٧ ، ٢٧٤ ،
ج ٢ : ١٢٩ ، ٢٣٧
جندل بن الراعى ج ٢ : ١٢٧
أبو جندب ٨٢ ، ٨٣

(ح)

حاجز الأزدى ج ٢ : ٢٢٨
الحارث بن ظالم ١٧٠ ، ج ٢ : ١٨٧
الحارث بن عباد ج ٢ : ٦٣
الحارثى ج ٢ : ٢٣٤
أبو حازم الباهلى ج ٢ : ١٥٢
ابن حرثان ١٧٤
أبو على الحرمازى ج ٢ : ١٧٠ ، ٢٤٠
حسان بن ثابت ٣٢ ، ٣٧ ، ٨٩ ، ١٨٢ ،
١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٣١٤ ، ج ٢ :
٥١ ، ٦٩
الحسن بن وهب ٢٥٧ ، ٢٧٢ ، ج ٢ :
٨٣ ، ٢٣٥
الحسن بن الكنانى ج ٢ : ٢١٦
الحسين بن اسماعيل ٢٢٣
الحسين بن الضحاك ٢٠٢ ، ٢٧٣ ، ج ٢ :
٢٠٦ ، ٢٢٥
الحسين بن مطير الأسدى ٤١ ، ج ٢ :
٦ ، ١٧٥ ، ١٧٦
أبو الحسين بن أبى البغل ج ٢ :
٨٠ : ٩٢
حصين بن حمام ١١٥
الحطيئة ٢٢ : ٢٧ ، ٣٣ ، ٣٨ - ٤٠ ،
٤٣ ، ١١٨ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٩٩ ،
ج ٢ : ١٩١
الحلبى ج ٢ : ٤٥
حلحلة بن قيس ١٣٣
حماد الراوية ١٨١ ، ج ٢ : ١٩٨
حماس بن ثامل ٤٤
الحمانى ٨٥ ، ٢٣١ ، ٣٣٩ ، ج ٢ :
١٦ ، ٥٠ ، ١١٤ ، ١٣٤ ، ١٤٧ ،
١٥٣ ، ١٥٤
الحمدونى ٢٧٨ ، ج ٢ : ٢٥٠
حمزة بن بيض ١٠
حميد بن ثور ٣٢٦
الحويدرة ج ٢ : ١٨٨
أبو حية ج ٢ : ١٢٧

(خ)

خارجة بن مليح المكى ٦٢ : ٦٣
خالد بن زهير ١٥٨

خالد الكاتب ٣ ؛ ٢٥١ ؛ ٢٨٤ ؛ ٣٥٠
الخالدى ٢٠٨ ؛ ج ٢ : ٧٨
الخباز البلدى ج ٢ : ٤٢
خداش بن زهير ج ٢ : ٧٣
أبو خراش ١٣١ ؛ ج ٢ : ٧٢
خريم بن فاتك ٢٦
الخريمى ٧٤ ؛ ٢٧٩ ؛ ج ٢ : ١٧٥ ؛ ١٩٧
ابن خلاد ٢٩٦ ؛ ٣٠١ ؛ ج ٢ : ٣٦
خلف بن خليفة ٧٥ ؛ ١٠٤ ؛ ج ٢ : ١٤٥ ؛ ١٦٢
خلف الأحمر ج ٢ : ٧٣
الخليل بن أحمد ١٣٤ ؛ ١٤٧ ؛ ١٨٥ ؛ ج ٢ : ٣٠
الخنساء ٤١ ؛ ١٣٨
الخوارزمى - متأخر ج ٢ : ١٥٦

(د)

دريد بن الصمة ٥٥ ؛ ١٢٢ ؛ ١٤١ ؛ ج ٢ : ٥٨
ابن دريد ٢٧ ؛ ٣٢٠ ؛ ج ٢ : ١١٠ ؛ ١١٩ ؛ ٢٣٧
دعبل الخزاعى ١٢٧ ؛ ١٨١ ؛ ١٨٤ ؛ ٢٠٧ ؛ ج ٢ : ١٥٩ ؛ ١٨٠ ؛ ١٩٤ ؛ ٢٣٨ ؛ ٢٥٢ ؛ ٢٧٧
أبو دغفل الكلابى ج ٢ : ٧٠
أبو دلامة ج ٢ : ٢٤٥
أبو دلف العجلى ٩١ ؛ ٢٧١
ابن الدمينة ٣٤٦
أبو دهبل الجمحى ١٣٩
أبو دواد ١٤٢ ؛ ج ٢ : ١٠٦ ؛ ١١٢ ؛ ١٢٨ ؛ ١٤٦
ديك الجن ٥٦ ؛ ٨٥ ؛ ١٠٦ ؛ ١٢٠ ؛ ١٩٤ ؛ ٢٤٠ ؛ ٢٤٥ ؛ ٢٤٧ ؛ ٢٥٤ ؛ ٢٦٩ ؛ ٢٧٠ - ٢٧٢ ؛ ٣١٥ ؛ ٣١٦ ؛ ٣٢١ ؛ ٣٤٤ ؛ ٣٥٠ ؛ ج ٢ : ١٣٧ ؛ ١٨١ ؛ ٢٢١
الديلمى ٢٠١

(ذ)

أبو ذؤيب ١٢٠ ؛ ١٣١ ؛ ١٥٧ - ١٥٩ ؛ ٣٦١ ؛ ج ٢ : ٤

(ر)

راشد بن شهاب اليشكرى ج ٢ : ٦٤
الراعى ج ٢ : ١٢٣ ؛ ١٣٢
رؤبة بن العجاج ج ٢ : ١٢٣ ؛ ١٢٨ ؛ ١٣٠ ؛ ١٥٥
الربيع بن أبى الحقيق ج ٢ : ٣٩
الربيع بن ضبع الفزارى ج ٢ : ٢٢٤
رزين العروضى ١٩٩
الرقاشى ج ٢ : ١٧٩
الرماح الأسدى ج ٢ : ١٥٠
ذو الرمة ١٨١ ؛ ٢٣٣ ؛ ٢٣٥ ؛ ٢٤٠ ؛ ٢٥٠ ؛ ٢٥٧ ؛ ٢٧٥ ؛ ٣٣٤ ؛ ٣٤٢ ؛ ٣٤٣ ؛ ٣٥٥ ؛ ج ٢ : ٧ ؛ ١١٩ ؛ ١٢٠ ؛

١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٤٧
ابن الرومى ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٥٤ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ١١٩ ، ١٢٥ ، ١٣٠ - ١٣٢ ، ١٤٤ ، ١٥٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٧ - ١٩٠ ، ١٩٤ - ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠٤ - ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ - ٢٤٤ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣ ، ٢٩٢ - ٢٩٦ ، ٣٠٢ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٤ ، ٣٢١ ، ٣٣٠ ، ٣٣٥ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ج : ٣٢ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٧ ، ٤٥ - ٤٧ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨١ ، ١٠٤ ، ١٣٥ ، ١٤٧ ، ١٥٧ ، ١٦٠ - ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٧١ - ١٧٣ ، ١٨٤ ، ١٨٩ ، ٢٠٣ ، ٢١٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣٧
الرياشى ج٢ : ٢٣٤

(ز)

أبو زيد ج ٢ : ٥٨
زفر بن الحارث ج ٢ : ٢٠٠
ابن الزمكدم ١٩٥
زهير ٢٩ ، ٣١ ، ٤٦ ، ٥٢ ، ١٠٥ ، ١١٤ ، ٢٣٠ ، ج ٢ : ٢٠٦
زياد الأعجم ١٧٠ ، ١٧٧ ، ١٨٠
زيد الخيل ج٢ : ٤٩ ، ٦٨
زينب بنت الطثرية ٥٧

(س)

سالم بن وابصة ٣٥٧
أبوسرح ج ٢ : ١٨٦
السرى الرفاء ٧٢ : ١٩٩ ، ٢٢٥ ، ٢٣٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٩٠ ، ٢٩٤ ، ٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣٢٢ ، ٣٢٥ ، ٣٣٧ ، ٣٤١ ، ٣٤٥ ، ٣٦١ ، ج٢ : ١١ ، ١٧ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ١٣٧ ، ٢٢٣ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢
سعد بن ناشب ج٢ : ٥١
سعيد بن أبان بن عيينة ١٣٣
سعيد بن حميد ٩٥ ، ٢١٦ ، ٢٦٧ ، ج٢ : ٢٢٢ ، ٢٨٤ ، ٣٤٩
سعيد بن العاص ١٩٦
سعيد بن الوليد البطين ج٢ : ٢٢٠
أبو سعيد الاصفهانى ج٢ : ٢٠٩
أبوسعيد المخزومى ١٨١
ابن السكن ٢٠٨
سلامة بن جندل ج٢ : ٦٥
أبو السمح الطائى ٢٩
السموأل ٣٧ ، ٨٣
سهل بن هرون ٢٨٢
سيف بن ذى يزن ج٢ : ٦٢

(ش)

شبيب بن البرصاء ج ٢ : ١٩٦
أبو شراعة ج ٢ :٢٢٩
الشماخ بن ضرار ١١٥، ٢٣٠، ج٢ :٥٩،
١٠٩ ، ١٢٥
الشمردل بن شريك ٣٥٨
أبو الشمقمق ١٩٨
أبو الشيص ٢٥٥، ج٢ :١٢٣، ١٩٨، ٢٥٢

(ص)

أبو إسحق الصابى ج٢ : ١٦٣
الصاحب بن عباد ١٦٧
أبو صفوان الثقفى ج٢ : ٢٣٢
صفية الباهلية ١٧
أبو الصلت ٩٢ ، ٣٠١
الصلتان ١١٩
الصمة بن عبدالله القشيرى ج ٢ : ٢٢٥
الصموت الكلابى ٦٨
الصنوبرى ٢٣٥ ، ٢٤٠، ٢٤٨ ، ٢٩٢،
٣٢٢ ، ٣٢٣، ج٢ : ١٢ ، ٣٠ ، ٣٢
الصولى ١٤٦ ، ١٤٨ ، ٢٥٥، ٢٥٧ ،
٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ج ٢ : ١٦٥، ٢٠٧

(ض)

ضمرة بن ضمرة ٨١

(ط)

ابن طارق ج ٢ : ١٤٤
أبو طالب عم النبى ﷺ ٣٧
طاهر بن على بن سليمان ٣٤٧
ابن طباطبا ١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٩٨، ٢١٢،
٢١٦ ، ٢٢٨ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٣٢٣ ،
٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٥٠ ، ٣٥٣ ، ٣٦٠ ،
ج٢ : ١١، ٢٧، ٣٦، ١١٦، ١٤٤، ٢١٣
طرفة ج٢ : ٧
الطرماح ٣٤٦، ج٢ : ١٣١ ، ١٤١ ،
١٧٥ ، ٢٣٨
طريح بن اسماعيل الثقفى ٢٤، ٥٢، ١٢٦
طفيل الغنوى ج٢ : ٢٢٠
الطماح العقيلى ج ٢ : ٢١٩
أبو الطمحان ٢٢ ، ٢٣ ، ج ٢ : ١٦١

(ع)

عائشة بنت أبى وقاص ٩
العباس بن الأحنف ١٦١ ، ٢٢٥ ،
٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ،
٢٦٣ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ،
٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٣٤٩ ، ج ٢ : ١٦٥
العباس بن جرير ١٢٣
العباس بن مرداس ١١٠ ، ١١٤ ،
ج٢ : ١١٠
عبد الصمد بن المعذل ١٢١ ، ١٢٥،
١٧٨، ج٢ : ١٥، ٢٣، ٤٠، ١٤٦، ١٦٧
عبدالعزيز بن زرارة ٨٨
عبد العزيز بن عبدالله بن طاهر ٣٣٨
عبدالله بن أيوب التيمى ٦٠
عبدالله بن الحسن ٢٦٢

عبد الله بن عبد الله بن عتبة ٣١٤
عبد الله بن محمد الفقعسى ج٢ : ١٩٣
أبو عبد الله الاسباطى ج٢ : ١٥٦
ابن عبدل الاسدى ١١
عبد الملك بن مروان ٢٦٢
عبد مناف بن ربعى ج ٢ : ٥٥
عبد بنى الحسحاس ٢٦٠ ، ج ٢ : ١٦٦
عبدة بن الطبيب ج٢ : ١٠٨ ؛ ١٤٤ ؛ ١٧٥ ؛ ٢١٦
عبيد بن الأبرص ١١٨ ؛ ج ٢ : ١٥٥
عبيد بن أيوب ١١٣
عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ١٠٨ ؛ ٢٥٠ ، ج ٢ : ٢٥١ ؛ ٢٦٠
عتاب بن ورقاء ج ٢ : ٦٠
العتابى ج ٢ : ٩
أبو العتاهية ٢٠ ، ٧١ ؛ ١٠٥ ؛ ١٢٠ ؛ ١٢٥ ، ج ٢ : ١٥٥ ؛ ٢١٨ ؛ ٢٢٦ ؛ ٢٢٧ ، ٢٣٢
ابن أبى العتاهية ١٩٨
العجاج ، ج ٢ : ٧١
عجير السلولى ٣١٥
عدى بن الرقاع ج ٢ : ١٣١ ؛ ١٣٢ ؛ ٢٢٣ ، ٢٣٥
عدى بن زيد ج ٢ : ١٣٧ ؛ ٢٤٨
العديل بن الفرج العجلى ج ٢ : ٢٣٦
عرفجة بن شريك ج ٢ : ١٨٥
العربى ١٠
عروة بن أذينة ج ٢ : ٢٣٢
عروة بن حزام العذرى ٢٨١
عروة بن الورد ١٠٧ ، ١٩٥
أبو عروة المدنى ١١
العطوى ج ٢ : ٢٠٣
عقبة بن كعب بن زهير ج ٢ : ٢٢٨
علقمة بن عبدة ١٠٤ ، ٢٥٠
العلوى الأصفهانى ٣٢٩ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤١ ، ٣٤٥ ، ٣٥١ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧
على بن جبلة العكوك ٢١ ، ٢٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ١٠٦ ، ج ٢ : ٦٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ٢٣٥
على بن الجهم ٨٠ ، ١٠٤ ، ٢٥٣ ، ج ٢ : ٢٣ ، ٢٢١
على بن الخليل ٣٤٨
على بن عاصم ٢٨٤
على بن العباس النوبختى ج ٢ : ١٦٧
على بن عبد العزيز الجرجانى ج ٢ : ١٦٨
على بن محمد بن الأفوه ٤٩
على بن محمد البصرى ١٠٨
على بن محمد الكوفى ج ٢ : ١٥٨
عمارة بن عقيل ٧٧ ، ١٣٦ ، ٢٤١ ، ج ٢ : ١٠٩ ، ٢١٩
العمانى ج ٢ : ١٣٧
عمران بن حطان ٣١٥
عمران بن عصام ٣٣
عمر بن أبى ربيعة ١٢٢ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢
عمرو بن الاطنابة ١١٤
عمرو بن شاس الأسدى ٢٢٤ ، ج ٢ : ٧٢ ، ٧٣
عمرو بن قيئة ٢٧٦

عمرو بن كلثوم ٩٠ ، ج ٢ : ٥٠
عمرو بن محمد النقري ٢٩
عمرو بن معديكرب ١١١ ؛ ج ٢ : ٢٣ ، ٥٣
أبو العميثل ٥٣ ؛ ١٦٣ ؛ ٢٧٣
عنترة العبسي ١١٠ ؛ ٣١٧ ؛ ج ٢ : ٦٤ ، ١٢١ ، ١٤٨
عوف بن قطن ١١٧
عوف بن محلم ٢٦٢
عون بن محمد الموصلي ٣٥٢
عيسى بن أوس ٢٤
ابن أبي عيينة ١٩٠ ، ١٩١ ، ج ٢ : ١٣٧ ، ١٣٨
أبو عيينة ج ٢ : ٣١ ، ٢١٣

(ف)

أبو فراس ج ٢ : ١٢ ، ٤٩ ، ٥٠ ؛ ٦١ ، ١٩٧ ، ٢٠٠
الفرزدق ٢١ ، ٤٩ ، ٧٨ ، ٤٣ ، ١٤٥ ؛ ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٨٣ ؛ ج ٢ : ٨٧ ، ١١٩ ؛ ١٥٦ ، ١٦٣ ، ١٧٧ ، ٢٣٤ ، ٢٨١
فروة بن مسيك المرادي ج ٢ : ٢٣١
أبو الفضل بن العميد ٣٠١
أبو فضلة ٣٣٥
الفند الزماني ج ٢ : ٦٠
ابن أبي فنن ٢٨٤ ؛ ٣١٥ ، ٣٤٥

(ق)

قابوس بن وشمكير ج ٢ : ٢٠٢
القاساني ج ٢ : ٢٥٠
القاسم بن حنبل ٤٣
القصار ج ٢ : ٧٩
القصاني ٣٥٣
القطامي ١٢٤ ، ٢٤٢ ، ٢٥٩ ، ٣٢٩ ؛ ج ٢ : ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٧
قيس بن الأسلت ٢٤٣
قيس بن الخطيم ١٧٠ ، ٢٢٩ ، ٢٧٦ ؛ ج ٢ : ٥٠ ، ٥١ ، ٥٧ ، ٧٠ ، ١١٩
قيس بن ذريح ٢٧٠
قيس بن عاصم ١٣٥ ، ١٥١

(ك)

أبو كبير ٣٨
كثير ٥٨ ، ٦٣ ، ٢٣٠
كشاجم ٦٨ ، ٢٠٥ ، ٢١٤ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٤٠ ؛ ج ٢ : ٢٩ ، ٣٠ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ١١٠ ، ١٥٨ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٣٠٤ ، ٣٢٦ - ٣٢٨
كعب بن الأشرف ج ٢ : ٣٩
كعب بن زهير ١٩٩ ، ج ٢ : ٦٢
كعب بن سعد ج ٢ : ١٧٨
كعب بن مالك ١١٥
كعب الغنوي ٣٣٧
كلثوم بن عمرو ١٥٤
الكميت ج ٢ : ١١٤

(ل)

لبيد ١١٨ ، ٣١١ ، ج ٢ : ١٢ ، ١٩٨

ابن لجا ج ٢ : ١٢٧
لقيط بن زرارة ٨١
لقيط بن يعمر الأيادى ٥٥
ابن لنكك ١٨٩ ؛ ج ٢ : ٢٠١ ، ١٨٠
ليلى الأخيلية ٤٤

(م)

المؤمل ٢٢٦ ، ٢٥١
مالك بن أسماء ج ٢ : ١٦٢
مالك بن حريم الهمدانى ج ٢ : ١٠٧
مالك بن نويرة ج ٢ : ٥٥
مان الموسوس ٢٥٢ ، ٢٨٣
المبرد ١٤٥
مبشر بن هذيل الشمخى ٨٩
المتلمس ١٣٥
متمم بن نويرة ج ٢ : ١٧٤ ، ١٧٦
المتنبى ؛ ١٠٨ ، ١٩٦ ، ج٢ : ٦١ ؛ ٧٦ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٠ ، ١٠٨ ، ١١٩ ؛ ١٧٠ ، ٢٣٧ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٣٢٢
المجنون ٢٧١ ، ٢٨١ ، ٣٤٦ ، ٣٤٩
محمد بن أيوب ج ٢ : ٢٠٩
محمد بن بشر الأزدى ٣٤
محمد بن جعفر بن محمد ج ٢ : ٦٦
محمد بن ذؤيب العمانى ج ٢ : ٢١٩
محمد بن زياد الكاتب ج ٢ : ١٦٧
محمد بن عبد الله بن طاهر ٢٧٠
محمد بن عبد الله الجعفرى ج ٢ : ٢٣٥
محمد بن محمد اليزيدى ج ٢ : ١٧١
محمد بن مسلمة البشرى ج ٢ : ٦٧
محمد بن أبى الموج ٢٣٦
محمد بن يعقوب بن داود ج ٢ : ٢٠٢
محمود الوراق ج ٢ : ١٥٣ ، ١٦٤
المخبل ج٢ : ٦٣
مخاد الموصلى ٣٣٥
المرار الفقعسى ١٢٤
مروان بن أبى حفصة ٤٧ ، ٥٢ ؛ ١٠٥ ، ١٣٥
مزاحم العقيلى ج ٢ : ١١٠ ، ١٥٥
مزرد بن ضرار ٣٠٥ ؛ ج٢ : ٥٨
مسعود أخو ذى الرمة ج٢ : ١٢٨
مسكين الدارمى ٧٩ ، ٢٩٧ ؛ ج٢ : ٥٨
مسلم بن الوليد ٢٠ ؛ ٧١ ، ١٠٣ ، ١١٦ ؛ ١١٧ ، ١٦٢ ، ١٧٨ ، ٢٥٣ ، ٢٦٦ ؛ ٢٧٧ ، ٢٨١ ؛ ٣١١ ، ٣٤٣ ؛ ج ٢ : ٥١ ، ٧١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ؛ ١٥٨ ، ٢٣٩
مصعب بن عمير اللبثى ٢٠٢ ، ٢٠٣
المصيصى ٢١٥
مضر بن ربعى ٣٤٣
أبو مطاع ٢٦٨
مطيع بن إياس ج ٢ : ١٨٤
أبو المعافى ج ٢ : ١٩١ ، ٢٢٩
ابن المعتز ٧٠ ، ٧٧ ؛ ٨٥ ، ٨٨ ؛ ١٤٤ ؛ ٢٠٧ ، ٢٢٤ ؛ ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ؛ ٢٤١ - ٢٤٣ ؛ ٢٤٧ - ٢٥٢ ؛ ٢٥٧ ؛ ٢٥٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٧ -

٢٨٩ ، ٣٠٧ - ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٥ ،
٣١٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥ -
٣٤٠ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ٣٤٨ ، ٣٥٣ ،
٣٥٥ - ٣٦٠ ، ج٢ : ١٠ ، ١٦ ، ٢٤ -
٢٦ ، ٣١ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٦ ،
٤٧ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٧ - ٥٩ ، ٦١ ، ٦٥ ،
٦٧ ، ٧٥ ، ٨١ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٢
- ١١٤ ، ١١٦ ، ١٢١ - ١٢٣ ، ١٢٦ ،
١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ،
١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ،
١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٧٩ -
١٨٢ ، ٢٢١ ، ٢٤١
المعذل بن غيلان ٢٨٠
معن بن أوس المزنى ١١٣ ، ١٥٣
المفضل النكرى ج ٢ : ٤٩
ابن مقبل ج٢ : ١٦١ ، ٢٤٣
المقنع الكندى ج ٢ : ١٥٦
أبو مكعت الأسدى ج ٢ : ٢١٦
ابن مناذر ج ٢ : ١١٨ ، ١٧٥
منصور النمرى ٢٨ ، ٣٥ ، ٥٨ ، ٥٩ ،
٢٥٣ ، ج ٢ : ٥٦ ، ٦٧ ، ١٥٣ ، ١٥٦
مهلهل ١٧٣ ، ج ٢ : ١٧٦
موسى بن سحيم ج ٢ : ٢٠١
ابن ميادة ١٢٣

(ن)

النابغة الجعدى ٣٤ ، ٣٦ ، ج٢ : ٦٦
النابغة الذبيانى ١٥ - ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ،
٢٧ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٣٨ ، ٢٨٠ ،
٣٤٦ ، ج ٢ : ٣٩ ، ٥٢ ، ٦٧ ، ٦٨ ،
٧٠ ، ١٤٥ ، ١٩٦ ، ٢٤٩
الناجم ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢٨٠ ، ٣١٩ ،
٣٢١ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ج٢ : ١٦٥
الناشى ٢٣٥ ، ٢٥٤ ، ٣١٢ ، ٣٣٤ ،
ج٢ : ٢٢٨
النجاشى ١٧٦ ، ١٧٧
أبو النجم ١١٣ ، ٢٧٩
أبو نخيلة ج٢ : ١١٦
أبو النشناش ٨٨
نصر بن أحمد ٢٤٦ ، ٢٧٢ ، ٢٩٧ ،
ج ٢ : ٣٧
نصيب ١٧ ، ٢٣ ، ١٢٩ ، ٢٦٢
النظار الفقعسى ٢٨٢ ، ج٢ : ٧
النمر بن تولب ١٢ ، ٨٠ ، ٢٢٩ ، ٢٥٥ ،
٢٦٥ ، ج٢ : ١٣ ، ٣٩ ، ٥١ ، ١٨٣ ،
٢٢٦
النميرى ٢٦٠
نهشل بن حرى ٦٥
نهيك بن أساف ج٢ : ١٩٨
أبو نواس ٣٦ ، ٣٧ ، ٥٨ ، ٧١ ، ١٢٧ ،
١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥١ ، ١٧٩ ، ١٨٦ ،
١٨٧ ، ١٩٤ ، ٢٠٢ - ٢٠٥ ، ٢٢٣ ،
٢٣٠ - ٢٣٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٠ ،
٢٥٤ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ،
٣٠٨ ، ٣١١ - ٣١٣ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ،
٣٤٣ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦٠ ، ج ٢ :
٢٠ ، ٧٠ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٠٩ ، ١٢٠ ،

١٢١ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣٢ - ١٣٤ ،
١٣٨ - ١٤٠ ، ١٦٦ ، ١٨١ ، ٢٠٦

(و)

الواثق بالله ج ٢ : ١٦٥
أبو وجزة السعدى ٥٩
وضاح اليمن ٢٢٥ ، ٢٢٦
وهب بن عمرو ١٥٧
ابن وهب ٢٨

(ه)

هرون بن على ٩٣ ، ٣٢٧
هرون بن محمد الآملى ١٩٦
ابن هرمة ٣٣ ، ١١٩ ، ٢٨٩ ، ٣٥٨ ، ج ٢ : ٦٥
أبو هفان ٦٥ ، ٨٠
أبو هلال العسكرى مؤلف الديوان ٢ -
٥ ، ١٣ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٧ ،
٢٩ ، ٣٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٣ - ٥٥ ، ٥٩ ،
٦٠ ، ٦٤ ، ٦٩ - ٧٥ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٤ ،
٨٨ - ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٧ ،
١٠٩ ، ١١٠ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ،
١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ،
١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٦١ ،
١٦٧ ، ١٧٨ - ١٨٠ ، ١٨٤ - ١٨٦ ،
١٨٨ ، ١٩١ - ١٩٣ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ،
٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ،
٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٥ ،
٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ،
٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ - ٢٤٩ ، ٢٥١ ،
٢٥٣ ، ٢٥٥ - ٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ،
٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ - ٢٦٩ ، ٢٧٦ ،
٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٨ - ٢٩٠ ، ٢٩٢ -
٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ،
٣٠٦ - ٣٠٨ ، ٣١٠ - ٣١٣ ، ٣١٧ -
٣١٩ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٨ ، ٣٣١ ،
٣٣٣ ، ٣٣٥ - ٣٤٥ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ -
٣٥١ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ،
٣٦٠ ، ج ٢ : ٩ - ١١ ، ١٥ - ٣٣ ،
٣٥ - ٣٨ ، ٤١ - ٤٨ ، ٥٨ ، ٥٩ ،
٦٨ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٠ -
٨٤ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٠٠ ، ١٠٨ ، ١١٠ -
١١٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٩ ، ١٣٦ -
١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ،
١٥١ ، ١٥٤ - ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ،
١٦٧ ، ١٦٩ - ١٧١ ، ١٨٠ - ١٨٢ ،
١٨٩ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠١ - ٢٠٤ ،
٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢٢١ ، ٢٣٩ - ٢٤١ ،
٢٤٣ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩
أبو الهندى ٣١١
أبو الهول ج ٢ : ٢٤٤
أبو الهيذام ١٧٧

(ى)

ابن يامين ج ٢ : ٥٢
يحيى بن زياد الحارثى ١٢٦ ، ٣١٨
يحيى بن طالب الحنفى ج ٢ : ١٨٧
يزيد بن الطثرية ٢٥٩ ، ٣٣٤ ، ج ٢ : ١٦٢
يزيد بن معاوية ٣٠٨
يزيد المهلبى ج ٢ : ١٩٩
يعقوب بن الربيع ج ٢ : ٢٢٤

٣ عقود الجمان في طبقات القراء للحافظ ابن الجزري (الورق الحشن ٢)
١٢٥ بجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي (وهو في الزيادات على الكتب الستة) عشرة أجزاء.
٢٠٠ شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد. وهو أجمع كتاب مطبوع في التراجم ومهم الحوادث لألف سنة (ثمانية أجزاء. والورق الأصفر ١٦٠)
٣٠ كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلوني
١٢ الحاوي للفتاوي (من فقه وحديث وتفسير وأصول وتصوف ونحو . .) للسيوطي
٢٠ ديوان المعاني (في الشعر والنثر ونقدهما) لأبي هلال العسكري .
٢ الطب الروحاني لابن الجوزي ؛ ١ المسائل والأجوبة لابن قتيبة .
١٥ شرح أدب الكاتب للجواليقي (الورق الحشن ١٠) .
١٥ تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد المسمى بالتقصي لحديث الموطأ وتراجم شيوخ الامام مالك واختلاف الموطآت لابن عبد البر .
٤ الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة (الاسمر ٣) .
٤ المبهج في تفسير شعراء الحماسة لابن جني ؛ ٣ دفع شبه التشبيه لابن الجوزي .
٦ الانتقاء في فضائل الفقهاء : مالك والشافعي وأبي حنيفة وأصحابهم لابن عبد البر .
٦ القصد والأمم في التعريف بأنساب العرب والعجم ؛ والانباه على قبائل الرواه .
٢ إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ﷺ لابن طولون .
٦ الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي (وهو كتاب في التاريخ الاسلامي) .
١ الكشف عن مساوي المتنبي للصاحب بن عباد ؛ وذم الخطأ في الشعر لابن فارس .
٢٠ تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الامام أبي الحسن الأشعري المعروف بطبقات الاشاعرة لابن عساكر (فيه زهاء ثمانين ترجمة) (الأسمر ١٦) .
٣ شروط الأئمة الخمسة البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي .
٤ انتقاد (المغني عن الحفظ والكتاب) للقدسي .
٨ جنى الجنتين في تمييز نوعي المثنيين للحبي (وهو كمعجم للمثنيات العربية) .
٤ أخبار الظراف والمتماجنين (من الرجال والنساء) لابن الجوزي .
٧ رسائل تاريخية لابن طولون ؛ الفلك المشحون بأحوال محمد بن طولون ؛ والشمعة المضية في أخبار القلعة الدمشقية ؛ والمعزة في تاريخ المزة ؛ والنكت التاريخية .
١ الحث على التجارة والصناعة والعمل والرد على من يدعي التوكل بترك العمل للخلال .
٢٥ ذيول تذكرة الحفاظ للحسيني وابن فهد والسيوطي والطيطاوي (الاسمر ٢٠)
١ بيان زغل العلم والطلب للذهبي ؛ ٣ الدرة المضية في الرد على ابن تيمية للسبكي .
٢ إتحاف الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل لابن علان ؛ ورسالة في النحو للصناديقي
١ المتوكلي فيما وافق من العربية اللغات العجمية ؛ وأصول الكلمات اللغوية للسيوطي
٥ التطفيل وأخبار الطفيليين وأشعارهم للخطيب البغدادي .

BIBLIOTHEQUE EGYPTIENNE